



الركتوري الطيف من أستاذ ورتيس شمالصحافات بكليم الآداب بجامعة المقاهرة (منها)

ملترنم الطبيع والمنشر داو المعكو المعزب

الشاع موادم عن _ القاهرة

ص ٠ ب ١٣٠ ـ ت: ٣٩٢٥٥٢٣



بقلم الدكتور عبد النحليم محمود

الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم. المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعينوبعد :

فن حق الإنصاف علينا أن نؤمنأن كتاب « الإعلام في صدر الإسلام ». له الريادة في هذا المجال من مجالات الدراسات الإعلامية .

فلم نعرف من قبل أن باحثا من الباحثين السابقين تناول موضوع : « الإعلام الإسلامي » بالدراسات المستقلة والمنهجية .

كمذلك فى ثقافتنا المعاصرة لم يقدم باحث قبل الدكتور « عبد اللطيف. حمزة » على هذا اللون من الدراسة ، بل لم يلتفت إليه مثقف :

وتلك بادرة ذكية من الأستاذ المؤلف تعرف له وتقدر، وتأخذ بيده. في ثقه وحفاوة إلى مركز الريادة في مجال هذه الدراسة .

وعلى الرغم من أن السيد المؤلف على صلة وثتى بالدراسات الإسلامية إذ شارك فيها بأكر من عشرين كتاباً أسهم بها فى تعمير المكتبة الإسلامية فقد أبى عليه ضميره اليقظ وإحساسه بالتبعة العلمية وأمانها إلا أن يصارح قارئه بخوالج نفسه عندما اعتزم معالجة هذا الموضوع الرائد فقال فى هذه المصارحة :

و ، و ، إنني أقدمت على هذا البحث بشيء غير قليل من التردد والحوف ،
 فا السبب في ذلك ؟ وأجاب السيد الذكتور على السؤال الذي طرحه بقوله :

ه إن الذي يبحث في تاريخ الإعلام في الاسلام لابد أن تكون له أصالة

سعيقية في الثقافة الإسلامية والناريخ الإسلامي ، والمداهب الاسلامية ، ولابد أن تكون في نفسه أصالة حقيقية في عام الاتصال الذي يشتمل على فنون كثيرة من أهمها : فن الإعلام بوسائله الكثيرة . وفن الدعاية بأشكالها المختلفة ، وأبن من يدعى لنفسه الإحاطة الكاملة جاتين الثقافتين في دقة وعمق معاً ، وهذا موقف للمؤلف له دلالته .

تلك هي أن التصدي لعمل علمي لابد أن يسكون على مستوى هذا العمل معرفة واستيعاباً ، ومن قبل ذلك ومن بعده استعداداً ذاتياً .

وذلك حفز صادق فى نطاق التحريك النفسى للباحث – أى باحث – حتى يستشعر التبعة الملقاة على عاتقه ، وهى لاشك جد مبهظة .

ومن ناحية أخرى بنحو به إلى تواضع العلماء حتى لا يجمع به الغرور إلى كبوات لا مأمن منها مع تلك الظاهرة الخطيرة التى تلم بكثير من المثقفين، وقد استشعر السيد المؤلف عبءالتبعة فأقدم في تواضع الدارسين الأصلاء على هذا الموضوع البكر إقدام العالم الباحث متوخيا أغراضا ثلاثة كلها هادفة وشريفة. والأهداف الثلاثة هي :

الأول أن هذاالاتجاه الجديد في بحوث الاتصال والإعلام الإسلامي مسيغرى الباحثين بالدخول في هذا المبدان، وولوج شعاب بحوثه على طول الطريق من أول أيام الإسلام حتى عصرنا الذي نعيشه.

الثانى: اللفاع عن كرامة المؤلفين المسلمين الذين لايليق بهم أن يظلوا في مواقع التبعية للمؤلفين الأجانب، فلا ينبغي الانتظار حتى يأتى أجنبي ويؤلف في النواحي التي لم يؤلف فيها بعد من الثقافة الاسلامية كناحية الدعاية والاعلام في الإسلام، وبهذا فتغلب على مؤامرة الصمت التي ترتكب ضد الثقافة الإسلامية.

الثالث: لفت شبابنا المعاصر إنى ثقافتنا الإسلامية ، إذ جمهرتهم منصرف إلى التراث الاجنبي مفتون به . ويعرف عنه أكثر ممسا يعرف عن التراث الإسلامي. بل أصبح شباب هذا الجيل يفاخر بعضهم بعضا بهذه الظاهرة التي

تمثل مركب نقص في الشباب يجب على الفاقهين من أبناء هذا الجيل تفليص الشباب من عقابيله .

وتلك محامد للسيد المؤلف تذكر بالعرفان ، وتقابل بما هي أهل له من الشكران ، وقد اختار السيد المؤلف أقوم منهج وأعدله في الدراسة .

ذلك هو تتبع أحداث التاريخ في مسايرة وتحليل معطيات تلك الأحداث، واستخلاص النتائج من الشوائب التي قد تلتوي بالدارس عن الطريق الموصل.

وكانت الدقة طابع التعبير في رحلة الكتاب، إذ حدد المفاهم تحديدآ نقيآ يحصن القارئء ويبتعد به عن الخلط ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

التفرقة بين الدعوة والإعلام والدعاية ، وتحديد المقصود بكل واحدة من هذه الثلاثة مما بجده القارىء موضحا في مواطنه من السكتاب ، وقد أبرز السيد المؤلف أن عمل النبي عليه كان دعوة من الله أمر بتبليغها إلى الناس كافة ،

وإذا كانت كلمة ٥ ثورة ٥ قد وصف بها الإسلام في الكتاب فإنه من الطبيعي ألا يقصد منها المعنى المتبادر والشائع من أنها ظاهرة ذاتية لفرد من الأفراد انفعل انفعالا خاصا بواقع يعيشه في مجتمع ما أدى به إلى حمل تبعة التغيير ،وإنما المقصود بالسكلمة هدفها وغايتها وهو التغيير وتعديل الأوضاع على النحو المستقيم.

ولم يترك المؤلف ثغرة ينفذ منها متربص بالإسلام عندما تناول والجهاد، كوسيلة من وسائل الإعلام، إذ حدد مفهوم الجهاد في الإسلام، وبين أنه ليس مقصداً إلى التوسع والسيطرة ابتغاء النفع ، وإنما كان لرد العدوان وتأمين الدعوة، ومعتنقها من مكان الدس والغدر والتربص والتحرش في الداخل والله الرباع .

وقد أوضح السيدالمؤلف الفواصل بين الدعاية البيضاء والدعاية السوداء؛ وبين أن الأولى تعتمد على الصدق والشرف. والأخرى تبيح لنفسها الـكذب والتحريف والاختلاق به وركز على أن القدوة الحسنة وسيلة من وسائل الإعلام تغنى بذاتها عن جهود كثيرة تبذل في سبيل الإعلام ،وقدم نماذج خوية القدوة الصالحة من سيرة الرسول الكريم. وكثير من رواد الصحابة عليهم رضوان الله تبارك وتعالى .

ونحن مع السيد المؤلف في الانتفاع بموسم الحبح كمجال لأكبر تجمع السلامي في مستويات متنوعة تجتمع كلها من القمة إلى القاعدة في انسجام متبيء للتأثير والحشد لما فيه خبر الإسلام والمسلمين، ولعل الأمل في الاستجابة بخفف من آلام السيد المؤلف التي أحسمها والتي أشاركه الإحساس بمعاناتها ، والتي بقيت رواسها في نفسه منذ أدائه فريضة الحج عام ١٩٦٨.

ومن اللمحات البارعة فى السكتاب استبطانه حادث الهجرة فى جميع جوانبه وزواياه ، وإبراز الحركة الإعلامية فيه ودراسته للأذان فى الاسلام واستخراج لمون من الفنون الإعلاميه فيه سواء من جهة دلالته أو من جهة تركيبه اللفظى ، وتناوله صابح قالحديبية ، وكيف كانت لحركات الهمس التي أسفرت عنها بعض شروطه أثر إعلامي فى نشر الدعوة ، وكيف كان الفاروق عمر رضى الله عنه يستعمل أحدث أساليب قياس الرأى العام وغير ذلك كثر فى ثنايا هذا المكتاب الرائد ،

ور بما تطرق إلى الفهم العجلان مايريب فى مواقف بعض الصحابه فى بعض الأحداث ، لذا ندعو القارىء إلى التأنى فى القراءة ، وفى تناول الأحداث السياسية التى ألمت بالمسلمين ، منذ عهد الحليفة الثالث رضوان الله عليم أجمعين، ونحن لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله يتالي ، ولكنا ننيه على أمر قد يغيب عن بعض القراء ،

ذلك أن الخليفة الثالث عنمان بن عفان رضى الله عنه كما قال القاضى أبو بكر بن العربي : كان عند الظن به ، ماخالف عهدا ، ولا نكث عقدا ، ولا التحم مسكروها ولا خالف سنة (١) وقد كان النبي عليه قد أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عنمان شهيد على بلوى تصيبه .

⁽١) العواصم من القواصم لابن عربي تحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب من ٥٠ -- ٥٠ ي

وقد أورد ابن العربي رحمه الله حميع ما وجه إلى الخليفة الثالث عبّان ابن عفان رضى الله عنه من مآخذ وأتى على جميعها نقدا موضوعيا بالحمجة والبرهان »

وكانت أصابح الفنن والسكيد للإسلام والوقيعة من أعدائه هي محرك الأحداث في نشأتها ومسارها وتواليها .

وبعد : فإن السيد المؤلف رحمه الله جدير بالتقدير ، وحسبه أنه بحق رائد هذا المجال الذي لم ينفذ إليه من قبله فسكر .

وأقول متناسقاً مع المؤلف: إذا كان لى أن أقترح شيئاً على الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث فى مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامى فإنى المقرح أن تتألف لجنة علمية للقيام بمشروع ، التأريخ للدعاية والإعلام فى الإسلام » .

وأضيف إلى هذا تنقية التاريخ تنقية بمكن معهاتنجية كل مزور، وإبعاد كل ما ليس له من الصحة حظ حتى تـكون لدينا ذخيرة إعلامية متميزة الابعاد تستقيل ما تفد به الايام والاجيال من متنوع الأساليب .

والحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات ، وجزى الله السيد المؤلف أطيب الجزاء وأجزله . ونفع بما قدم للمكتبة الإسلامية من جهود موفقة، ورحمه رحمة واسعة .

إنه سميع يجيب ، . . والحمد لله رب العالمين.

دکتور عبد الحلیم محمود 5) (20)

عبللطيفطخزه

يتنالتا ليجالجان

مقب مير

تحدث التاريخ عن الإسلام من زوايا كثيرة :

منها الزاوية الدينية والسياسية ،والاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية، ومنها الزوايا الحلقية، والمدينة، ومنها الزوايا الحلقية، والمدينة، ومنها الزوايا الحلقية، والفنية، والحربية،

كما كتب الكثير عن تاريخ الأدب الإسلامى نفسه ، وبذلك أصبحت الثقافة الإسلامية من أوسع الثقافات الى عرفتها البشرية منذ ظهور الإسلام الله اليوم ،

ولـكنبقيت من هذه الزوايا المتعددة زاوية واحدة هي زاوية الإعلام أو الاتصال بالناس .

ولم يكن ذلك تقصيراً من القدماء بوجه من الوجوه إذ أن علم الاتصال علم حديث كل الحداثة ، وإن كان الاتصال فى ذاته قدعاً كل القدم ، فقد مارسه جميع البشر منذ وجدوا على ظهر الأرض، ومنذ احتاج بعضهم إلى الاتصال ببعض، وصدق الله تعالى إذ يقول : «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض».

والآن وقد أصبح الاتصال علماً من العلوم الحديثة المعروفة لم يبق هناك عذر للعلماء المحدثين إذا هم قصروا فى البحث عن الأديان ومنها الاسلام ـ وذلك من الناحية الاعلامية ، أو من ناحية الدعاية ، وهاتان الناحيةان هما جانب من جوانب الاتعمال .

وهذا وحده فى الواقع هو ما حفزنا إلى التفكير فى وضع الكتاب، بين يدى القارىء .

* 4 %

غير أنني أريد أن أقول لهذا القارىء كلمة صريحة تنبع من ضميرى العلمي ، أو شعورى عسوليتي عن هذا البحث ،

هذه الكلمة هي أنني أقدمت على هذا البحث بشيء غير قليل من التردد والحوف ، فما السبب في ذلك ؟ .

إن الذي يبحث في تاريخ الإعلام في الإسلام لا بد أن تكون له أصالة حقيقية في الثقافة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامي ، والمذاهب الإسلامية ، ولابد أن تكون في نفسه أصالة حقيقية في علم الاتصال الذي يشتمل على فنون كثيرة ، من أهمها : فن الإعلام بوسائله الكثيرة ، وفن الدعاية بأشكالها المختلفة ، وأين من يدعى لنفسه الإحاطة الكاملة بهاتين الثقافتين السابقتين في دقة وعمق معاً ؟

ثم عدت أسأل نفسي هذا السؤال:

مل أستطيع أن أفر من هذا الميدان ـ ميدان البحث فى تاريخ الإعلام فى الإسلام ــ وقد مضت لى تجربة طويلة إلىالآن فى كل من الثقافة الإسلامية والثقافة الإعلامية ؟ .

وسرعان ما أجبت عن هذا السؤال الأخير بالنفي .

فإننى أذكر _ وليس ذلك تزكية لنفسى، ولكن بنعمة الله أحدث أننى شاركت فى الثقافة الإسلامية بأكثر منعشر بن كتاباً، كما وضعت فى الثقافة الصحفية والإعلامية ما لا يقل عن أربعين شحثاً.

ومعنى ذلك أنه ليس من حتى بعد ذلك أنأتخلى عن هذا الميدان ، ميدان البحث فى تاريخ الإعلام فى الإسلام ، بل بجب على أن أدلى بدلوى وأضرب ضربتى الأولى فى هذه الأرض البكر .

وإنى لعلى يقين تام بأن هذا الانجاء الجديد في بحرث الانصال في

الإسلام سيغرى الكثيرين من الباحثين بالدخول فى هذا الميدان ، وبذلك. يعرض لنا الباحثون صوراً جديدة من التاريخ الإسلامي ، وزوايا جديدة من هذا التاريخ كانت بجهولة كل الجهل من جمهور المثقفين قبل اليوم ،

وكم من كنوز سيقع عليها الباحثون في هذه المنطقة من مناطق البحث عندما يتحدثون عن الدعاية الأموية ، والدعاية العباسية ، والدعاية المذهبية ، والدعاية الفاطمية ؛ وكم من كنوز سيقعون عليها عندما يتحدثون بنوع خاص عن دعاية الشيعة ، ودعاية القرامطة والدعاية في عهد المحروب الصليبية ، وذلك حتى يصلوا في بحوثهم إلى الدعاية في حرب السويس سنة ١٩٥٦ ،

***** * *

شيء آخر دعانى إلى ترك الخوف والتردد في اقتحام هذا الميدان سميدان البحث في تاريخ الإعلام في الإسلام — هو الدفاع عن كرامة المؤلفين العرب الدين لا يليق بهم أن يظلوا تابعين للمؤلفين من غير العرب، أو يظلوا مكتوفي الأيدى حتى يأتى علماء أوربا فيؤلفوا لهم في النواحي التي لم يؤلف فيها بعد من نواحي الثقافة الإسلامية كناحية الدعاية الإعلامية في الإسلام.

وبهذا وحده نتغلب على مؤامرة الصمت التى ترتبكب ضد الثقافة الإسلامية من جانب علماء أوربا وأمريكا ، وذلك فى النصف الثانى من القرن العشرين على وجه التحديد كما صرح بذلك المؤرخ الفرنسى جارودى (۱) ،

* * *

وثالث الدوافع التي حفزتني على تقديم هذا الكتاب إلى القراء ، هو ما نعلمه عن أكثر شباب الجيل الحاضر أنهم أصبحوا يعرفون عن البراث

⁽١) جريدة الأهرام : العدد الصادر يتاريح ٢٥ / ١ / ١٩٦٩ في محاضرة ألقاها في موضوع» الحضارة العربية وأثرها في الثقافة العالمية » .

الأوروبي أكثر مما يعرفون عن التراث الإسلامي ، بل أصبح شباب هذا الجيل يفاخر بعضهم بعضاً بهذه الصفة ،

وكمان الأولى بهم أن يتشهوا بآبائهم وأجدادهم منذ العصر العباسى، وهم الله وكمان الأولى بهم أن يتشهوا بآبائهم وأجدادهم منذ والفارسية، وصهروا هذه الثقافات الثلاث في بوتقة واحسدة خرج منها ما يسمى « بالثقافة الإسلامية » الى تتألف من العنصر العربي، والعنصر الفارسي، والعنصر الفارسي، والعنصر اليوناني، أما اكتفاء الحيل الحاضر « بالثقافة الأوروبية » وتفاخرهم بتجاهل الثقافة الإسلامية ، فقد كان جائز آفي عهود الاستعار، أما في العهد الله بدأت فيه الشخصية العربية تتميز بين الشخصيات، فلا، ثم لا ،

* * * *

ولقد كان الإسلام فى ذاته ثورة، كما كانت المسيحية فى ذاتها ثورة، وكانت اليهودية ثورة، وكان لابد أن تعتمد هذه الثورات على كثير من وسائل الإعلام أو الاتصال حتى تنجح و تحقق الغرض الذى جاءت من أخله، ومن ثم أصبحت دراسة الاتصال بأنواعه التى من أهمها الدعاية والإعلام واجبة على جميع معاهد الإعلام فى العصر الذى نعيش فيه، وهي أشد وجوباً ما فيما نرى ما للجامعات التى تعنى بالدراسات الدينية وهي أشد وجوباً ما فيما نرى ما للجامعات التى تعنى بالدراسات الدينية أو المعاهد التى تشغل بإعداد المبشرين الدينيين وتخريج الدعاة.

أثر عن بعض البابوات المحدثين أنه قال :

لو بعث المسيح من جديد لاختار لنفسه أن يكون صحفياً ، وهذا قول ينطبق على الأنبياء جميعهم على السواء .

فإن النبي إذا بعثه الله في أمة من الأمم وجب عليه أن يختار من وسائل الإعلام والإرشاد والاتصال بالناس أنجح هذه الوسائل في العصر الذي ههر فيه .

وقد كانت الوسيلة الإعلامية سحراً في عهد موسى ، وكانت طباً في عهد عيسى ، وكانت طباً في عهد عيسى ، وكانت قرآناً في نحهد خاتم النبيين مجمد عليني .

أليس معنى ذلك أن الإسلام دين إعلامى لأنه اعتمد على القرآن . .. والقرآن آية الله تعالى فى البلاغة ، وفى التأثير فى نفوس البشر إلى الدرجة التى سجد لها العرب ، وإذا كان القرآن هو أكبر وسائل الإعلام فى الإسلام فلماذا لانسميه ديناً إعلامياً بالمعنى الصحيح لهذه السكلمة ؟

ثم إن وسائل الإعلام في ذاتها نوعان : نوع قديم وآخر حديث عوالنوع الأول مهما فطرى من صنع البشر ، كالحطابة والشعر والندوة والسوق، والنوع الثاني مهما صناعي من اختراع العلم كالصبحف والراديو والتلفزيون ووكالات الأنباء والسيها ونحو ذلك . . وكل وسيلة من هذه الوسائل الحديثة من وحي العلم ووليدة الاختراع ولا ندرى ماذا سيستحدث مها فيا بعد، وبها تيسر الاتصال بين الناس، وقد كثر عددهم في كل بقعة منها. ولم يعد في وسعهم أن يتصل بعضهم ببعض عن طريق الخطابة فقط أو القصيدة فقط ، أو السوق فقط أو الندوة فقط وهكذا ، لأن أحداً من الناس لا يستطيع أن بجمع الملايين في مكان واحد ليخاطهم في موضوع الناس لا يستطيع أن بجمع الملايين في مكان واحد ليخاطهم في موضوع معين ، كما كان الحسكام أو القادة يقدرون على شيء من ذلك في الأزمنة القديمة ، وإنما أصبحت الوسيلة الوحيدة في العصور الحديثة لهذا الاتصال مي الصحف أو الاذاعة أو وكالة الأنباء وما شاكل ذلك، ولهذا أصبحت عملية الاتصال في ذاتها في العصر الذي نعيش فيه عملية مصطنعة تفقد كثيرة من قيمتها وإن لم يكن في استطاعة أي مجتمع من المجتمعات أن يستغني عنها.

بيها الوسائل القديمـــة كانت لها قدرة أكيدة وعجيبة على التأثير في الأفراد والحماهير بالقدر الذي لايمكن أن تعلم به وسيلة من وسائل الاتصال الحديث كالصحافة والإذاعة ونحوها .

ه نزا الكتات

وهذا الـكتاب الذي بين أيدي القراء مؤلف من ثلاثة أبواب :

الأول: يتحدث عن وسائل الإعلام التي عرفها العرب في الحاهلية والإسلام، فأما الجاهلية فقد عرف عنها وسيلة التجارة الخارجية، والتجار العرب كغيرهم من تجار الأمم الأخرى كانوا يشتغلون بنقل الأخبار من مكان إلى مكان، وكانوا يشتغلون بنقل الثقافة أيضاً . كما كان من الوسائل الإعلامية في الجاهلية وسيلة فلبعثات الدينية كالمهودية والنصرانية، وقد كان لها أثر كبير في الإعلام العربي والثقافة العربية في الجاهلية، هذا كله في خارج جزيرة العرب، وأما في داخل شبه الجزيرة فقد مارس العرب شي الوسائل المعروفة في البيئات القديمة، ومن أهمها القصيدة الشعرية، وغير ذلك،

وجاء الإسلام فاستحدث صوراً جديدة في مجال الإعلام والاتصال بالناس، ومن أوضح هذه الصور القرآن النكريم الذي هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام، ثم الحديث الشريف، وقد اعتمدت عليه جميع العصور الإسلامية من الناحية الدعائية، وكانت القدوة الحسنة من جانب الرسول وكبار الصحابة من أكبر العوامل في نشر الدين الحديد، وقد اعتمد الرسول يتالي إلى جانب ذلك على وسيلة معروفة في علم الاتصال أو الإعلام، وهي وسيلة الاتصال بنوعيه الشخصي والحمعي ، والنوع الأخير يتمثل بوجه خاص في مجال الإعلام والدعاية، ومع هذه الذرائع الاعلامية كلها كانت ذريعة القصص غير القرآني ، وقد بدأت في الظهور أيام الخلفاء الراشدين، ثم اعتمدت عليها الخلافة الاسلامية بعد ذلك منذ الخليفة الأموى الأول معاوية ابن أبي سيفان. ويضاف إلى هذه الميادين الإسلامية كلها ميدان الحج ،

وقد كانت مواسم الحج ميداناً كبيراً للإعلام والدعاية، وقد أفاد الرسول عليه من هذه المواسم في نشر العقيدة الإسلامية .

وباختصار جاء الباب الأول من أبواب هذا الكتاب عرضاً شاملاً للوسائل الإعلامية التي عرفها العرب في الجاهلية، والوسائل الإعلامية التي احتاج إليها الاسلام .

ثم فى الباب الثانى من أبواب الكتاب وعنوانه (الدعوة فى عهد الرسول) أتينا بكلمة تمهيدبة للتفرقة بين الدعوة والإعلام والدعاية .

أما الدعوة فاسم عرفت به جميع الحهود التي بلمها الرسول في سبيل الرسالة التي بعثه الله من أجلها ، وقد شملت هذه الحهود جميع الوسائل الإعلامية التي ظهرت في الإسلام .

وأما الإعلام فاسم لحميع الحهود الى بذلها الخلفاء الراشدون وكانوا فيها صورة دقيقة من الرسول نفسه وذلك في العقيدة ذاتها .

وأما الدعاية فهى الجهود التى بذلها الحكام المسلمون وأقاموا عليها حكوماتهم وذلك منذ حكم معاوية بن أبى سفيان إلى وقتناهذا . وبعد هذا التمهيد شرح الحكتاب مراحل الدعوة الإسلامية وهى المرحلة السرية ، والمرحلة العلنية ومرحلة الاضطهاد الدينى ، ومرحلة الهجرة ، ومرحلة الاستقرار بالمدينة . ووقف البحث عند كل مرحلة من هذه المراحل ، واستعرض الطرق الإعلامية التي سلكها الرسول في كل مرحلة منها ،

وبنوع خاص فى المرحلة الأخيرة ، وهى مرحلة الاستقرار بالمدينة ، وفيها اتسعت مجالات الإعلام وعظم نشاط النبى الملقية فى هذه المجالات وتعددت صوره وأشكاله ، وجنى المسلمون ثمرة هذا النشاط فى كل صوره ، وفى نهايتها نزل قول الله تعالى : « اليوم أكملت لسكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً »

وفى الباب الثالث والأخير من أبراب هذا الكتاب حديث عن الإعلام على في عهد الخلفاء الراشدين وذلك في فصول أربعة : فصل في الإعلام على (م ٢ الاعلام في صدر الاسلام)

ههد أبي بكر، وفصل في الإعلام على عهد عمر، وفصل في الدعاية والإعلام على عهد عنمان ، وفصل في الإعلام على عهد على . وانتهى البحث عند هذا الحد .

اقتراح :

(وبعد) فإذا كان لى أن أقبرح شيئاً على الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم الإسلامى، فإنى أقبرح أن تتألف لجنة علمية للقيام بهذا المشروع الضخم ، وأعنى به مشروع :

التأريخ للدغاية والإعلام في الإسلام

ولهذه اللجنة أن تقوم ببحث هذا التاريخ عصراً عصراً ، أو فمكرة فمكرة أو مذهباً مذهباً ، في النهاية ستحصل المسكتة العربية على مجموعات غنية من الكتب الإعلامية الإسلامية ، تصبح كل واحدة منها بمثابة رافد من الروافد التي تصب في نهر الإعلام ،

نعم ... ألح في العناية بهذا المشروع الجلل الأمرين :

أولا: أنى لاأستطيع بمفردى أن أقوم بجمع الحلقات الى تتألف منها هذه السلسلة .

ثانياً: أننى لم أقل غير الكلمة الأولى فقط من هذه الحلقة الأولى عمنى أن موضوع (الدعاية والإعلام في صدر الإسلام) ما زال مفتوحاً أمام الباحثين لأننى لم أقل فيه السكلمة النهائية.

泰泰

وبعد : فإنني أقدم الشكر لجميع من تفضلوا بمعاونتي في هذا البحث ولو بإبداء الرأى .

فأشكر صديقي وزميلي الدكتور : إبراهيم إمام أستاذ الصمحافة مجامعة القاهرة .

وأشكر الشاب العراق الأستاذ عناد الكبيسي فقد جساءني ببعض

النصوص التى احتاج إليها البحث . وأشكر موظنى المدكنبة التابعة لجامعة أم درمان الإسلامية ، فقد يسرت لى الحصول على بعض المراجع القديمة والحديثة منذ كلفتنى هذه الجامعة بإلقاء بعض المحاضرات فى موضوع الدعوة الإسلامية وأساليب نجاحها .

ثم أشكر سـ مقدماً جميع الذين يتعرضون لنقد هذا الكتاب من جميع جوانبه . وأنا أشد الناس حاجة إلى هذا النقد .

والله أسأل أن ينفع بهذا جميع المثقفين في العالم العربي والراغبين في إنصاف الثقافة الإسلامية من رجال العلم في كل بقعة من بقاع الأرض ،

عبد اللطيف حمزة

مصر الجديدة في فبراير ١٩٧٠

صورالاتصال والإعلام عندالعرب في الحاهلية وصَدرالابهام

الفصّل لأول الانصال بالجماهير بعض صورًره في ابحساهلية

تفتلف المجتمعات القديمة عن الحديثة في نواح شي : أهمها ناحية الاعلام والانصال بالجماهير. ذلك أن المجتمعات القديمة كانت ضيقة بالقياس إلى المجتمعات الحديثة ، وفي البيئات الضيقة من حيث المساحة والعدد يسهل اتصال الأفراد بعضهم ببعض .

ونستطيع أن ندرك هذه الحقيقة بجلاء حسين نوازن ... من هذه الناحية ــ بين القرية من جهة ثانية الناحية ــ بين القرية من جهة ثانية اذاك أن التفاهم بين الأفراد في القرية أيسر بكثير من التفاهم بينهم في العاصمة أو المدينة المزدحمة بالسكان .

ومعنى هذا أن قلة العدد فى أى بيئة أو مجتمع مما يسميح بحرية المناقشة وإبداء الرأى . أما كثافة السكان فى البيئة أو المجتمع فإنها تعوق هذه الحرية وتجعل الأفراد فى الأمة الواحدة أشبه بالقطيع الذى لاحيلة له إلا الحضوع للراحى . ونكاد لا نستشى من هذه القاعدة غير بيئة مكة والمدينة فى صدر الإسلام ، وبيئة أثينا فى بعض عصور التاريخ القديم . ومع هذا وذاك فإن المجتمعات القديمة كانت – كما يحدث التاريخ – لا تحفل كثيراً بما يسمى (بالرأى العام) .

أما المحتمدات الحديثة فلها عناية بهذا الرأى ، ومن ثم وجدنا فيلسوفاً كبيراً كأفلاطون يجرد الرأى العام للجماهير من كل قيمة . ومن أقوال فلاسفة اليونان ، في ذلك ، أن الأمة إذا اتسعت اتساعاً كبيراً لا تقوى على المحافظة على حريتها . والسبب في ذلك أنه لابد أن يجتمع الناس كلهم في ساحة واحدة لكي يستمعوا إلى أقوال الزعماء والقادة . وبدون ذلك

لا يستطيع الشعب الاطلاع على أحوال الحاكم - أو بعبارة أخرى ــ لا يستطيع تتبع أعمال الحكومة (١) .

من أجل هذالم يكن التاريخ يعطينا الدلائل الكافية على وجود رأى عام ععداه الصنحيح في البيئات القديمة ،وذلك باستثناء مكة والمدينة وأثينا. بل إن التاريخ أمدنا بالشواهد الكثيرة على وجود رأى واحد فقط هو رأى الحاكم، والذي ينظر إليه في بعض تلك البيئات القديمة على أنه ظل الله في الأرض، ولا معقب لحسكمه ، ويأمر ولا راد لأوامره (٢).

مهما يكن من شيء فقد كان للإعلام والانصال بالجماهير ميادين كثيرة فى البيئات القديمة . غير أن تلك الميادين الإعلامية القديمة كانت تختلف فى صورتها عن الميادين الحديثة .

فنحن نعرف أن الاتصال بالجماهير في هذه العصور الحديثة يشمل ميادين كثيرة من أهمها: الإعلام والدعاية والإعلان والعلاقات العامة والتعليم والحرب النفسية .. إلخ . ونفس هذه الميادين في الواقع هي التي وجدت العصور القديمة وذلك مع فارق واحد لابد من وجوده ، هو اختلاف الصورة في البيئات القديمة عنها في الحديثة ،

لقد عرف الناس في البيئات القديمة كلا من الإعلام والدعاية ، ولكن بالصور والوسائل التي تناسبها ، كما عرف الناس في تلك البيئات القديمة كلا من الإعلان والعلاقات العامة والتعليم بالصور والوسائل التي تتناسب معها وهكذا .

فأما الإعسالام

فقد عرف الناس فى البيئات القديمة من أساليبه المتعددة ووسائله الحكيرة سر وخاصة فى العصر الجاهلي ـ أشياء كثيرة من أهمها فيا يتصل بالإعلام الحارجي ما يلى :

⁽١) عبد اللطيف حمزة : الإملام والدعاية من ه . الناشر دار الفسكر العربي .

⁽٢) عبد اللطيف حزة : الإعلام له تاريخه و مذاهبه من ٩٥ الناشر دار الذكر العربي ع

١ - وسيلة التجارة : والتجار في الجزيرة العربية كمافي البلاد الأوربية
 كانوا ينقلون الأخبار ويقتبسون بعض مظاهر المدنية وينقلونها من مكان إلى
 مكان ، يقول الأستاذ أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام(١) :

و شاع بين الناس أن العرب فى جاهليتها كانت أمة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أى اتصال ، وأن الصحراء من جانب والبحر من جانب حصراها وجعلاها منقطعة عن حولها لانتصل بهم فى مادة ولا تقتبس منهم أدباً ولاتهذيباً . والحق أن هذه الفسكرة خاطئة وأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم مادباً وأدبياً ه .. ونزيد نحن على ذلك أن هذا الاتصال بين العرب ومن حولهم من الأمم كان إعلامياً إلى جانب أنه مادى وأدبى .

٢ — ومن تلك الوسائل الإعلامية كذلك البعثات البهودية والنصرائية التي كائت تتغلغل في جزيرة العرب تدعو إلى دينها ونشر تعاليمها. فقد تكونت مستعمرات بهودية في الجزيرة العربية قبل الإسلام بقرون. وأشهرها هيثرب التي سميت فيا بعد (بالمدينة) وكان من أشهر القبائل البهودية في يثرب قبيلة (بني النضير) وقبيلة (بني قريظة) وقبيلة (الأوس والخزرج) وهما من اليمن. وكان البهود حملة الثقافة اليونائية إلى الجزيرة العربية لأنهم نزحوا إليها من مراكز هذه الثقافة بالشام والإسكندرية.

وأما البعثات النصرانية ومن أهمها بعثة تنتمى إلى فرقة النساطرة وأخرى تنتمى إلى فرقة اليعاقبة . النسطورية فى الحيرة واليعقوبية فى غسان وسائر قبائل الشام، وأهم مركز للنصرانية فى الجزيرة العربية هو نجران . وكان يتولى أمورها ثلاثة رؤساء . السيد، والعاقب، والأسقف . فالسيدكان تيس القبيلة فى الحروب وكان يتولى أمر العلاقات بينها وبين القبائل الآخرى . والعاقب يتولى الأمور الداخلية ، والأسقف يتولى الأمور الدينية .

وكان بنجران كعبة تضاهى الـكعبة عكمة . ثم تحولت كعبة نجران إلى كنيسة،وكان لنجران اتصال كبير بالحبشة لأنها يعقوبية المذهب . . وكان

⁽١) أحمد أمين - فجر الإسلام صد ٢٣ و مابعدها بـ

قسس نجران يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار ،

وكانت النصرانية قبل دخولها الجزيرة العربية تحمل فى ثناياها شيئاً من الثقافة اليونانية كما هو الشأن فى البهودية ، وكان كثير من آباء الكنيسة فلاسفة قبل أن يكونوا رجال دين فلجئوا إلى الفلسفة يستمدون منها التعليل والبرهان(۱) .

هكذا كانت هذه البعوث اليهودية والنصرانية وسائل انصال بين العرب والأمم والمدنيات المحاورة .

٣- ثم من وسائل الاتصال بالجاهير في الجاهلية أو من أسباب هذا الاتصال ووجوده الإنساء الإمارات على الحدود، ذلك أن الجزيرة العربية كانت تقع بين أعظم حضارتين آن ذلك : الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية الومانية العرب، وقد حاول كل من الفرس والروم أن يخضعوا العرب لحسكهم اتقاء لشرهم وسليم وشبهم . وبدلا من أن يكلفوا أنفسهم غزو جزيرة صحراوية لا أمان لها ، فإنهم القبائل العربية المجاورة لهم على أن يستقروا في الحدود يزرعون فيها ويتحضرون ، ويكونون في الوقيق ففسه رداً لهم ضد بقية البدو المقيمين في صحراء الجزيرة العربية . ومن ثم تلكونت في شبه الجزيرة إمارات على الحدود منها :

إمارة الحيرة على تخوم الفرس .. إمارة الغساسنة على تخوم الروم . فحانت هذه الإمارات أو المدن الجديدة همزة الوصل بين العرب من جهة والأمم المجاورة لهم من جهة ثانية ق

قال الهمداني في كتاب (الوشي المرقوم)(۱) ...

« لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا من العرب. وذلك

⁽١) أحمد أمين : فيجر الإسلام ص ٣٣ ومابعدها ،

⁽١) أحدد أمين – فجر الإسلام ص ٣٢ نقلا من الكتاب .

لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل السكتاب، وكانوا يلمخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الشام أخبر بأخبار الروم وبنى إسرائيل واليونان ومن سكن البمن عسلم أخبار الأمم جميعاً .. إلى .

* * *

تلك إذن هي أهم وسائل الاتصال بين العرب ومن جاورهم من الأمم في العصر الجاهلي، وثم وسائل الاتصال بين العرب بعضهم وبعض في داخل شبه الجنزيرة أشرنا إليها في كتابين سابقين هما كتاب و الإعلام له تاريخه ومذاهبه و كتاب والإعلام والدعاية و ولابأس من أن نشير إلى بعضها فيابل :

١ - القصيدة الشعرية :

الحق أن الشعر في العصر الجاهلي كاد يكون هو الوسيلة الوحيدة من وسائل الإعلام والدعاية ؛ والحق أنه لم توجد إلى جانب هذه الوسيلة غير وسيلة الحطابة، ولكن المنزلة الأولى في الجاهلية كانت للشعر دائماً ، وفي بيئة لايعرف القراءة والكتابة فيها إلا قليلون يكادون يعدون على الأصابع كان لابد للشعر أولا ثم للخطابة بعد ذلك أن يقوم بوظيفة الإعلام ووظيفة الدعاية للقبيلة . ولعل أكبر دليل على أهمية القصيدة العربية واهمام العرب بها ما رواه التاريخ عن العرب أنهم كانوا مختارون أجود القصائد ويكتبونها على (القباطي) بماء الذهب ، وكانوا يعلقونها على أستار الكعبة أو في بيوت الملوك ، ومن أشهر هذه القصائد ما سمى (بالمعلقات السبع أو العشر) .

صحيح أن قلة من المؤرخين أنكروا ذلك ، وعلى رأسهم (أبو جعفر النحاس) وتبعهم بعض المستشرقين في هذا الرأى . ولكن بقية المؤرخين والنقاد ذهبوا في قصة المعلقات إلى أنها صحيحة . ذكر البغدادي في خزانة الأدب : أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلايعبا به ولا ينشده أحد حتى يأتي قائله في موسم الحج فيعرضه

على أندية قريش . فإذا استحسنوه روى وكان فخرا لقائله ، وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه(١) ،

والعقل لا يرى مانعاً من صحة تعليق هذه القصائد فى الكعبة . ويجوز أن يقع ذلك فى أيام المواسم كلها أو بعضها، ويجوز أن يكون فى ساعة من نهار . والتاريخ يذكر أن قريشاً حين استقر رأيها على قطيعة بنى هاشم كتبوا بذلك صحيفة وعلقوها بأستار الكعبة .

ولم تجد قريش أفعل من هذه الطريقة الإعلامية ولا أقوى منها تأثيرا في نفس الرسول وأصحابه وفي نفوس بني هاشم ليفهموهم أن قريشاً مصممة على تعذيبهم بهذه الطريقة لأن تعليق الصحيفة على أستار الكعبة يعطبها كل هذه الأهمية الإعلامية التي لا تجارى . .

والتاريخ يذكر لناكللك أن الرشيد حين كتب العهد للأمين والمأمون بالخلافة بعده أمر أن يعلق في أستار الكعبة ليكتسب بذلك قوة وهيبة ، وليزداد الناس خضوعاً لهذه الطريقة الإعلامية الضمخمة .

إذا صح كلذلك فلامانع من أن يكون للعرب وللشعر عندهم كل هذه المنزلة ــ عناية بالمعلقات التي هي من أجود القصائد العربية باعتراف جميع النقاد ، والتي تعتبر في الوقت نفسه من أعظم أنماط الدعاية للشاعر ولقبيلته التي يدافع عنها ويفخر بها في معلقاته .

أجل لقد شهد التاريخ أن القصيدة الشعرية قامت بوظيفها في العصر الجاهلي خير قيام . وأن الشاعر إذا ظهو في قبيلة من القبائل هنأ أفرادها بعضهم بعضاً ، وهنأتهم القبائل الأخرى كذلك بهذا الحادث السعيد وهو ظهور هذا الشاعر .

والسبب فى ذلك أن الشاعر فى القبيلة كان يقوم مقام الصحيفة بالنسبة للأحزاب فى الوقت الحاضر . فهو الناطق بلسان هذه القبيلة ، وهو المناضل عنها بشعره ، وهو الحافز لهما فى أوقات الحروب وهو المصور لاخلاقها

⁽١) محمد هاشم عطية : قاريخ الأدب العربي في العصر الجاهل ص ٢٢٣ ،

وعاداتها ومكانتها بين القبائل الأخرى . غير أن أكثر هذا الشعر كان من باب الفخر ، والفخر من أنسب الأبواب الشعرية في الجاهلية وذلك لظهور العصبية والقبلية ــ فترى على حد قول القائل :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً ٠٠٠ إلخ

وقد بتى هذا النوع من الشعر القبلى سائداً فى الجزيرة العربية حتى بعد ظهور الإسلام، وأظهر ما كانذلك فى الدولة الأموية . ومن أكبر شعرائها جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وذو الرمة ، ولهم فى (باب النقائض) أو شعر المهاجاة القبلية شأن وأى شأن .

٢ ــ الخطبة والخطباء :

وقد كان هؤلاء يقومون بما قام به الشعراء من الوظائف الاجماعية والسراسية وخاصة في أوقات الفتن والحروب والقلاقل ، وقد كانوا يعتنقون النصرانية ، وكان لشعرهم وخطبهم طابع ديني في أكثره .

٣ ــ المناداة :

وكان الناس بمارسون هذه الطريقة الإعلامية بأشكال مختلفة منها دق الطبول ومنها إشعال النار على قمم التلال أو المرتفعات ، ومن أهمها الأصوات التى ترتفع بها حناجر المنادين فى القرى والمدن .

وما زال كثير من هذه الأشكال سائداً في البيئات العربية إلى يومنا هذا ، وإن أضاف إلها مرور الزمن أشكالا أخرى من المناداة ومنها إطلاق الأعيرة النارية في الأفراح أو البشائر كالإعلان عن نجاح مرشح في الانتخابات أو الإعلان عن نجاح شاب في بعض الأسر وحصوله على شهادة علمية .

ومنها ــ أى من أشكال المناداة ــ ما كنا نراه فى القرية المصرية حين عنم صبى من صبياتها حفظ القرآن الكريم فإذ ذال يركب الصبى جملا أو حاراً أو حصاناً ويطاف به فى القرية إعلاناً بأنه أتم حفظ القرآن الكريم .

وقد اختفت هذه الأشكال الأخيرة من أشكال المناداة في الوقت الحاضر . . كما سيأتي ذكر ذلك .

٤ -- الأعياد :

وقد عرفت البشرية الأعياد فى جميع عصورها ولم يستغن عصر من هذه العصور عن الأعياد فى أى شكل من أشكالها . وعرف العرب فى الجاهلية كثيراً من الأعياد ومنها على سبيل المثال :

عيد الشباب :

فيه كان يجتمع شباب كل قبيلة تحت شجرة كبيرة ، أو في مكان به أشجار كثيرة . ويأتى الشاب منهم فيعلق رمحه أو يعلق سيفه أو يعلق نوطه على غصن من أغصان الشجرة . ويحتفل الجميع بهذا اليوم وكانوا يطلقون على الشجرة اسما يعرفونه بينهم ، فيسمونها (ذات أنواط) يفعلون ذلك من قبيل الفخر ة الما يعرفونه بينهم ، فيسمونها (ذات أنواط) يفعلون ذلك من قبيل الفخر بالقوة ، وكان هذا الفخر في ذاته يتفق وطبائع الجاهلية ،

فلما جاء الإسلام ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على هذه الشجرة وكان معه أصحابه وفيهم بعض الشباب قالوا « يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » فضحك رسول الله الله ألي ولم مجمهم إلى ما طلبوا . وعرف الشباب من الصحابة بعد ذلك أن الإسلام له أعياد من نوع آخر ، وله ذرائع لإظهار القوة من طراز جديد لأغراض جديدة لم تعرفها الجاهلية .

ومهما يكن من شيء فقد كان (عيد الشباب) في الجاهلية وسيلة من الوسائل الإعلامية وطريقاً من طرق الدعاية . وبهذا الطريق كانت كل قبيلة تعلن عن قوتها حتى تخشاها القبائل الأخرى .

۵ -- الأسواق :

محدثنا الألوسى فى كتابه (بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب) عن الأسواق فى الجاهلية والإسلام ، ومن هذا الحديث نعلم أن الأسواق عند العرب لم تكن مراكز للمبادلات التجارية فقط ولكنها كانت معرضاً البضائع الفكرية والأدبية إلى جانب أنها معرض البضائع المادية أو التجارية، وفي الأسواق كانت تعلن القبيلة الحرب على قبيلة أخرى. وفيها كان يحدث التعارف بين الناس، وقد يؤدى هذا التعارف إلى عقد الزواج بين بعض وبعض. وفيها كان يأتى من كل قبيلة شاعر ليعرض شعره على الناس ويحتكم فيه إلى المحكمين في نقد الشعر (كالنابغة) وغيره.

وفيها كان يأتى الخطباء ليخطبوا الناس فى مختلف الشئون ، وكان من أولئك الخطباء « قس بن ساعدة الإيادى » الذى كان بخطب الناس فى الأمور الكونية ويدعوهم إلى التأمل فى الموت وما بعد الموت. وقد سمعه رسول الله يَتَلِيَّةٍ وأعجب به .

وقد كانت هذه الأسواق على ضربين من حيث الإتاوات والمكوس (أو الضرائب)، منها مايفرض المكوس على الوافدين إليها، وهي الأسواق التي تتبع قبيلة من القبائل بالذات. ومنها ما لايفرض هذه المكوس أو الضرائب لأنها لا تتبع قبيلة بالذات، ومن الأخيرة سوق عكاظ. وقبل أن نتحدث عن سوق عكاظ التي هي في نظر التاريخ أعظم أسواق العرب في الجاهلية بجدر بنا أن نمر مروراً سريعاً ببقية الأسواق ومنها:

سوق دومة الجندل:

وهى سوق تجارية بحتة بحل موعدها كل عام فى أول ربيع الأول ، وتقطنه قبيلتا كاب وجويلة طبىء . ويشرف على موسمه أمراء من العرب ه وكان (أكيدر) صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم فى أول يوم ،

سوق المشقر : (بكسر المع وتشديد القاف) ٠

وهى حصن قرب هجر وتنزل هذه السوق أخلاط من جميع العرب ه وكان امرؤ القيس ينزلها . وفيها حصر كسرى بنى تميم ، وأغلق عليهم باب الحصن ، ثم قتل الجند وسبى الذرارى .

سوق هجر :

وهى سوق تجارية أيضاً تشهر باللؤلؤ والنخيل وفيها تروج تجارات الهند وفارس ويدير أمورها (المنذر بن ساوى) ملك البحرين .

وكل هذه الأسواق المتقدمة لاتعنينا كثيراً في هذا البحث لأنها أسواق تجارية خالصة تفيد الناس من ناحية التجارة ومن ناحية الاتصال بعضهم ببعض ، ولـكن السوق التي تستحق منا كل عنابة في هذا البحث هي :

سوق عكاظ :

وعكاظ هي المعرض العربي العام أيام الجاهلية :

فهو عجمع أدبى لغوى رسمى له محسكون تضرب عليهم القباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم ، وما استجادوه فهو الجيد وما بهرجوه فهو الزائف . وحول هذه القباب الرواة والشعراء من عامة الأقطار العربية ه قا ينطق الحسكم محسكه حتى يثناقل أولئك الرواة القصيدة الفائزة ، فتسير في أغوار الجزيرة وأنجادها ، وتلهج بها الألسن في النوادى والحواضر ، وعمل إلى هذه السوق النهاى والحجازى والنجدى والعراق ، والعماني والعاى وعمل المفاظاء حتى يتبقى كل ألفاظ حية ، فه تزال عكاظ بهذه اللهجات تحلا واصطفاء حتى يتبقى الأنسب الأرشق ، ويطرح المحفو اللقيل ، كما أ نها السوق التجسارية الكبرى لعامة أهل للجزيرة .وهي معرض لكثير من عادات العرب وأحوالهم الاجماعية ، فهنا قس بن ساعدة محطب في الناس ويذكر الخالق ويعظم من كان قبلهم ويأمرهم بفعل الخير ، وهنا ندوة سياسية عامة تطرح فيها أمور كثيرة بين القبائل : فمن كانت له إتاوة على قبيلة لزل عكاظ فجاءوه بها .

وخلده فيها شعراً . ومن أراد إجارة أحد هتف بذلك فى عكاظ حتى يسمع. عامة الناس . ومن أراد إعلان حرب على قوم أعلنه فى سوق عكاظ .

وكانت هذه السوق تقوم بين العرب يومثا مقام الصحيفة الرسمية في أيامنا الهده، فن أنى عملا شائناً تأباه مروءة العربي شهروا به في عكاظ ونصبوا له واية غدر : فعرفوه فلعنوه فاجتنبوه . ومن أراد النبرؤ من قريب لسبب أو لآخر تبرأ منه في عكاظ .

وعكاظ نخل في واد بين مكة والطائف على مرحلتين من مكة ومرحلة من الطائف، وموقعها جنوب مكة إلى الشرق. وتقام هذه السوق في ذي القعدة وتنزله قريش وهوازن وغطفان وخزاعة والأحابيش وطوائف من العراق. والبحرين والبمامة وعمان والبمن وسائر أطراف الجزيرة. وليس فيها مكس ولا أعشار به لأنها لانتبع أحداً من الأمراء. حتى جاء الإسلام فسكان يعظ بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع. وكان أبوه قاضياً في الجاهلية. فات فصار ميراثاً لهم .

وتقيم العرب في عكاظ وهم يهيئون للحج ويتناشدون ويتفاخرون ويتنازعون ويتنافرون ويتعاظمون ، ولم يكن للعرب سوق كعكاظ ، وبقيت له هذه الشهرة بعد الإسلام ، فقد جاء في الأمالي لأبي على القالي أن (عبد الرحمن بن ملجم) قائل على لما سئل عن قتله علياً قال : ضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ لقتلهم . وكان يقوم بأمر الحكومة عامة بنوتمم وكانت الحكومة في الشغر للنابغة ، وكانت تضرب له قبة بهذه السوق يجتمع إليه فيها الشعراء فدخل إليه حسان وعنده الأعشى ، قال النابغة أنشده شعراً وحكم له . ثم أنشدته الحنساء قولها :

قَذَى بِمِينَيْكُ أَمْ بِالْعِينِ عُولَر أَمْ ذَرِ فَتَ إِذْ خَلْتُ مِنْ أَهْلُهُا اللَّهَارِ

حَمِّي انتَهِت إلى قولها :

وإن صخراً لتأتم الهسداة به كأنه علم في رأسه ناراً وإن صخراً لكافينا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتو لنحار

فقال النابغة: لولا أن أبا بصير (يريد الأعشى) أنشدنى قبلك لقلت إنك أشعر الناس، أنت والله أشعر من كلذات مثانة (كنابة عن المرأة) فقالت: والله من كل ذى خصيتين (كناية عن الرجل)، فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفنات الغريلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بناخالاوأكرم بنا ابنا فقال النابغة : إنك لشاعر لولا أن قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدك .

+ + +

ووقف رسول برائي بعد هبعثه بثلاث سسنوات فى عكاظ يدعو الناس إلى الحير والهدى والسعادة والإيمان، وقد لزمه منذ قيامه بالدعوة حزن عميق على قومه الذين كفروا بنعمة الله، فعزم ليقصدن المواسم وليأتين فيها القبائل كل قبيلة بمنزلها وكل جماعة فى حيهم، يعرض علمهم هذا الدين.

قام في عكاظـ يقول :

يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا ،

ويتبعه رجل له غديرتان و هو يقول :

يأيها الناس ، إن هذا ابن أخي وهو كذاب فاحذروه .

فعرف الناس أن هذا الصادعن سبيل الله هو عمه (أبولهب) يكذبه كلما قال كلمة الحق .

وعاودالرسول الدعوة مرارآ فلم يستجب لهولم بيأس ، فكان يقول للحى في موسم عكاظ : لا أكره منكم أحداً على شيء، من رضى الذي أدعوه إليه قبله ومن كرهه لم أكرهه إنما أريد أن تجوزوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي . ويغفر الله لي ولمن صحبي بما شاء .

(م ٣ - الإعلام في صدر الإسلام).

ولعل أشهر أسواق الجاهلية أيضاً :

سوق مجنة : (بتشديد ألنون)

يقصده العرب بعد أن تنقضي سوق عكاظ .

سوق ذى المجاز :

ورد ذكرها كثيراً في شعر العرب. وخاصة شعراء هذيل - لأنها من أسواقهم المكبرى. وهذه الأسواق الثلاث: عكاظ ومجنة وذو المجاز كانت تقوم في أيام الحج ويؤمها العرب قلطبة وقد شهدت إلى جانب البيع والشراء والمفاخرة مشهداً من أفظع مشاهد الجفاء والتنكر والأذى للرسول وابتلعت بضجيجها صوت الدعوة الإسلامية فها ابتلعت من دعوات.

وجاء الإسلام فاستمرت بعض هذه الأسواق وأضيف إليها أسواق جديدة منها :

المربد :

ولم يعهد لهذه الأسواق في الإسسلام تلك القيمة التي كانت لهسا في الجاهلية ، وذلك أن العرب تحضرت وسكنت الأمصار وكثرت فيها الأسواق الدائمة إلا ماكان من أمر المربد الذي ورث عكاظ. وأخذ أمر المربد (وهو عكاظ الإسلام) يزداد شيئاً فشيئاً .

وتقع هذه السوق قرب البصرة، وقلت أهميتها في عصر الخلفاء الراشدين وعادت إلى قوتها في العهد الأموى ، وذلك للعصبية القبلية التي كانت من صفات هذه الدولة .

وتتعدد حلقات هذه السوق ويتوسطهاالشعراء والرجاز، ويؤمها الأشراف وسائر الناس يتآمرون ويتفاخرون ويتهاجون .. إليخ .

ولدكل قبيلة شاعر يعرض شعره فى المربد ، وكانت تموج بأعلام اللغة والأدب والشعر والنحو، معهم محابرهم ودفاترهم يكتبون من فصحاء الأعراب فلجرير والفرزدق حلقة والراعى النميرى وذى الرمة لسكل مهما حلقة . إلخ.

وكان لـكل من الشعراء رواة ينقلون له ما قاله خصمه وينشرون في الناس جواب شاعرهم عليه ،

٢ -- الندوة :

ولعل من أقوى طرق الاتصال بين العرب فى الجاهلية ــ عدا الأسواق... الندوة . وهى مكان يجتمع فيه أهل الرأى فى الأوقات التى تحتاج إلى. تبادل الرأى .

ومن الأمثلة عليها (دار الندوة) قرب السكعبة ، وهي الدار التي اجتمع فيها رؤساء القبائل العربية ومنهم بنو هاشم وأخدوا يتشاورون في الطريقة التي يتخلصون بها من محمد على ألى وكان ذلك قبيل الهجسرة ، وكان العرب ينهزون فرصة اجتماعهم كذلك بالاسواق على النحو الذي شرحناه في هذا الفصل ويعقدون فيابينهم (ندوة) يتباحثون بها في شي المشكلات التي تعرض لهم و مخرجون محسل الكل مشكلة . وقد يشتد بينهم الجدال فلا مخرجون بشيء .

٧ ـــ إشعال النار في رءوس الجبال :

كذلك كان من وسائل الإعلام فى الجاهلية وسيلة فطرية لا تسكلفهم شيئاً من الجهد والمشقة ، وهذه الوسيلة الاخرة هي إشعال النيران فوق رءوس الجبال مخبرون ما عن عدو يريد الإغارة على القبيلة، أو يخبرون ما عن حادث كبير ، ساراً كان أو محزناً حدث فى القبيلة ، أو يعلنون ما عن ولعة كبيرة وهكذا ، وحول هذه النار تحلق العرب ومعهم ضيفالهم وهم الذين من أجلهم أوقدوها . وكثيراً ما يكون بين القوم شاعر ينفعل مهذا المشعر الحلس و عدح صاحب النار ويصفه بالسكرم والجود ، فإذا روى هذا الشعر أصبحت لصاحب النار شهرة كبيرة .

وتحدثنا كتب الأدب عن رجل اسمه المحلق كانت له بنات لم يتزوجن وعلت بهن السن ، وفى ذات ليلة من الليالى جاءه شاعر من الشعراء فأوقد له النار وبالغ فى إكرامه وطعامه وشرابه ، ونظم الشاعر قصيدة فى مدح هذا الرجل الذى أشعل النار (وبات على النار الندى والمحلق) وسارت هذه القصيدة ، وعلم الناس بأخبار الرجل وبناته فتقدم للزواج منهن خير شباب العرب .

والظاهر أن طريقة إشعال النار فوق الجبال هي التي تطورت بعد ذلك في الإسلام إلى (المناور) والمناور هي مواضع رفع النار في جنح الليل ومواضع الدخان في وضح النهار ، وتسكون تارة على رءوس الجبال ، وتكون تارة في أبنية عالية ، وفي كل واحد من هذه المناور – كما يقول صاحب صبح الأعشى سنظارة لرؤية ما وراء (المناور) وما يكون أمامها ،

يقول صاحب صبح الأعشى : وهذه المناور مأخوذة عن ملوك الهند تلكثرة وجود الجبال في تلك البلاد .

ونحن نقول إن الأمر لابحتاج إلى نقل فكرة (المناور) من بلد إلى بلد . لأن الطبيعة هدت العربي إلى إشعال النار في رءوس الجبال لجميع تلك الأغراض الإعلامية ، ومن الطبيعي كذلك أن تخضع هذه الفكرة البسيطة للتطور شيئاً فشيئاً حتى تصبيح في العهود الإسلامية اللاحقة على صورة (المناور).

٨ ــ المناداة:

وهى من أقدم الطرق الفطرية فى الإسلام وجدت فى جميع البيئات القديمة بدون استثناء ، والنداء فى جميع تلك البيئات وسيلة لنشر الأخبار ومازال إلى اليوم فى بعض البلاد العربية المتخلفة أو النامية . وذلك فى الوديان والسهول والقرى وبعض الجهات المتطرفة ، وما زال المنادى يتجول فى بعض المدن ، وقد بكون للمدينة الواحدة منادون كثيرون ، وأكثر ما يكون ذلك فى المواسم الدينية كشهر رمضان والعيدين ونحو ذلك ،

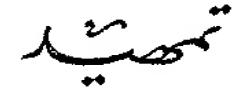
لذلك كان من الأمور الطبيعية أن يوجد المنادي في الجاهلية وأن يقوم بكثير من الأغراض الإعلامية، وأن يشبه في ذلك (المنادي) في الإسلام

وهو الرجل الذي يعهد إليه بإذاعة الأوامر الحكوميةو الأخبار الحربية وبعض الأخبار الرسمية كوصول حاكم جديد للولاية وتحديد الأعياد الدينية .

وكما تطور إشعال النيران في رءوس الجبال إلى (مناور) كذلك ــ في رأينا تطور النداء في الجاهلية إلى (الأذان) في الإسلام وهو هذا النداء الله الله يسمعه الناس خمس مرات في اليوم والليلة إيذاناً بالصلوات الحمس المعروفة .

* * *

الباكافك الباكافك أشهرصورالاعلى في صدرالاعلى



عرفنا أن العصر الحاهلي لم يكن عارس من وسائل الإعلام غير الوسائل الفطرية المعروفة عند الأمم المتخلفة أو الجاعات البدائية ، وأن أهم همذه الوسائل التي عرفها الناس في الجاهلية وسيلة القصيدة الشعرية ، ووسيلة الخطب ، ووسيلة الندوات ، والأسواق والمناداة ، ووسيلة إشعال النيران من أعلى الجبال ونحو ذاك ،

ومنذ ظهور الإسلام كان لا بد من أن يصبح الإعلام صور جديدة لم يعرفها العرب من قبل ، وصور قدعة احتفظ بها الإسلام وكانت معروفة. للعرب من قبل :

فأما الصور القدعة التي احتفظ بها الإسلام فهي القصيدة الشعرية وإن لم يعسب لها في الإسلام شأن كبير كما كان لها هذا الشأن في الجاهلية ، ومنها الحطابة وهي الصور الإعلامية التي أصبح لها في الإسلام شأن أكبر من شأنها في الجاهلية ، ذلك أن الحطابة فن الاقتتاع وأنها لا تزدهر في عصر من العصور كما تزدهر في عصر الثورات، ولذلك بلغت الحطابة أوجها على يد الرسول وأيدى الحلفاء الراشدين من بعده : أبي بكر وعمر وعمان وعلى الرسول وأيدى الحلفاء الراشدين من بعده : أبي بكر وعمر وعمان وعلى وكان هذا الأخير مضرب المثل في البلاغة العربية على حد سواء .

ثم من الوسائل الإعلامية التي احتفظ بها الإسسلام وسيلة الأسواق. ووسيلة الندوات لأنهما متصلتان اتصالا قوياً بحياة الناس في كل زمان ومكان «

جاء الإسلام واستحدث الكثير من الأساليب الجديدة في ميدان. الإعلام والاتصال بالناس منذ عرض عليهم هذا الدين الجديد . وبدل النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل هذه الغاية من الجهود المسكيرة التي ستتضيع عند المسكلام على كل أسلوب من هذه الأساليب على حدة .

وقد سبق أن قلنا ف التمهيد إن الجهود التي بذلها النبي في ميدان الاتصال تسمى بالدعوة ، وإن الجهود التي بذلها الحلفاء الراشدون في هذا المبدان محكن أن نطلق على أكثرها اسم (الإعلام) ، ذلك أن الرسول كان قد أدى الأمانة وقام بالرسالة وفرغ من عرض الدين الجديد على الناس . أما الحلفاء الراشدون من بعده فحسكان عليهم واجب آخر لايصح أن نسديه (دعوة) ولكن نطلق عليه اسماً آخر هو (الإعلام) في سبيل نشر الدعوة .

وإذا ذهبنا نستعرض أساليب الدعوة والإعلام في صدر الإسلام وجدناها كثيرة في جملها، وكانت كلهامنوسي القرآن، أو كانت كلها من وحي الرسالة التي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام . فمن هذه الأساليب بعد القرآن الكريم والحديث للشريف والحملية النبوية :

أسلوب الأذان لإقامة المصلاة ، وأسلوب الغزوات والسرايا الحربية التي كان الرسول والحلفاء من بعده يقومون بتنظميها لاستطلاع حال العدو وإعلامه أن الدين الجديد له من القوة الحربيسة ما يستطيع بها المحافظة على تفسه في الداخل والحارج ، وقد نظر هذا البحث - كما سبق القول في ذلك- إلى الغزوات على أنها كانت من أقوى وسائل الإعلام بهذا المعنى .

أسلوب العلاقات الودية :

وقد كانت معروفة فى الحيساة الجاهلية ولكن لم يكن لها من الخطورة والأهمية ما أصبح لها منسلة ظهور الثورة الإسلامية ، والسبب فى ذلك أن العرب فى الجاهلية كانوا يقيمون حياتهم على العصبية القبلية ،

وهى التى أشعلت بينهم نار الحرب لأنفه الأسباب، ثم هى العصبية التى جاء الاسلام لمحاربها واقتسلاع جذورها من الوجود العربى، ومن أجل ذلك وجدنا الاسلام قسد أحل أسلوب العلاقات الودية محل العصبية، ومارسها الرسول مع أصدقائه وأعدائه على السواء ء

ولا شلك أن الذى ساعد الرسول على القيام بهذه العلاقات الودية هم العمابه من القراء والمتفقهين في دينه ، فقد كان هؤلاء هم الصلة بينه وبين

القبائل العربية التي كانت تكرم هؤلاء الرسل تارة ، وكانت تسيء إليهم إلى درجة الغدر يهم وقتلهم تارة أخرى ،

ومهما يكن من شيء فنحن إذا استعرضنا وسائل الاتصال بالجاهير في عهد الرسول والخلفاء الراشدين فسنجد أن أقواها تأثيراً في النفوس وأعظمها نجاحاً في الترويج للعقيدة التي جاء بها الرسول مالاً يقل عن تسع وسائل نذكرها مرتبة حسب أهميتها على الوجه الآتي :

- ١ ــ القرآن الكريم ،
- ٢ -- الحديث الشريف والخطبة النبوية ،
- ٣ ــ القدوة الحسنة من جانب الرسول والصحابة أجمعين .
- ٤ الاتصال الشخصى والجمعى وهو من أقوى وسائل الإعسالام
 قديماً وحديثاً :
- ه -- أسلوب القصص ، وهو وسيلة إعلامية ظهرت أول ماظهرت فى القرآن الكريم . ثم ظهرت على أيدى نفر ممن دخلوا الدين الجديد أطلق عليهم اسم (القصاصين) وكان لهذه الوسيلة أعمق الأثر فى تعلق المسلمين بهلا الدين ، ثم فى ميدان الجهاد من أجل نشر هذا الدين ،
- ٦ مواسم الحج أو مواطن التجمعات الاسلامية على أوسع نطاق ،
 وقد كانت هذه المواسم أشبه شيء بالمؤتمرات الاسلامية الكبرى أو ،
 الاسواق العامة .
- الغزوات الى نظر إليها البحث على أنها وسيلة إعلامية أوجبها القرآن
 لنشر الإسلام .
 - ٨ العلاقات الإنسانية .
 - ٩ -- القصيدة الشعرية .

من هذه الوسائل التسع سنتحدث عن الوسائل الإعلامية الآتية كل على حدة وهي :

أولا: القرآن الكريم . ثانياً : الحديث الشريف .

ثالثاً: القدوة الحسنة ؛ رابعاً: الاتصال الشخصي ،

خوامساً : القصيص . المادساً : مواسم الحج ت

سابعاً: العلاقات الإنسانية.

أما الغزوات والبعوث الحربية وأما القصيدة الشعرية وأما الخطبة النبوية فسترجىء الحديث عنها إلى الوقت الذي نتحدث فيه عن (الدعوة الإسلامية على يد الرسول وطرق نجاحها) وثلث هي الحطة التي وضعناها للباب الأول من أبواب هذا الكتاب .

هذه هي أهم صور الإعلام والاتصال في عهد رسول الله والتي وسنرى أن الخلفاء الراشدين اتبعوا هذه الطرق الإعلامية نفسها . ولم يكادوا يزيدون عليها يه وذلك أن تاريخ الحلفاء الراشدين -- رضوان الله عليهم كان صورة دقيقة - في ميادين الإرشاد والتعليم والاتصال والإعلام- من حياة الرسول ع

الفص*ت الناول* القرآن أكبروسائل الإعلام في الإستبلام

ما لاشك فيه أن القرآن السكريم هو الوسيلة العظمى والطريقة المثلى للدعوة الإسلامية، ولا محل للمناقشة أو الجنال في هذه الحقيقةسواء كان هذا الجدل من المسلمين أو من غير المسلمين أو من الدهريين أو الوثنيين الذين لا دين لهم ولا عقيدة .

والبحث فى القرآن الكريم باعتباره أكبر وسيلة من وسائل الإعلام منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا بحث ليس بالهين . إنه بحاجة أولا إلى دراسة عميقة لهذا المكتاب السهاوى من الزاوية الإعلامية ، وهو بحاجة ثانياً إلى من من بجمع من صور هذا المكتاب المقدس كل الآيات القرآنية التي تحمل معني الدعوة . أو التي رصمت للرسول طريق هذه الدعوة ، ومن أمثلة هذه الآيات – قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربائ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » .

وقد نص القرآن فى كثير من آياته على أن الرسول مكافف من قبل الله تعالى بشىء واحد فقط هو تبليغ الناس هذه الرسسالة الجديدة . وأنه ليس مسئولا عن تصديق الناس لها أو عدم تصديقهم إياها. قال تعالى : لا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ٤ .

وقال تعالى: ﴿ اليس عليك هداهم ولكن الله بهدى من يشاء ﴾ كما نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على الأخلاق التي بجب أن يتحلي بها الداعية بوجه عام، والتي يتحلي بها الرسول الكريم بوجه خاص. ومن هذه الأخلاق: الصبر وحسن المعاملة والجدال بالتي هي أحسن والإعراض عن الجاهلين والمنافقين ، والبعد عن الغلطة قال تعالى : ﴿ فَهَا رَحْمَةُ مِنْ اللهُ النَّا لَمُ وَلَوْ كُنْتُ فَظُمْ القلب لانفضوا من حولك ﴾ .

وحض الله رسوله كذلك على قتال المشركين ونشر الدعوة الاسلامية بطريق السيف ، فصدع الرسول لهذا الأمر ومارس الحرب لاللتوسم الإقليمي ولا للحصول على السلطان ولا للانتقام من أحد من المشركين : فليس بينه وبين أولئك المشركين إلا أن يقولوا ه لا إله إلا الله محمدرسول الله ي . فإن قالوها عصموا منه دماءهم ولم يجز له أن يقاتلهم ، وأسلوب آخر من أساليب القرآن في الدعوة إلى الاسلام ـــولعله كان أكثر ها وقعا في نفوس العرب وغيرهم من الأمم التي اعتنقت الاسلام ـــ وهو أسلوب. القصص ، وقد حفل الكتاب بقصص الأنبياء وما لقيه كل نبي منهم من أذى بأعنف الصور والأشسكال التي عرفتها البشرية ، ومع ذلك صبر الأنبياء على ما أوذوا في سبيل الله ، وكانت هذه الطريقة السلبية ـــوهي الصبر - من أنجح الطرق في تبليغ رسالتهم السهاوية إلى الأمم التي بعثوا إليها ، وكانت هذه القصص التي حكت حيساة الرسل من لدن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قد بثت فى المسلمين روح التضحية وللصمر من أجل الدين . وأوحت إليهم بالقدوة الحسنة التي سبق القول أنها كانت في العصور القديمة من أنجح الوسائل في ميادين الإعلام والتربية والتعليم وميدان العلاقات العامة .

ثم إن القرآن الكريم نزلت آياته حسب المواقف والحوادث التي مرت بالرسول، يسترشد بهذه الآيات التي نزل بها الوحى في كل حادثة من هذه الحوادث وفي كل موقف من هذه المواقف ، وكانت بعض آيات الكتاب تنبيء الرسول يما سيحدث له ولأصحابه في المستقبل ، وكانت بعض آياته تقف الرسول على أخبار المشركين والمنافقين وما كان يدبره هؤلاء وهؤلاء من المؤامرات ونحو ذلك ، كما كانت بعض آياته تنقد حالة المسلمين في كثير من المواقف التي تمر بهم وترشدهم إلى الصواب في هذه المواقف .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم من جميع هسده النواحي الإخبارية وما يتبع هذه الأخبار من نقد وتحليل لمواقف المسلمين والمنافقين ورسم الطريق الذي يسلكه المسلمون تجاه المنافقين ورسم الآداب التي يجب على المسلمين أن يعاملوا بها الرسول. نقول إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من هذه الناحية فقط أمكننا أن نعتبر هذا الكتاب المقدس صحيفة العهد الذي ظهر فيه الاسلام، إذا صبح هذا التعبير، ولكنها صحيفة من طراز آخر بمتاز بالصدق كأحسن ما يكون الصدق وبالنزاهة في التوجيه والارشاد كأحسن ما تكون النزاهية، ولاغرو إنها صحيفة الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا .

وأهم من ذلك كله أن هذه الصحيفة الإلهية كان لها الأثر كل الأثر في خلق مجتمع جديد في الجزيرة العربية هو المجتمع الاسلامي الذي يختلف اختلافاً تاماً عن المجتمع الجاهلي ، يدلنا على ذلك أنه أصبح للمجتمع الاسلامي الجديد على يد الرسول مجموعة من القيم والمفاهيم مخالفة كل المخالفة للقيم والمفاهيم التي كانت للعرب في الجاهلية ، وبعبارة أخرى أهبيح المثل الأعسلي للمسلمين على يد الرسول شيئاً مغايراً كل المغايرة المسلم الجاهلي .

وقد بحث المستشرةون من الغربيين هذه القضية بحثاً مستفيضا ، وأفاد الأستاذ أحمد أمين من هذه البحوث في كتاب؛ فجر الاسلام » ، وقال : إن المثل الأعلى للرجل في الجاهلية كان يتمثل في الشعر العربي عامة وفي المعلقات بوجه خاص ، وقد صور طرفة بن العبد - وهو من شعراء المعلقات - هذا المثل الأعلى في الجاهلية بقوله :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وربك لم أحفل منى قام عودى (١) فمنهمن سبق العاذلات بشربة كميت منى ما تعل بالماء تزبد(٢)

 ⁽١) مدناه و لولا ثلاثه أشياه تقوم عليها حياتى لم أهتم متى جاه ألأجل و تركنى جميع من
 يعودوننى في ألرض .

 ⁽٧) أول هذه الأشياء كلثلاثة إسكانته العاذلات والعذل الذين يلومونني على شرب الخمر المعتقة التي يعلوها الزبد متى ما علاها الماء .

وتقصير يوم اللجن والدجن معجب

ببكنة تحت الحباء المعمسد(١)

وكرى إذا نادى المضيف مجنبا كسيد الغضا ذى السورة المتورد(٢).

وليس شك أن القارىء الحديث بجد صعوبة ما فى قراءة هذه الأبيات. الجاهلية ولكننا نطالب هذا القارىء الحديث بأن يفهم مغزاها وأن يرسم فى ذهنه من خلالها صورة للمثل الأعلى للرجل العربي فى الجاهلية .

وهي صورة رجل يقول أنه لا يعيش حياته إلا لغايات ثلاث:

الغاية الأولى : شرب الخمر ،

الغاية الثانية : قضاء اليوم الغائم الجميل مع المرأة الجميلة ،

الغاية الثالثة: النجدة لكل من يستنجد به والهجوم على من بتعدى على. هذا الضعيف هجوم الذئب على فريسته، والغاية الأولى هي التي عبر عنها البيت الثاني وهي شرب المحمر التي يعلوها الزبد متى علاها الماء،

والغاية الثانية هي التي عبر عنها البيت الثالث – وهي الجلوس إلى الحسناء في اليوم الغائم تحت الحيمة القائمة على العمد ، والغاية الثالثة هي التي عبر عنها البيت الأخير وهي الاسراع لنجدة الحائف أو الملهوف أو الضعيف، ليقفز لنجدته كما يقفز الذئب المختفي وراء الأشجار استعداداً للهجوم على الم

⁽١) الدجن : ألغيم وبهكنة ، المرأة الحسناء ، والمعمد : القائم على أهمدة ، والمعنى أن الشيء الثانى من هذه الأشياء فلثلاثة التي أعيش من أجلها هو قضاء اليوم الغائم الجميل مع. المرأة الحسناء في خيمة كبيرة ذات أعمدة .

⁽۲) كرى : من الكر وهو الجرى ، والمضاف : اللاجيء أو المستنجد والمجنيد (۲) كرى : من الكر وهو الجرى ، والمضاف : اللاجيء أو المنتجد والمجني (بكسر السين). هو الذنب المنتفي وراء الأشجار استعداداً للهجوم على فريسته ، وذى السورة ، معناه ذو النضب الشديد، والمصرد : أى الوارد على عجل . .

و المعنى: إن الشيء الثالث من الأشياء التي يعيش من أجلهار ثوبه لنجدة من يستنهد به كمايته. الذنب على فريسته .

فريسته بكل عنف . ذلك إذن هو المثل الأعلى للرجل العربي في العصر الجاهلي.

أما المثل الأعلى الذي رسمه القرآن للرجل المسلم فإنه يظهر في آيات كثيرة ليس من السهل أن نحصرها ، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى : ويأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنبى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم به ، ومعنى ذلك أن المثل الأعلى للرجل في الإسلام هو غافة الله تعالى مخافة تحول بينه وبين معصية الله ورسوله ، وقوله تعالى يشرح معنى التقوى التي هي المثل الأعلى : « ليساللر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتي المال على حبه ذوى القربي واليتاى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم علما عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

الحق لقد كان الاسلام فى ذاته ثورة كبيرة، وكان لابد لهذه الثورة أن تكون مقرونة بطائفة من القيم الجديدة والمفاهيم الجديدة، ومثل جديدة يقوم عليها المجتمع الجديد، ويصبح بها مغايراً كل المغايرة للمجتمع الذى سبقه إلى الوجود، وهو المجتمع الجاهلي،

4 4 4

يقول الأستاذ توماس أرنولد في كتابه ﴿ الدعوة الاسلامية ﴾(١) .

إن دعوة محمد كانت تعارض كثيراً ما كان ينظر إليه الغريب نظرة ملؤها التقدير والإجسلال حتى ذلك الحين . كما كانت تعلم حديثى العهسد بالإسلام أن يعدوا من القضائل صفات كانت قبل إسلامهم ينظرون إليها نظرة الاحتقار . كان العربى يتباهى برد الشر بالشر ، وينظر إلى كل من يسلك خلاف ذلك نظرته إلى كل نذل ضعيف .

⁽۱) الدعوة إلى الإسلام، تأليف أرنواد -- وترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد الحبيد عابدين، وإسماعيل النحراري . العليمة الثانية سنة ١٩٥٨ مس ٢٧

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كيا يغمر وينفعا ولقد خاطب النبى صلى الله عليه وسسلم أمثال دؤلاء بقول القرآن الكريم وادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينات وبينه عداوة كأنه ولى حميم و.

وكان مجرد فرض الصلاة مثار سخرية من هؤلاء العرب الذين يوجه إليهم محمد رسالته أول الأمر ، وكان من أشق مراحل رسالته أن يوجه تفكير هم وجهة دينية نحو الحالق فلم يكن هذا الشيء معروفا لذى الوثنيين من العرب ، واذلك لم يكونوا مهيشن كل البيؤ لتلقى تعاليم الرجل ، ولم يعدهؤلاء محتملون هذه القيود التي جدالإسلام في فرضها على حريتهم فالحمر والنساء والغناء كانت من أحب الأشياء إلى قلب العربي في الجاهلية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صارما شديدا في نواهيه الخاصة بكل منها ،

وهكذا حمل الإسلام منذ البداية طابع الدين الذي يقوم على الدعوة ويسمى لجذب قلوب الناس وتحويلهم إليه وحمم على الدخول في زمرة أصحبابه .

كل ذلك بطبيعة الحال كان بفعل القرآن الكريمالذي وضع الأساس المتين للمجتمع الإسلامي الجديد ودعا محمد أصحابه إلى التعاون معه في هذا البناء ،

وهدف آخر من أهداف القرآن الكريم ، فى ميدان الدعوة لهذا الدين الجديد، هو تحريض المؤمنين على قتال المشركين حتى ينطقوا و بشهادة و أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله و فإذا رفضوا أن يقولوها وجب على المسلمين أن يقاتلوهم ، وهذا معنى قولنا فى أول هذا الكتاب أن الإسلام كان ثورة كبيرة و دعوة جديدة اعتمدت فى نجاحها على وسيلتين كبير تين هما، الكلمة من جهة والسيف من جهة ثانية ، وقد اعتمد الرسول الكريم على الكلمة وحدها فى العهد المكى . فلما انتقل إلى المدينة المنورة أمره الله تعالى بأن يعتمد علمها وعلى السيف معاً .

(م ع - الإعلام في صدر الإسلام)

ولعل من أخطر القيم أو المفاهيم التي بني القرآن علمها صرح المحتمع الإسلامي الجديد مفهوم الجهاد في سبيل الله وهذا الجمهاد في ذاته من أكبر وسائل الإعلام والدعوة إلى الدين الجديد ، وكتاب الله زاخر بالسور والآيات التي تدعو المسلمين إلى القتال باعتباره إحدى الدعامتين الملتين قام عليهما الإسلام . من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : و وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الحيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنم لا تظلمون به ،

وقوله تعانى : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا ماثتين وإن يدن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ، ، إلخ ،

وقوله تعالى : و ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون .

وقوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم المجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

إن الروح المعنوية بين المسلمين كانت تعلو بهذه الآيات إلى الدرجة التي كانوا فيها يتسابقون إلى الموت في سبيل الله وإلى الدرجة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في غير عهد النبي ﷺ ،

* * *

إننا لانستطيع ولو حرصنا أن نحصى القيم والمفاهيم الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم التي بنى عليها النبي هذا المجتمع الإسلامي بناء سليا ، ولكننا لا نستطيع أن نبرك الكلام عن هذه القيم والمفاهيم دون الإشارة إلى مفهوم الشوري .

قال تعالى: «وأمرهم شورى بينهم » معنى ذلك أن العصمة لا تكون لبشر ولو كان هذا البشر نبياً من الأنبياء أو رسولا من الرسل ، ومحمله معصوم من الخطأ في تبليغ الرسالة ولكنه ليس معصوماً عند الاجتهاد في الرأى «

أذن الرسول لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك فعاتبه الله على ذلك فى قوله تعالى ، « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك اللهن صدقوا و تعلم الكاذبين » .

الخلاصة :

إن النبي عليه كان على سمو منزلته ، وكمال عقله وخلقه معرضاً للخطأ الآله بشر وكان بحاجة إلى الرجوع في كل أمر من أموره إلى أصحابه يقف على آرائهم ويوازن بينها بعقله ، ثم يأخذ بالأمثل في نظره من هذه الآراء، وكان لا بمنعه خطأ واحد من أصحابه في الرأى من أن يعود إليه بالمشورة في المرة الثانية ، وهذا ماعناه القرآن كما سبق ذكر ذلك – بقوله تعالى : في المرة الثانية ، وهذا ماعناه القرآن كما سبق ذكر ذلك – بقوله تعالى : في المرة الثانية عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ،

الحق ــ لقد كانت حياة النبي من أول الرسالة إلى آخرها تشاوراً بيئه وبين كبارالصحابة ، وكانالنبي لا يهمل مع ذلك آراء غير الكبار منالصحابة،

فهذا رأى لبعض المسلمين العاديين يظهر على بقية الآراء في غزوة بدر ه فقد خرج رسول الله في ذلك اليوم واختار هو وكبار الصحابة موضعاً معيناً لهم ولبقية الجيش، فقال لا الحباب بن المنفر » للرسول يَلْكُيني: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال له رسول الله : بل هوالرأى والحرب والمكيدة ، فقال الحباب: يارسول الله .. فإن هذا ليس لك عنزل فانهض بالناس حي تأتى أدنى ماء من القوم فتنزل ، وتردم الآبار ، وتبنى لناحوضاً نماؤه بالماء فنشرب ولا يشربون ، فقعل رسول الله ما أشار به الحباب ،

وفى غزوة الخندق أو الأحزاب أشار سلمان الفارسي على رسول اللمتمالية

أن يحفر خندقا حول المدينة ليدرأ عنها الخطر . فعمل الرسول بمشورته واشترك بنفسه في هذا الحفر .

وأتى الخلفاء الراشدون فأرسوا قواعد الشورى وكان أحدهم لا يقطع بأمر حتى يرجع فيه إلى أهل (الحل والعقد) من كبار الصحابة، ومن ذلك أن اختيار أبى بكر أو عمر لعالها (أى لأمراء الأقاليم) كان يقوم على أساس من تقديم الرأى أو تقديم المشورة. قال عمر ذات يوم لأصحابه (أشيروا على ودلوتى) على رجل أستعمله فى أمر قد دهمنى فقولوا ماعندكم فإنى أريد رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كانأمرهم كان كأنه واحد منهم ، فقالوا نرى لهذه الصفة «الربيم بن زياد الحارثى » فنشر على أمير المؤمنين به فاستدعاه عمر فولاه ووفق فى عمله وحقق ما أراد عمر .

وقيمة كبيرة ومفهوم عظيم من المفاهيم التى بنى عليها القرآن بناءالمجتمع الإسلامي الجديد - هو المفهوم الذي يتصل بعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وهي علاقة تتلخص في أول كلمة قالها أبو بكر بعد توليه الحلافة : - «أطيعوني ما أطعت الله فيكم ورسوله فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم ، وعلى نفس الطريقه سار عمر بن الحطاب في خلافته، وهو القائل : وومن رأى في اعوجاجا فليقومه » فرد عليه أحد الجالسين في المسجد : والله ياعمر

لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه محد سيوفنا .

كان عمر بن الحطاب يشتغل يوما بتقسيم بعض الغنسائم فإذا بعض الحاضرون لقوله هذا الحاضرين بقف بينهم ليقول: اتق الله ياعمر, فغضب الحاضرون لقوله هذا واستكثروا على أمير المؤمنين أن يقال له هذه الدكلمة. فما كان من عمر إلا أن قال لهم: دعوه يقولها فلا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ولاخير فينا إذا لم نتقبلها منكم.

وهكذا قامت العلاقة بين الحاكموالمحكوم في الإسلام على هذهالقاعدة،

وهى قاعدة العدل ، فإذا وقع شيء من الجور – وإن كان قليلا ، وجب على المسلمين أن يكلموا فيه الحاكم و يمنعوه منه فإن اقتنع ورجع إلى الحق وأقام المحدود فلا مخلع ولا يحل خلعه، وإن امتنع عن إقامة الحدود وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى : « وتعاونوا عسلى البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »(١) .

وهل نستطيع أن نترك القيم القرآنية والمفاهيم الإسلامية دون أن نقف وقفة عابرة عند مفهوم التكافل الاجتماعي، ولعل من مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام علاقة المسلم بالمسلم وعلاقة المسلم بالجماعة وعلاقة الرجل بزوجته وعلاقة الفرد بأفراد أسرته، وقد حض القرآن والحديث جميع المسلمين على أن يتنازلوا عن بعض حقوقهم لمصلحة الآخرين، بلي يتنازلوا عن حريتهم الفردية في سبيلي الجماعة، ومن الشواهد على ذلك في الإسلام نظام الوراثة، وذلك بين الأصول والفروع بلغة الفقهاء، أو بين الأقارب أقارب العصب، وأقارب الحواشي، فنظام التوارث عبارة عن التكافل الاجتماعي، بين الأجيال المتعاقبة وبين أفراد الأسرة الواحدة، وهو نظام تقول به الغرائز الإنسانية، وتحتمه الضرورات الاجتماعية، وتشجع عليه محبة الآباء

وفى ذلك بقول رسول الله برائي لأن تترك ورثتك أغنياء خبر من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . إن نظام التكافل الاجتماعي يوجب على كل فرد فى المجتمع الإسلامي مراعاة صالح الجماعة التي يعيش فيها كراعاة صالح نفسه سواء بسواء . قال رسول الله يَهْمُ فَيْ المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) .

وقال رسول الله على الله على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في تصيبنا

⁽١) أبن حرم ، في الملل والنحل جير من ١٧١ إلى ١٧١ :

خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً » (١) ؛

لقد حث القرآن كما حض المحديث على أن يرعى كل مسلم مصلحة المسلم سواء كان أخاه أو أباه أو أمه أو أخته أو زوجته أو خادمه ، ولا أدل على هذا المعنى الأخير من معانى التكافل الاجتماعي اللي دعا إليه القرآن والحديث من قوله مُلِيَّةٍ . ﴿ كَلَّكُم رَاعٌ وَكَلَّكُم مسئولٌ عن رعيته».

أجل لسنا في مقام الإحصاء الدقيق للمفاهيم الجديدة التي أنى بهاالقرآن الكريم، ولكنا نلام إذا أهملنا الحديث عن « مفهوم المساواة في الإسلام ه على النحو الذي شرحه لنا الكتاب الذي نزل على النبي مُنْظِيمًا.

والإسلام دين جاء بتحريم التفرقة العنصرية أو الجنسية أو التفرقة على أساس المال أو الجاه أو السلطان ونحو ذلك .

والرسول نفسه ... رغم أنه المثل الأعلى في سمو الأخلاق بشهادة القرآن الكريم كان بحاجة إلى طريقة ترشده أو درس يتعلمه في هذا المفهوم الجديد ، وهو مفهوم المساواة ، وقد تولى القرآن إرشاده إلى هذا المعنى وأعطاه هذا الدرس ، يدلنا على ذلك حادثان حسدثا للرسول الكريم في حياته مكة .

الأول : حكايته مع الأعمى ، فقد كان الرسول يدرك جيداً أنه إذا تجمع في إقناع السادة والأشراف من قريش بصدق دعوته جاء إقناع بقية أهل مكة وبقية الأفراد في القبائل العربية بهذه اللهوة ، وهي حقيقة من الحقائق التي يعترف بها (رجال الاعلام) . وما زال يؤخذ بها إلى يومنا هذا ، وقد كان الرسول مشغولا في يوم من الأيام بإقناع بعض السادة من قريش ، وإذ ذاك دخل عليه شاب أعمى من فقراء مكة يقال له (عبد الله بن أم مكتوم) وسأل الرسول أن يعلمه مما علمه الله . فما كان

⁽١) روى هذا الحديث بصورة كثيرة ، وكلها تزمى إلى معنى الحرية المحدودة بحدود المعشولية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي :

من الرسول ... بحكم أنه بشر - إلا أن عبس فى وجهه وهو يعلم علم اليقين أن هذا الشاب لم يرشيئاً من هذا العبوس، غير أن السهاء رأت هذا العبوس من النبي ولامته عليه، وفى هذا نزلت سورة عبس (عبس وتونى ، أن جاءه الأعمى ، ومايدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهــو يخشى ، فأنت عنه تلهى) .

والثانى : من هذين الحادثين اللذين وقعا ممكة ، أن نفرا من أشرافها وسادتها ذهبوا إلى رسول الله فى مجلسه وصارحوه بقولهم : يامحمد إننانريد أن نستمع إليك وننظر فى دعوتك ولا يمنعنا من ذلك إلا جلوسك إلى هؤلاء العبيد الذين يحيطون بك وهؤلاء الفقراء الذين لا يليق بنا أن نجلس معهم جنباً إلى جنب ، وقد جئنا إليك لتدبر لنا مجلساً لا يكون فيه واحد من هؤلاء الفقراء أو العبيد ، ولحرص النبي على أن يؤمن بدعوته سادة قريش وسراتهم وقد تهيئوا - فى نظره - نشىء من ذلك ، ولأن عمر بن الحطاب استحسن هذا الرأى وأشار على النبي بأن يعمل به من أجل الدعوة ، أظهر النبي لهم شيئاً من القول . فذا أجمعوا على طلبه وكاد بهيء لم هذا الحلس بالصورة التي سألوها منه ، ولكن السهاء لم تسمح بهذه الصورة التي المخلس بالصورة التي سألوها منه ، ولكن السهاء لم تسمح بهذه الصورة التي تنم عن التميز بين البشر على أساس التقوى .

ولذلك نزل القرآن الكريم بقوله تعالى مخاطباً الرسول :

لا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك علهم تريد زبنة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . إنا أعتدنا للظالمين نارآ أحاط بهم سرادقها» :. إلخ(١).

من هذه الآيات وأمثالها تعلم الرسول ـــ وتعلم الصبحابة ــــ كيف تكون

⁽١) سورة السكهف ... مكية ... الآيتان ٢٨ ، ٢٩

المساواة التي يدعو إليها القرآن فمارسها الرسول في حياته ، ومارسها الصحابة في حياتهم ، ونجح الجميع في تثبيت هذه الصورة في أذهان المسلمين ، وتاريخ الصحابة حافل بالأمثلة عسلي هذه الحقيقة وإن كان عمر أشدهم استمساكا بهذه المساواة على أكمل صورها حكما شهد بذلك التاريخ ، وربحا أتبنا بشواهد على ذلك عند الكلام في عهد عمر بن الحطاب في الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب عشيئة الله تعالى .

4 4 4

وأخيراً نأتى إلى مادة من مواد الإعلام فى القرآن ، ونعنى جا المادة الى تتحدث عن الجنة والنار، وفيها أوصاف كثيرة لماأعده الله لعباده المؤمنين من نعيم كبير فى الجنة، وماأعده الله تعالى للكافرين من العذاب فى النار .

والجنة والنار واليوم الآخر أو يوم الحساب كلها أمور غيبية أخبر بها الرسول الكريم وعنيت بها الكتب الساوية كلها على السواء، وليس هذا هو موضع بحثنا الآن ، ولكن موضوع البحث هنا هو (القيمة الإسلامية) لهذه الأوصاف التي وصف بها القرآن بنوع خاص سكلا من الجنة والنار ، فإلى أي حد تأثر المسلمون بهذه الأوصاف ؟ وإلى أي حد ترك ذلك أثره في سلوكهم مع الرسول ومع الصحابة إذ ذاك ؟

من الصعب علينا في الواقع أن تحصى الآيات التي جاءت بأوصاف الجنة والآيات التي جاءت بأوصاف النار ، واكن يكنى أن نذكر أن من أوصاف الجنة أنها كبيرة ومتسعة (عرضها كعرض السموات والأرض) وأنها تعوى من أنواع النعم والملذات (مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر) فيها حور عين ، وولدان مخلدون، وأكواب وأباريق وكأس من معين ، وأنهار من لين وأنهار من عسل مصنى، وغير ذلك مماتشتي النفس البشرية من ألوان الشراب والطعام إلى آخر هذه الأوصاف التي حفل ما القرآن الكريم والتي قائنا إننا لا نستطيع ولو حرصنا أن نحصى بعضها في هذا الفصل ، ترى ماذا كان فاده الأوصاف من أصداء في بعضها في هذا الفصل ، ترى ماذا كان فاده الأوصاف من أصداء في

تفوس المسلمين منذ قرأ عليهم الرسول هذه الآيات ؟ لقد أخبرنا التاريخ أن المسلمين الذين سمعوا هذه الآيات تبدل حرصهم على الحياة وتقديرهم لحا سخرية بهذه الحياة وبيعاً لها في سبيل الله تعالى ، وهذا هو السبب الذي من أجله تسابق المسلمون الأولون في ميدان الاستشهاد أو الجهاد في سبيل الله .

ولماذا لا يتسابقون إلى ذلك ! ألم يعدهم الله بأنهم سينتقلون من هذه الحياة الدنيا إلى حياة أفضل منها ، وأنهم سيبدلون بهذه الأعمار القصيرة أعمارا طويلة لا يذوقون فيها طعم الموت ولا طعم العداب الذي وجدوه في الدنيا ؟

إن رجل الإعلام إذا نظر إلى هذه المادة من مواد القرآن وإلى التأثير الذي أحدثه في نفوس الناس عندما أصبحت هذه المادة جزءاً من نسيج عقولهم وشيئاً بمزج بأرواحهم ودهائهم لابحق له أن بهمل الحديث عنها أو التنويه بها ، والتاريخ حافل بآلاف الشواهد على المسلمين والمسلمات وعلى الرجال والصبيان الذين يتسابقون إلى الاستشهاد في سبيل الله حتى لقد أقبل على الجهاد من أعفاهم الله من عبء الجهاد ، فقد قال الله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) ومع ذلك فقد كان عمروبن الجموح رجلا أعرج وله أربعة أولاد وكان لهم بمدلك حتى ذهب واستأذن وسول الله في أن يخرج مع أولاده للغزو ليكون له شرف الاستشهاد في سبيل الله في أن يخرج مع أولاده للغزو ليكون له شرف الاستشهاد في سبيل الله في أن يخرج مع أولاده للغزو ليكون له شرف الاستشهاد في سبيل الله فأحاله الرسول إلى قوله تعالى : (ليس على الأعمى حرج وهو أعرج فلم يسع رسول الله إلاأن أذن له .

و يحدثنا التاريخ كذلك عن أمهات وزوجات كن ينافسن أولادهن وأزواجهن على بلوغ هذا الشرف ، حتى لقد كانت واحدة من أولاء تدافع عن الرسول في غزوة أحد ، وقد أحدق به المشركون يريدون قتله ، وكانت الفرصة مواتية لهم للإقدام على هذا العمل ولكن قوة الإيمان عند بعض الصبحابة إذ ذاك ، ومهم هذه السيدة ـــ هي التي حمت الرسول من هذا المصبر ،

وقل مثل هذا فى كثير من الصبية الذين تطوعوا للقتال فى صف الرسول قبل أن يبلغوا الحلم ، ويقدروا على حمل السيف أو الرمح ، وكان الغلمان والصبية يفعلون ذلك بوازع من ضمائرهم وإيمانهم أولا ، وبدافع من أمهانهم المسلمات بعد ذلك .

ولا يسمح لنا المحال في هذا الفصل أن نسترسلي في ضرب الأمثلة والإتيان بالشواهد الكثيرة التي تدل دلالة كبيرة على القيمة الإعلامية لهذه المادة من مواد القرآن ... ونعني بها الأوصاف الممتعة أو المذهلة التي وصف بها الجنة والنار ،

وهكذا نرى أن القرآن الكريم كان ضرباً رائعاً من ضروب الإعلام على يد رسول الله الكريم ، بما أنى به من قيم ومفاهيم جديدة تمختلف كل الاختلاف عن القيم والمفاهيم في عصر الجاهلية . بل كان من أنجيح وسائل الإعلام في الإسلام على وجه الإطلاق .

الفصّل لشانى الأسّاديث النبوية وقوتها الدعائية

كان رسول الله ﷺ معلم هذه الأمة ، وكان قبل ذلك داعية لهذا الدين الذي دخلت فيه هذه الأمة ، ومن أجل هذا حملت خطب النبي الله وأحاديثه طابعين في وقت معاً ، وها :

١ ـ طابع التعليم والإرشاد والهداية .

٢ ــ طابع المتبشير والدعوة أو الدعاية ،

والطابع الأخير هو الذي يعنينا في هذا الفصل، ولعل أكبر شاهد على هذا الطابع أحاديثه برائح في موضوع الجهاد، والجمهاد كان ولايزال من أقوى وسائل الدعوة الإسلامية ومن أعظم أسباب انتشارها - كما نعلم، ومن أبواب الفقه الإسلامي باب بسمى باب الجمهاد - نوه فيه الفقهاء بأجر المحاهدين في سبيل الله، واعتمدوا في ذلك على كثير من آيات الدكتاب المحاهدين في سبيل الله، واعتمدوا في ذلك على كثير من آيات الدكتاب الكريم وهدد عظم من الأحاديث النبوية.

وفى كتب الحديث طائفة صالحة من كلام الرسول فى هذا الباب، فإذا رجعنا إلى كتاب و مفتاح كنوز السنة ، للعالم الهولندى ونستك وجدنا للبخارى خمسة وخمسين حديثاً فى هذا المعنى . ولمسلم تسعة وستين ، وللرمدى خمسة وأربعين ، ولابى داود تمانية وثلاثين . وللنسائى وأحداً وخمسين . ولابن ماجه اثنين وثلاثين .

وهؤلاء هم أشهر من جمعوا حديث رسول الله يَرْلِكُمْ ، وهم خير من تحروا في جمعه كل الصدق والدقة وتحملوا في سبيله كل ما يمكن أن نتصوره من تعب وكد ومشقة .

⁽١) ترجم هذا المكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ محمد فواذ عبدالباق ، راجع باب الجهاد في هذه الترجمة من ١٢٩ .

ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها) .

ومنها : (إن فى الجنة مائة درجة أعمدها الله للمجاهد فى سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السهاء والأرض) .

ومنها : جماء رجل إلى النبي صلى عليه وسلم فقال : لا يارسول الله ما القتال في سبيل الله ؟ فإن أخدنا يقاتل غضباً ويقاتل حمية ، فرفع إليه النبي بين رأسه وقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليسا فهو في سبيل الله عز وجل » .

وفى الحديث الأخر ما يدل على اختلاف مفهوم القتال فى الجاهلية عنه فى اللهاهلية عن حمق وحمية وعصبية ، والقتال فى الجاهلية عن حمق وحمية وعصبية ، والقتال فى الإسلام عن رغبة صادقة فى إعلاء كلمة الله واعتقادا بوجوده ، ومن أحاديثه صلى الله عليه وسلم : لا من مات ولم يغز أو يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق لا .

وخرج رسول الله على جماعة من المسلمين فيهم ابن عباس . فقال : (ألا أخبركم مخير الناس منزلة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : رجل ممسك برأس فرسه في سبيل الله حتى بموت أو يقتل) .

ومن أحاديثه ﷺ في هذا المعنى كذلك : (من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة) .

ومن أشهر أقواله علي (الجنة تحت ظلال السيوف) .

* * •

الحق أن كل واحد من هذه الأحاديث وأمثالها كان عثابة لا شعار ، للثورة الجديدة التي أنى بها الإسلام، ونحن نعلم أنه لا غنى لكل ثورة عن الشعارات، ووظيفة الشعار في كل ثورة هي تلخيص العمل الذي جاءت من أجله أو الأفكار التي أنت لإعلانها والمناداة بها، ومن أجل

ذلك نرى كل زعيم من الزعماء فى كل ثورة من الثورات بجنهد فى صياغة هذه الشعارات ويحاول بعد ذلك أن يرددها ، ويكثر من ترديدها بين الناس حتى يحفظها الناس عن ظهر قلب . وبذلك تصبح لهذه الشعارات قلمرة كبيرة على الإيحاء ، وعليها يعتمد الزعماء فى إذكاء شعور الجهاهير وفى سرعة اعتناقهم للفكرة الجديدة أو العقيدة الجديدة أو الدعوة الجديدة .

من أجل هذا وجدنا فى أحاديث الرسول الكريم مادة قوية تصلح لكل ثورة من الثورات الإسلامية، فلم يكد يمر بالمسلمين عصر من العصورينتقلون فيه من هور إلى هور، أو من نظام إلى نظام ، ومن خلافة إلى خلافة أو من ملك إلى ملك : أو من مذهب إلى مذهب إلا واعتمدوا فيه اعهاها قوياً على الأحاديث النبوية ، وأخلوا منها ما يتفق ودعوتهم أو فكرتهم ومذهبهم ، ذلك أن الشعب الاسلامى لا يسمع حديثا من أحاديث النبي التي الا وترك فى نفسه من الأثر العميق مالا تتركه وسيلة أخرى من وسائل الاعلام أو الإرشاد وذلك باستثناء القرآن الكريم .

وهذه حقيقة ثابتة لا تحتمل الجدل ولا يرقى إليها الشك .

ألاترى أن الأثمة فى جميع المساجد بالبلاد العربية فى وقتنا هذا يسلحون أنفسهم وبملأون خطبهم بمثل هذه الأحاديث فى معنى الجهاد ضدإسرائيل؟ ولو خلت خطبة من الخطب الدينية من بعض هذه الأحاديث النبوية قلت قيمتها وانصرف الناس عنها.

ولنستطرد قليلا فنقول إنه لعل من أبرز الأدلة التاريخية على استغلال الأحاديث النبسوية ما قامت به الخلافة الأموية ، ثم الخلافة العباسية ، ثم الخلافة الفاطمية ، من الاعتماد في دعايتها السياسية على هذه المادة .

وسنكتنى هنا بضرب المثل بما فعلته الخلافة الأموية وبما قامت به هذه اللمولة من الدعاية القوية ضد الإمام على بن أبي طالب . فقد روت لنسا بعض الكتب الأدبية أن الدولة الأموية عمدت إلى تحريف الاحاديث أو إلى

اختلاقها وإسنادها إلى رواة ثقات حتى يصدقها الناس فور سماعها مسندة إلى أولئك الرواة .

ومن هذه الأحاديث التي يشم منها أنها موضوعة لغرض من الأغراض حديث فيه طعن ظاهر على الإمام على بن أبي طالب: (روى عن عروة ابن الزبر أنه قال: حدثتني عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كنت عند رسول الله على إذ أقبل العباس ، وعلى، فقال النبي عليه باعائشة إن هذين (يشير إليهما) (يموتون على غير ملى)(١) ؟

وأغرب من هذا وذاك أن في هذه الكتب رواية عن معاوية بن أبي سفيانُ تقول إن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم ليقرأ الآيةالكريمة «

و ومن الناس مز. يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه و هو ألد الخصام، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا بحب الفساد » وأمره معاوية أن يقول إنها نزلت فى على (٢) ثم أمره معاوية بعد ذلك أن يقرأ الآية :

ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ويقول إنها نزلت في عبد الرحمن بن ملجم قاتل على ، ولكن الفقيه سمرة بنجندب لميقبل ذلك، فبذل له معاوية أربعائة ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له معاوية أربعائة ألف درهم فقبل ، وكان لكل شرف نقطة انصهار - كما يقول الإنجلز - و درجة الانصهار عند هذا الفقيه وصلت إلى هذا الرقم ، ومن حتى المؤرخ أن يشك في هذه الروايات وأمثالها - مما نسجه الحيال حول معاوية ولكما في نظر رجل الإعلام والدعاية لا تخلو مطلقاً من دلالة ، وهي أن رجال السياسة في تلك العصور كانوا يلجأون إلى طرق كثيرة لكسب الجاهير إلى جانبهم، ومن هذه الطرق تفسير القرآن بمايناصر دعوتهم ،

ومن هذه الطرق أيضاً تحريف الأحاديث أو اختلاقها بحيث ندخل

⁽١) كتاب شرح النبيج لابن أبي الحديد ج ١ عن ٨٠ .

⁽٢) نفس المستر ض ٨٥٣ .

فى روع الجياهير أن القادة أو الساسة على حق وأن خصومهم على باطل وهنا يظهر الفرق واضمحاً بين الدعاية البيضاء والدعاية السوداء .

فالدعاية البيضاء تقوم عسلى أهداف شريفة وتستعين على غاياتها بالأحاديث الصحيحة .

أما الدعاية السوداء فإنها تبيح لنفسها تحريف الأحاديث واختلاقها وتفسير الصحيح على غير الوجه الذي قيلت فيه ت

وقد كان معاوية بحس إحساساً قوياً بحاجة إلى تثبيت ملكه وتأييد سلطانه والدفاع عن هذا السلطان ضد هذه الشخصية الرهيبة التي لايمكن التغلب علمها بالطرق المستقيمة وهي شخصية على بن أبي طالب.

فنحن وإن كنا لا نميل إلى تصديق الروايات التي نقلناها عن ابن أبى الحديد فإننا نضع في اعتبارنا معنى لامفر منه وهو كراهية الشيعة لمعاوية بن أبى سفيان ، ومن الجائز أن تكون هذه الكراهية هي التي حملتهم على نسبة هذه التصرفات إلى معاوية .

مهما يكن من شيء فإنه إذا صحت هذه الروايات فإنها تذكر رجل الإعلام والدعاية بالمساومات التي تحدث أحياناً بين بعض أصحاب الصحف من جهة وكبار المعلنين والساسة المغرضين من جهة ثانية ،

فاذا جاء أحد من الساسة أو الرأسماليين وعرض على صاحب جريدة من الجرائد مائة جنيه لكى يتنازل عن نشر مقال من المقالات التى تعارب سياسته أو تضر برأسماله فإنه لا يقبل هذا المبلغ . فإذا عرض عليه السياسي أو المعلن مائتين فإنه لا يقبسل أيضاً وتمضى المساومة بينها حتى يعرض السياسي أو صاحب رأس المال مبلغاً يقرب من ألف جنيه فإن صاحب الجريدة في هذه الحالة قد يقبل ؛ وهذا هو سلطان رأس المال على الصحافة ومهذه الطريقة كان الملوك والسلاطين والحلقاء في بعض عصور الإسلام يتغلبون على الفقهاء وهم الذين عثلون الرأى العام الإسلامي يستعبدونهم بالمادة ويشترون ضائرهم بالمالة هده الطرق.

وإن الفقهاء في تلك العصور الماضية كانوا كالصحفيين في الوقت الحاضر ، منهم من كان له ضمير حي وخوف صحيح من الله ورعاية تامة لمصالح الرعية وشيجاعة نادرة في بجائهة السلطان ، ومهم من كان رقيق الدين غير مكترش بمصالح المسلمين فهو لا يرغب في أن يقوم بالواجب الذي فرضه عليه الدين والضمير .

* * *

لقد استطردنا في الكلام عن الأحاديث النبوية وطرق استغلالها في الأمور السياسية لنقدم الأدلة الواضحة على أن لها قدرة دعائية ازدادت مع الأيام قوة ·

غير أننسا بجب أن نقول في هـذا الفصل أن الأحاديث النبوية كانت تتمشى مع الدعوة الاسلامية ومع القرآن ، وذلك في عهد الرسول وفي عهود الخلفاء الراشدين ، وأنها كانت قوة هائلة في نشر الدين والعمل بالقرآن وذلك ، على الوجه الذي لا نظير له في أية فترة أخرى من فترات الاسلام .

ذلك أن الرسول مَنْ الله كان في جميع أحواله ، وفي كل ما ينطق به من أقوال وأحاديث بمثل القرآن الذي نزل عليه وصدقت السيدة عائشة أم المؤمنين حين سئلت عن خلق الرسول فقالت مَنْ الله و كان خلقه القرآن » .

ونختم الكلام عن الحديث بهذه العبارة التي أوردها الأستاذ(١) أحمد أمين وفيها، يقول: وبعد فقد كان للحديث سواء منه ماكان صحيحاً أو موضوعاً سأكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي . فقد أقبل عليه الناس يتدارسونه إقبالا عظيا وكانت الحركة العلمية في الأمصار تكاد تدور عليه .

 عدة: فالتاريخ الاسلامي بدأ بشكل الحديث. وقصص الأنبياء وما إليهم، جاءت في القرآن وتوسع فيها أصحاب الحديث. ثم توسع فيها القصاص، وظهر القصص ومعه الحكم وقواعد الأخلاق وشيء من فلسفة اليونان والهند والفرس، ووضعت كل هذه المواد وضعاً في الحديث وانتشرت بين الناس على أنها دين. فكان لها من الأثر في الناس ما ليس للتعاليم الدنيوية وفوق ذلك كان الحديث منبعاً للتشريع والمسائل المدنية والجنائية. وعلى الجملة فقد كان الحديث منبعاً للتشريع والمسائل المدنية والجنائية.

أجل ، كان الحديث أوسع مادة للعلم والثقافة وقد أثبتنا في هذا الفصل كيف أن الحديث كان ... إلى جانب هذا وذائة... أوسع مادة للدعاية . فقد اعتمد عليه الحكام في الترويج لسياستهم ، كما اعتمد عليه أهل المداهب الدينية لنشر مذاهبهم ، ومن هنا كثر فيه الوضع ، وذلك تبعاً لكثرة. الدواعي التي دعت إلى هذا الوضع .

الفصّل لثالث العتدوة المحسّنة

والقدوة الحسنة مبنية على غريزة من غرائر الإنسان هي غريزة التقليد أو المحاكاة ، ولهذه الغريزة الإنسانية تأثير فعال في ميدان الإعلام وميدان الإعلان وميدان التربية والتعليم على السواء ، ولذلك يعتمد عليها رجال هذه الميادين كلها بدون استثناء ، فالمربون والمعلمون في جميع مراحل التعليم يسوقون إلى الشباب أمثلة كثيرة للبطولة والأبطال . وذلك في كل مجال من يجالات العمل والمحكمات ، كجال العلم وجال الكشف ، ومجال الأدب ، فضلا عن مجال الحرب والجهاد .

والمعلنون ورجال التسويق بجذبون الناس إلى بضائعهم بطرق الإعلان المختلفة ، ومنها طريقة الترغيب في هذه السلعة أو تلك – ولتكن نوعاً من المنسوجات بأن فلاناً من العظاء أو اللامعين في المجتمع يؤثرونها على غيرها من الأخرى .

ورجال الإعلام – هم الذين يقومون بنزويد الناس بالحقائق السليمة والمعلومات الصحيحة – ينظرون إلى القدوة الحسنة على أنها وسيلة منوسائل الإعلام تغنى في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون إليها أو عقيدة أو سياسة جديدة ينشرون مها ونحو ذلك ، وسنرى في تاريخ الإعلام في صدر الإسلام أن الرسول عليه الصلاة ، والسلام ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كان من أنجح أساليهم في نشر الدعوة الإسلام، أن السلامية أسلوب (القدوة الحسنة) .

وفى ذلك يقول القرآن السكريم ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة محسنة ﴾ وهذا ما فعله الصحابة أبو بكر الصديق وعمر بن الحطاب وعمان بن عقان وعلى بن أبي طالب ، ثم هذا ما فعله بقية أصحاب الرسول من أمثال

عبد الرحمن بن عوف وغيره ممن كانوا مثلاً أعلى في مجال القدوة الحسنة ، ولانبالغ إذا قلناأن تاريخ الرسول والخلفاء الراشدين من بعده و تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم كان ينحصر في هذا المعنى ،

لقد أثبت التاريخ أن الرسول كان مضرب المثل فى معاملة المسلمين. وغير المسلمين .

وفى ذلك يقول القرآن المكريم فى صفة الرسول ٥ وإنك لعلى خلق عظيم ٥ . كما أثبت التاريخ أن كل واحد من صحابة الرسول كان مضرب المثل فى القيم الجديدة التى دعا إليها الدين الجديد ، وفى تحقيق الأهداف التى رسمها الرسول .

أجل - فأبو بكر - وكان رجلا مرموقا في الجاهلية - حين دخل. الإسلام - وهو أول من دخله من الرجال وحذا حذوه كثير من أصحاب رسول الله ، فدخلوا معه هذا الدين الحديد ، كان قدوة حسنة ، أبو بكر الصديق حين رأى ما عاناه العبيد من العذاب الشديد على أيدى سادتهم الذين لم يسمحوا لم بدخول الإسلام اشتراهم بماله الخاص ، ثم أعتقهم وتركهم أحراراً في اعتناق الإسلام ، نقول: أبو بكر حين فعل هذا كله كان بلاريب قدوة حسنة ،

وعمر بن الخطاب حين سمع بأن أنته استجابت الدعوة محمد عليه الصلاة والسلام غضب للدلك وحمل سلاحه واقتحم عليها بينها يريد أن يقتلها فوجدها نقرأ في صيفة في يدها بعض آيات المكتاب فأخد الصحيفة من يلها وقرأ ما فيها فتأثر قلبه ووضع السلاح من يده وذهب مسرعاً إلى الرسول وكان يومثذ في دار الأرقم - ودق الباب بعنف فيخرج رسول الله بنفسه وحاول أن يبعده عن الدار ، فأعلن عمر إسلامه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فصاح الجميع ! الله أكبر ! الله أكبر ، نقول : عمر حين فعل هذا كله كان بلا ريب قدوة حسنة .

وعثمان بن عفان حين تبرع بكل ماله لتجهيز حملة أو غزوة منغزوات.

الرسول ، فقال له الرسول الأعظم: وماذا أبقيت لأولادك يا عثمان ؟ قالله أبقيت لم الله ورسوله ، نقول إن عثمان بن عفان حين فعل هذا كله كانبدون شلك قدوة حسنة .

وعلى بن أبي طالب حين نام في مكان الرسول ليلة الهجرة من مكة اللي المدينة وخاطر بنفسه وروحه ودمه في تلك الليلة ومكن الرسول وصاحبه أبا بكر من الخروج في جنح الليل وجنود المشركين رابضون على باب المنزل ، نقول: إن على بن أبي طالب حين فعل كل هذا كان بلا ريب قلوة حسنة ، وقل مثل هذا في بقية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونخص بالذكر منهم العشرة المبشرين بالحنة وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعبّان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعد بن معاذ ، وأبوعبيدة بن الجراح ، والذي وسعد بن أبي وقاص ، وسعد بن معاذ ، وأبوعبيدة بن الجراح ، والذي رواحد منهم كان قدوة حسنة .

ويطول بنا القول لو أخذنا نذكر الأمثلة التي ضربها كل واحد من الهؤلاء في بجال القدوة الحسنة وليس ذلك غاية لنا في هذا البحث ، لأن الجاله كتب التاريخ والسيرة وغيرها . المهم أن الرسول وأصحابه نجحوا في ممارسة هذه الوسيلة من وسائل الإعلام والتأثير في نفوس الجاهير كان نجاحهم في الغزوات والبعوث وغيرها من الوسائل الإعلامية الأخرى ، وهكذا نجد أن الإسلام قام في حياة الرسول على مرقة أبي بكر وعلى حزم عمر وعلى بذل عبان وعلى فدائية على بن أبي طالب ، رقة أبي بكر وعلى حزم عمر وعلى بذل عبان وعلى فدائية على بن أبي طالب ، إذ كل واحد من هؤلاء الأربعة كان أمة وحده في مجال القدوة الحسنةوهي القدوة التي اقتدى بها المؤمنون الأوائل بعد ذلك ، وجميع هؤلاء كانوا قدوة حسنة في الجهاد في سبيل الدين ، وذلك ، وجميع هؤلاء كانوا قدوة حسنة في الجهاد في سبيل الدين ، وذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

القدوة الحسنة وصاحب الدعوة

ولكن مما لا شك فيه أن المثل الأعلى في القدوة الحسنة إنماكان بتمثل في الرسول نفسه وَ الله فقد كان المثل الأعلى في الصبر ، ولللك تكرر له الأمر من الله تعالى بالصبر وخاصة في العهد المكي قال تعالى : في سورة(ن) وهي السورة الثالثة في تاريخ النزول لا فاصبر لحكم ربك ، إلى المخ

وقال تعالى فى السورة الرابعة فى تاريخ النزول وهى سورة المزمل و المدقق فى السورة المزمل و المدقق فى السورة النبوية و الصبر على ما يقولون واهيجرهم هجراً جميلا ، والمدقق فى السورة النبوية يرى أنالنبي مَرِّلِيَّةِ النّزم خطة الصبر فى نشر الدعوة وكان أكثر ما صبر عليه فى الحقيقة أمران هما :

١ ــ أذى المشركين في مكة .

٢ ــ والحرب الباردة بينه وبين المنافقين في المدينة .

أما أذى المشركين في مكة فقد ضاقبه صدر الرسول عشر سنوات كاملة خلك لأنه كان شديد الحرص على هدايتهم. ونزل عليه قول القرآن الكريم و إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله بهدى من يشاء » ونزل عليه قوله تعالى : و فاصبر كماصبر أولو العزم من الرسل » ، وقوله تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » : وقوله تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك في ما كذبوا وأوذوا حتى أناهم نصرنا ، ولامبدل لكلات الله ولقد جاءله من نبأ المرسلين موإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت ولقد جاءله من نبأ المرسلين موإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على المدى فلا تكونن من الجاهلين »

إلى هـــذا الحد بلغ الغضب والحزن برسسول الله على العنام على العراضهم عن دعوته ، وإلى هذا الحد شدد الله تعالى فى لوم رسوله على هذا الغضب أو الحزن .

على أن الكفار سلكوا كل طريقة ممكنة فى رد محمد عن دعوته ولم يبق أمامهم إلا أن جمعوا كبراءهم وعلى رأسهم أبو سفيان وذهبوا للقاء

عمه أي طالب وقالوا له : يا أبا طالب إن ابن أخيلت قد سب آلهتنا ه وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل بآياتنا فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، ولكن أبا طالب ردهم رد أجميلا وأفهمهم أن النهم التي يوجهوبها لحمد مبالغ فيها فإن محمداً لم يندد بآلهم لأن القرآن نفسه ينهي عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الله ين يدعون من دون الله فيسبوا الله علوا بغير علم ﴾ فلما لم يصل المشركون إلى هدفهم ذهبوا مرة أخرى إلى أبي طالب وقالوا له : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفا ومنزلة فينا ، وقله مألناك أن تنصفنا من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا لا نصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك ، فكانت هذه العبارات علمابة البلاغ النهائي والإندار بالحرب القومية أو الفتنة الأهلية التي لا يعلم مداها إلا الله .

فأرسل أبوطالب إلى النبى يقول له : أبق على نفسات وقومات يا ابن أخى ولا تحملنى مالا طاقة لى به ، فما كان من النبى إلا أن زادته الأزمة إبمانا بالله وإصراراً على موقفه من قريش : وانجه من فوره إلى عمه أبي طالب يقول له (يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى بسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

فازداد العم تقديراً لابن أخيه، ووقف إلى جانبه فى أحرج صاعات الخطر ، وقال للرسول (اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لن أسلمك لشىء أبداً) .

محمد المثل الأعلى في الضبر على الحرب الباردة بينه وبين المنافقين بالمدينة ؛

على أن شر ما منى النبي به فى حياته شبئان هما : النفاق والمنافقون من جهة وترويج الشائعات المضادة من قبل أولئك المنافقين من جهة ثانية ، وقد ضرب النبي أروع المثل في صبره على هاتين الجبهتين ونصره الله في كانا الجهتين ، وكان قدوة للمسلمين في هذين الموقفين.

وقد تعرض النبي لكل هذا الأذي وهو بالمدينة أي بعد هيجرته إليها

من مكة ، وكان بالمدينة رجل أسلم على نفاق - هو عبد الله بن أبي بن سلول ، ويعرف في تاريخ الإسلام بكبير المنافقين ، وكانت له منزلة كبيرة بين قومه حتى ليخيل إلى الناس أنه كان يريد أن يولى أميراً على جميع من بالمدينة ، ولذلك كان يفار كثيراً من الرسول ومحمل في قلبه حقدا دفيناً ضده : وأوضح ما ظهر حقده هذا على النبي علي في حادثتين رواهما التاريخ .

الأولى: حادثة الشائعة الحطيرة الى أشاعها (عبد الله بن أبى) ليفرق بها بين المهاجرين والأنصار فى المدينة حيى لا بجد المهاجرون لهم مفراً من الحروج بأنفسهم وأهلهم عنها - وتفصيل ذلك أنه حدث أن أجيراً لعمر ابن الحطاب اصطدم محليف لقبيلة الحزرج فضربه أجير عمر ، فنادى حليف المجزرج : يامعشر الخزرج ، ونادى أجير عمر يا معشر الأنصار وكادت تكون فتنة بين الفريقين فبخرج وسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مابال دعوة الجاهلية ! فأخيره القوم بما حدث ، فقال بالله عدم عام توهه فإنها كلمة خبيئة منتنة . فغضب عبد الله بن أبى - وكان معه جاعة من قومه (أي خبيئة منتنة . فغضب عبد الله بن أبى - وكان معه جاعة من قومه (أي من قبيلة الخزرج) وفهم غلام يقال له زيد بن الأرقم ، ثم أخذ عبد الله ابن أبى ينعلق بكلمات فيها تعيير للمهاجرين بأن الأنصار آووهم ، ومنها أبن أبى ينعلق بكلمات فيها تعيير للمهاجرين بأن الأنصار آووهم ، ومنها قوله : (والله ما رأيت كاليوم مذلة . . أو قد فعلوها) ؟

نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أظننا ورجال قريش إلا كما قال الأقلمون في أمثالهم : (سمن كلبك يأكلك) أما والله لئن رجعوا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (يعني بالأعز نفسه والأذل النبي) ثم أقبل على من حضره من قومه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بالادكم ، وقاسمتموهم أموالكم أما والله لوأمسكتم عنهم مابأياديهم لتحولوا إلى غير داركم ، و

وسرت الشائعة في أجواء المدينة كالبرق، فقد ذهب الغلام (زيد بن الأرقم) يبلغ رسولالله بماحدث وما سمع فتغير وجه الرسول وقال:ياغلام لعلك غضبت منه ؟ قال الغلام : لا . فقال الرسول : لعله أخطأ سمعك؟ فأصر الغلام على أن نقله صحيح ، ثم زاد على ذلك : وإنى لأرجو أن ينزل الله على نبيه ما يصلق حليني .

وكان عند الرسول عمر بن الحطاب فقال : يا رسول الله مر عباد بن بشر فليقتل عبد الله بن أبي ، فقال الرسول : كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً بقتل أصحابه ؟

واتسعت الشائعة في المدينة ولم يكن للناس حديث إلا فيها ، فأمر الرسول أن يؤذن للمهاجرين بالرحيل عن المدينة ، وكانت ساعة لم يكن لرسول الله أن يرحل فيها لشدة الحر ، ولكنه ارتحل بالناس ليشغلهم عن الحديث في هذه الشائعة وبللك يبدد ما كان يخافه من الحرج ، وهدأت النفوس بعض المنيء ، ثم لم يلبث أن نزلت عليه سورة المنافقين وفها يقول الله تعالى : « هم المدين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ، يقولون الن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

وإذ ذاك مشى عبد الله بن أبي إلى رسول الله وحلف له بالله أنه ماقال بهذا القول ولا تكلم به ، واعتذر الأنصار لرسول الله والهموا الغلام أنه لم يحفظ ما قال ابن أبي ، وقال بعضهم للنبي : فأنت يا رسول الله تخرجه من المدينة إن شئت وهو الذليل وأنت العزيز . ثم قالوا له : يا رسول الله لرفق به فلقد جنتنا وإن قومه لينظمون له الحرز ليتوجوه ماكا وإنه لمرى أنك قد استلبت هذا الملك .

والثانية : من الحوادث التي حقد فها كبير المنافقين (عبد الله بن أبي ابن سلول) على الرسول وقابلها الرسول يصبر عظيم ، حادثة مشهورة في حياة النبي تعرف بحادثة (الإفك) وقد وجد كبير المنافقين في هذه الحادثة فرصة طيبة لمرويج شائعة طعن مها شرف السيدة (عائشة أم المؤمنين) وكانت ساعة

حرجة لم ير النبي يؤلف في حياته أشد منها و لولا أن الله تعالى نجي الرسول منها وأظهر له الحق فيها، وذلك حيث قال تعالى في سورة النور: لا إن الذبن جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خبر لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عناب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفلك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيا أفضم فيه علاب عظيم ه إذ تلقونة بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس الكم به علم وتحسبونه هيئاً وهو عند الله عظيم ه ولولا إذ سمعتموه قالم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ه يعظكم الله أن تعودوا لمئله أبداً إن كنتم مؤمنين ه ويبين الله لسكم الآيات والله علم حكم » ،

هكذا كانت حادثة الإفك وما دار حولها من الشائعات مأساة كبيرة نفى حياة الرسول ، ولسكن الرسول صبر عليها ولم يسىء معاملة زوجه وانتظر حتى جاءه الوحى الذى برأها من هذه الهمة الشنيعة التى لا تتفق وبيت النبوة ، ولاتتفق وسمعة رجل كأبى بكر كان من أشرف الناس فى الجاهلية فكيف يتأى عنه الشرف أو ينأى هو عن الشرف فى الاسلام ،

هكذا كانت الحرب بين النبي والمنافقين حرباً قائمة على الشائعات ولو نجحت واحدة منها في بلوغ الهدف منها لسكانت خطراً على الدعوة وصاحب الدعوة ، وكانت كفيلة بهدم الإسلام في مهده وهدم الرسول في أول يجده ، ولدكن الله حماه وحمى دعوته من جميع هذه الشرور والآفات والشرور .

هكذا كان الرسول مثلا أعلى فى القدوة الحسنة لجميع المسلمين. كان مثلا أعلى فى العدوة الحسنة لجميع المسلمين. كان مثلا أعلى فى العمبر وفى الحلم، وهذا كله من حسن سياسته للمراقية ومن توفيق الله فى تأدية رسالته .

ثم هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بالرسول في جميع

أقوالهم وأعمالهم وسركاتهم وسكناتهم ، فكتب الله لهم النجاح في إقامة هذا الدين ثم صيانته وتثبيته بكل ما في وسعهم من عزم وإيمان وقوة ثم أتموا نشره بعد ذلك بطريقين هما القدوة الحسنة من جهة والسيف من جهة ثانية .

• • •

لقد قلنا غير مرة أن محمداً عليه الصلاة والسلام ، نشر الدعوة وحارب من أجلها بسلاح الأنحلاق قبل سلاح الجند والرماح ولولا حسن الأنحلاق لما حظى النبي عندهم - أى العرب - بكل هذا التقدير - حتى من أعدى أعدائه - وهو أبو سفيان - وكثيراً ما سمعنا عن بعض البهود والنصارى أنهم دخلوا الإسلام لمجرد اقتناعهم بسمو أخلاقه وحسن معاملته وجميل معاشرته وبلوغه فى كل ذلك الدرجات العليا من درجات القدوة الحسنة .

إن القدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل للاتصال بالناس. ومن ثم وجب على كل زعيم أو حاكم أو قائد أن يكون قدوة طيبة لغيره متى أراد لنفسه النجاح في الفكرة أو العمل الذي جاء يدعو له .

الفصل لرابع الانصال الشخصيّ والجَمعي وأثره في نشراً لدين وجمع كلمته لم لمين وأثره في نشراً لدين وجمع كلمته لم لمين

إن الذي لا شك فيه أن الاتصال الشخصي في ذاته أساس بلحميع العمليات الإعلامية من حيثهي ، ومن بينها العملية الإعلامية التي تعرف (بالعلاقات العامة) والعملية التي تعرف (بالإعلان) ولكن الاتصال الشخصي أكثر ما يؤثر في الحقيقة في ميدانين خطيرين هما ميدان الدعوة وميدان الدعاية ، والقدرة على ممارسة الاتصال الذي من هذا النوع شرط في نجاح العمليات الإعلامية التي أشرنا إليها ، ذلك أنه يلعب دوراً خطيراً في الاعلام على جميع المستويات ، ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات البحوث الحديثة تؤكد أهمية الاتصال الشخصي وتنسب إليه مقدرة عظيمة على التأثير في الجماهير أكثر بكثير من بقية وسائل الإعلام العامة (١).

والمهم في هذا الاتصال هو مدى ثقة الجمهور في مصدر الاعلام، لأن علم الثقة هي الأساس الذي يبني عليه الجمهور تصديقه أو عدم تصديقه للرسالة الإعلامية. ويعلل الباحثون من أمثال لازرسفيال وكارتز وغيرهما سر تفوق الاتصال الشخصي في التأثير بأنه « إذا كان من السهل أنينصرف الناس عن المواد الإعلامية التي لا تنفق مع آرائهم وميولهم فإنه ليس من السهل أن يتجنبوا الحديث مع زميل أو قريب أو صديق لهم وخاصة إذا كان موضوع الحديث غير معروف لديهم سلفاً ، كما يتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في عرض وجهات النظر والتأثير في الناس (٢).

⁽١) د. إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير.

⁽٢) نفس المصامر ص ١٢.

الوسيلة من وسائل الإعلام مع قومه ومواطنيه في مكة - وغيرها من مدن الحجاز وذلك في العهد الأول من عهود رسالته وهو العهد المكي بالذات، ذلك أن الرسالة التي جاء بها على القيت نفورا واعتراضاً كبيراً من جانب العرب في مكة ، وإن كانت تربطه بهؤلاء المكيين وشائج القربي لأنهم من قريش ومحمد من قريش ، ومن ثم لم يكن غريباً ما سمعناه عن الأذى الذي لقيه من بعض أعمامه وهو - أبو لهب - وقد بالغ هذا الأخير هو وزوجته في إعنات الرسول حتى نزلت سورة من سور القرآن الكريم في ذمهما ، وفها يقول الله تعالى :

« تبت بدا أبى لهب و تب « ماأغنى عنه ماله و ماكسب « سيصلى نارآ ذات لهب « و امرأته حالة الحطب « في جيدها حبل من مسد » .

وهذا معنى قولنا أن الرسالة الاعلامية لا تؤثر فى الأفراد أو الجهاعات مباشرة ولكن تؤثر فيهم من خلال قادة الرأى فى المجتمع ، وإذا كانت اللاعوة الجديدة لاتتفق مع آراء زعماء قريش وميولهم فقد كان من الصعب أن تتأثر بها جموع مكة والطائف وغيرها من المدن فى الحجاز ، ومع هذا وذاك فلم ينصرف الرسول فى بعض الأحيان عن ممارسة الاتصال الشخصى بهؤلاء القادة والزعماء.

وطفق الرسول بمارس هذه الوسيلة الفعالة فى أول الأمر مع العامة والفقراء ، وقد رأى هؤلاء فى العقيدة الجديدة تحريراً لأنفسهم من قيود وأغلال كثيرة ، ولم تكن لهم أموال ضخمة يخشون عليها ولا تجارة عظيمة يخافون كسادها ولا زعامات كبيرة يضنون بها .

وأخد الرسول يعرض نفسه على القبائل العربية هنا وهناك ويحاول أن يناقش أفرادها سواء كانوا من الأغنياء أو الفقراء وذلك على النحوالذي سنشرحه هذا البحث عند الكلام عن مراحل الدعوة وأسباب نجاحها على يد الرسول.

ومهما يكن من شيء فإن أكثر ما استند الرسول على وسيلة الاتصال

الشخصي كان في المراحل الأولى من الدعوة وبنوع خاص في العهد المكي ، ومعنى ذلك باختصار شديد أن وسيلة الاتصال الشخصي كانت أولى الوسائل التي مارسها الرسول في نشر الدعوة .

لقاء الرسول برجال من الخزرج في البيعة الأونى

وما دمنا نتحدث عن طريقة الاتصال الشخصي المباشر على يدائرسول. فلا ينبغي لنا أن نغفل الحديث عن اتصاله صلى الله عليه وسلم برجال من الخزرج وذلك قبل أن بهاجر إلى المدينة ، وكان هذا اللقاء عندما خرج الرسول في موسم من مواسم العرب ليحرض نفسه على القبائل ، وبينما هو عند (العقبة) إذ لتى رهطاً من الخزرج،وكان الخزرج فىنزاع مستمر مع الأوس في داخل يثرب ، وكانوا مخرجون من حين لآخر للبحث عن قبيلة. من قبائل العرب تعينهم على الأوس ، ووصلوا في ذلك إلى العقبة والقيهم النبي هناك فسألهم قائلاً : من أنتم ؟ فقالوا من الخزرج ، قال: أمن موالي يهود ؟ قالوا نعم.قال: أفلاتجلسونُ أكلمكم؟قالوا: بلي.وجلسوا معه صلى الله عليه وسلم ، وعرض عليهم الاسلام وعندند تذكروا قول اليهود لهمإن نبياً قد. حان وقت ظهوره ، وقد أظل زمانهوسيتعقبونه ليقتلوه كما قتلتءادوإرم ، فلما كلمهم رسول الله صلىالله عليه وسلم و دعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض. يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهودفلايسبقنكم إليه ، فأجابوه عليهاالصلاة و السلام فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض علمهم من الاسلام، وقالوا: إنا قد تركناقومنا وبيهم من العداوة والشرما بيهم فعسى أن يجمعهم اللهبك. وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم قدموا المدينة وذكروا أمر هذا النبي الجديد ودعوهم إلى الإيمان به ـــ حتى إذا كان العام القادم أتى من الأنصار اثنا عشر رجلافلقوا الرسول. (بالعقبة) وكانت البيعة الأولى للنبي 📆 🗥 .

⁽۱) سیرة ابن مشام ج ۱ س ۷۱ .

وعن ابن مسعود قال : وعدنا رسول الله يَلِيْنِ فَى أَصِل العقبة يوم الأضحى ونحن سبعون رجلا ، فأنانا رسول الله فقلنا ، يا رسول الله: سلنا لربائ وسلنا لنفسك وسلنا لأصحابك وأخبرنا ما لنا من النواب على الله تبارك وتعالى وعليك .

قال: أما الذي أسأل لمربي فأن تؤمنوا به ولاتشركوا به شيئاً، وأما الذي أسأل لنفسى فأن تطيعوني أهدكم سبيل الرشاد ، وأسألكم لى ولأصحابي أن تواسونا في ذات أيديكم وأن تمنعونا مما منعتم منه أنفسكم ، فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة . فددنا أيدينا فبايعناه ،

من أجل ذلك كان الاتصال المباشر أول خطوة من خطوات العمل الاعلامي الكبير الذي قام به الرسول ، بل كان من أخطر هذه الصور الاعلامية على الإطلاق ، وقد النزم الرسول بهذه الوسيلة الحطرة منذ بدء الرسالة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى ،

* * *

سبق أن ذكرنا في الفصل الذي عنوانه (القرآن أكبر وسائل الإعلام) أمثلة من المساواة ، ومرة أخرى نؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان في ممارسته لهذه الوسيطة من وسائط الإعلام وهي وسيطة (الاتصال الشخصي) لا يفرق بين الأغنياء والفقراء ولا بين العبيد والسادة وقد حدث في مرة من المرات أن اجتمع النبي بسادة قريش يغربهم بدخول الإسلام فشرحهم مزايا الدين الجديد ، ثم حدث في تلك اللحظة التي كان فيها النبي مشغولا بهذه المهمة أن دخل عليه رجل أعمى من عامة الناس هو عبد الله ابن أم مكتوم ولكن الرسول أهمل هذا الرجل حتى يفرغ من هؤلاءالقوم وفي هذا الموقف من مواقف الرسول نزلت سورةمن سور القرآن الكريم يعاتب الله فيها الرسول عتاباً كبيراً على إهمال هذا الأعمى بحجة انصرافه يعاتب الله فيها الرسول عتاباً كبيراً على إهمال هذا الأعمى بحجة انصرافه ومايدريك لعله يزكى « أو يذكر فتنفعه الذكرى » أما من استغى ومو يخشى والنت له تصدى « وماعليك ألايزكى » وأمامن جاءك يسمى « وهو يخشى فأنت عنه تلهى » . . . إلخ .

وهذا مثل آخر من أمثلة الاتصال الشخصى المباشر مارس فيه النبي الوسيلة الاعلامية الحطيرة لغرض آخر عدا نشر الدين وهو المحافظة على الوحدة بين الأنصار والمهاجرين ، وذلك كما يتضح فيا يل من حديث .

والحق فقد كان اعباد الرسول على على هذه الوسيطة من وسائط الإعلام وهي وسيطة الانصال الشخصي اعباداً كبيراً يدل على حسن سياسته وعلى عظم حكمته في معالجة المواقف الحرجة التي كانت تمو به في حياته، وكادت تفسد العلاقات الطبية بينه وبين أصحابه وألصاره، ولكنه استطاع بسياسته ومبادرته بالاتصال الشخصي المباشر بينه وبين مصادو الفتنة في مثل تلك الساعات الحرجة أن يهدم كل لورة وأن يمحو كل سخط وأن بذيب كل حقد، وأن يعيد نفوس أصحابه أصلى هما كانت عليه قبل حدوث الفتنة، وقد كانت طريقته في كل ذلك الصراحة التامة، والصدق الذي لبس بعده صدق، والشجاعة التي لا تماثلها شجاعة، وبذلك أعاد العلاقات الطبية التي بينه وبين هذه الجاهير إلى أحسن مما كانت عليه من قبل، ومارس في الانتصال الشخصي بالطريقة التي لا تماثلها شجاعة، وبذلك أعاد العلاقات في الانتصال الشخصي بالطريقة التي لايرق البها زعيم في أمة أوقائد في حركة وما ذلك إلا بتوفيق من الله تعالى وحسن توجيهه .

أعطى رسول الله من فيء هوازن ما أعطى في قريش وقبائل العرب ، ولم يعط من هذا النيء لأحد من الأنصار شيئاً ، فغضب الأنصار المذك ، غضباً شديداً وفشت فيهم الشائعات المسيئة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم لبعض إن هذا هو العجب يعطى قريشاً وبحره الله صبرنا وإن كان تقطر من دماء القرشيين فإن كان ما فعل النبي من أمر الله صبرنا وإن كان من أمر رسول الله عاتبناه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ققال : يا وسول الله إن هذا التي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا التي عن فقال عليه الصلاة والسلام فأين أنت من ذلك فقال سعد بن عبادة : يارسول الله ما أنا إلا من قومي ، فقال عليه الصلاة والسلام : فاجمع لى قومك في هذه القبة ، فلما اجتمع الأنصار أناهم رسول الله فقال لهم : من كان من غير الأنصار فلما المتمع الأنصار أناهم رسول الله فقال لهم : من كان من غير الأنصار

فليرجع إلى رحله ، ثم وقف الذي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم ، وموجدة وجدتموها على فى أنفسكم ، ألم آتكم ضالا فهداكم الله بى ؟ وعالة فأغناكم الله بى ؟ وأعداء فألف بين قلوبكم ثم قال يا معشر الأنصار ألا تجيبوننى ؟ قالوا بماذانجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المنة والفضل ، قال رسول الله : أما والله لو شئم لقلم فصدقم وصدقم : أتيتنا مكذبا وصدقناك ، ومخدولا وطريداً فا ويناك ، وعائلا فا سيناك .

فقال الأنصار: المنة لله ولرسوله. قال رسول الله مرة أخرى: ماحديث بلغنى عنكم المغقال بلغنى عنكم المغقال بلغنى عنكم المغقال فقهاء الأنصار أما رؤساؤنا فلم بقولوا شيئاً ، وأما حديثو السن منا فقالوا: يغفر الله تعالى لرسوله يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم الحقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوجدتم يامعشر الأنصار في شيء قليل من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا ويسلم غير هم تبعاً لهم، ووكلتكم إلى إسلامكم الثابت اللمي لايزلزل ؟ إلى لأعطى الرجل - وغيره أحب إلى منه خشية أن بكبه الله في النار ، ألاترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس غيمية أن بكبه الله في النار ، ألاترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس المفجرة لكنت رجلا من الأنصار ، ولوسلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً للملكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، فبكي القوم حتى ابتلت لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظاً . ثم انصرف رسول الله وتفرقوا ،

نهذه طريقته على إلى معالجة الأمور، وهي طريقته في إطفاء نار الفتنة، وهي طريقة بنيت على الصدق والصراحة والرحمة والتقرب إلى الناس والتودد إليهم ومباشرة الانصال الشخصي بهم، هذه الطريقة في السمو بنفوس أصحابه عن الماديات، والعلو بها إلى مستوى الروحانيات، وكان من نتيجة هذا الموقف المثالي في مواقف رسول الله أن رجع القوم من عنده أكثر صفاء في النفوس وطهارة في القلوب وتعلقاً بالرسول، وحما عنده

للمبادئ، الإنسانية التي دعاهم لها ، وما أعلم أن زعيا من زعاء الأرض كان يستطيع أن يتصرف مثل هذه الفتنة على هذا النحو أو يذيب السخط من نفوس قومه بمثل هذه الطريقة .

ضربنا المثل هنا فى مجال الاتصال الشخصى المباشر بالرسول لأنه أضخم شخصية فى الوجود الإسلامى كلسه ولأن الاستشهاد بمسواقفه يغنى عن الاستشهاد بموقف أصحابه .

أما الانصال الجمعى فأظهرما يكون عادة فى بجال الحطابة حين يجتمع الخطيب بعدد كبير من الناس يوجه إليهم كلامه ، ومن أجل ذلك سيتناول هذا المكتاب موضوع (الحطب النبوية) فى الباب الثانى وهو الباب الذى منتحدث فيه عن (الدعوة فى عهد الرسول الملكة وطرق نجاحها) :

الفصّ*ال نخاس* العَصَّصَّ غيرالعَد لآنی

رأينا فيا سبق أن القرآن السكر م اعتمد على وسيلة القصص في سبيل الدعوة والاتصال بالجاهير ، وسنرى الآن كيف أن المسلمين بعد انقطاع الوحى ووفاة الرسول مضوا في طريق القصص، ولسكن مع الفارق الشديد بين القصص القرآني والقصص غير القرآني ، فالأول وهو القرآني لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خطفه ، والتاني غير القرآني كان يبني على الصدق حيناً وعلى الكذب أحياناً ، يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) (١)

(كان أول من قص فى مسجد رسول الله عليه (تميم الدارى)، استأذن عمر بن الحطاب أن يذكر الناس ، فأبى عليه ذلك ، حتى كان آخر ولايته فأذن له عمر أن يذكر الناس فى يوم الجمعة قبل أن نخرج عمر من المسجد ، واستأذن تميم فى ذلك عيمان بن عفان ، فقبل عيمان ذلك) .

وكان تميم هذا نصرانياً من البمن أسلم سنة تسع من الهجرة .

وأما صورة هذه القصص فهى أن يجلس القاص فى المسجد، ويقص على الحاضرين حكايات وأحاديث وأساطير عن الأمم الأخرى لايعتمد فها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب، والظاهر أن هذا القصص كان على نوعين :

قصص للعامة ، وقصص للخاصة .

فأما قصص العامة فهو الذي بجمع إليه نفوس أكثر الناس ، وهذا من القصص مكروه عند فقهاء المسلمين، وأما قصص الخاصة فهو الذي اعتمد عليه أكثر الخلفاء الراشدين، فلما ولى معاوية بن أبي سفيان الحلافة الأموية ولى رجلا من قبله على القصص. فكان إذا انتهى من صلاة الصبح

 ⁽۱) من ۱۹۰ و ما بساها .

جاس هذا الرجل وأخذ يذكر الناس فيبدأ باسم الله والصلاة والسلام على رسوله ، ثم يدعو للخليفة وأهل بيته ويدعو لجنده وقواده ، ثم يدعو على المخالفين له من المسلمين ، كما يدعو على المشركين كافة (۱) ،

وانتشر القصص ودخل عليه الكذب وذلك منذ خلافة على بن أبي طالب حتى اضطر على إلى طرد جميع المشتغلين بالقصص في المساجد واستثنى منهم (الحسن البصرى) لتحريه الصدق في القول، ولكن ممالا شلك فيه أن القصص كان من أكبر أسس الدعاية في عهد الفتن الإسلامية، وأولها: الفتنه الكبرى التي حدثت في أيام الخليفة الثالث عمان بن عفان رضى الله عنه، ثم علا شأن القصص شيئاً فشيئا حتى أصبح عملا من الأعمال الرسمية في الدول الإسلامية، وأصبح القاص أشبه بوزير الإعلام والدعاية في الوقت المحافر مالم يكن أكبر منه، وكان بعض القصاص في تلك المعمود بمن وظيفتين في وقت واحد هما : وظيفة القضاء ووظيفة القصص أو بلغة العصر الذي نعيش فيه بين وزير العدل ووزير الدعاية ، ثم رؤى غما بعد أن يختص الرجل بإحدى هاتين الوظيفتين .

وكان أول من جمع بين القصص والقضاء في مصر الإسلامية هو (سليمان ابن عتر التجيبي) سنة ثمان وثلاثين للهجرة ،

مهما يكن من شيء فعن طريق القصص دخلت على المسلمين أساطير الديانات الأخرى اليهودية والنصرانية ،وكان ذلك سببا من الأسباب التي كلفت رجال الحديث كثيراً من الجهود المضنية في التحرى عن صدق الأحاديث النبوية إلى جانب الأسباب الأخرى التي جعلتهم يعانون من أجل هذه الغاية.

وبسبب ذلك أيضاً امتلأت كتب التاريخ الإسلامي بكثير من الوقائع الزائفة والحوادث المختلفة، وذلك منذ اعتمد المؤرخون المسلمون على مصلوين كبرين هما (وهب بن منبه) (وكعب الأحبار). أما وهب بن منبه فرجل

⁽١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٥٢ – المطبعة الأميرية .

يمنى من أصل فارسى وكان من أهل الكتاب وله معرفة واسعة بقصص الأنبياء وأخبارهم ، وأما كعب الأحبار فيهودى من البين أيضاً وكان مصدراً لتسرب أخبار اليهود إلى المسلمين وعن طريقه أيضاً دخل فى تفسير القرآن الكريم ما يعرف (بالإسرائيليات) .

والحلاصة أن القصص أفاد المسلمين فائدة جزئية عن طريق الدعاية للخلفاء والملوك والسلاطين ، ولكن هذا القصص أخر بنواح ثلاث وهي :

ناحية الحديث النبوى ، وناحية التاريخ الإسلامى ، وناحية الديانة الإسلامية نفسها عن طريق الإسرائيليات – هذا ماحدث فى صدر الإسلام ولكن بتحول الحلافة الإسلامية إلى ملك حقيقى على يد معاوية أصبح القصص شأن كبير فى تحميس الجنود للقتال فضلا عن الدعاية لحلافة جديدة أو مذهب جديد ونحو ذلك ،

لقد كان القصص عنصراً أساسياً فى جيوش المسلمين ، وعليه اعتمد أولوالأمر فى شد أزر الجنود فى الفتوح الإسلامية والحروب الدينية ومن أشهرها الحروب الصلبية المعروفة فى التاريخ.

. . .

وبعد ــ فقد كان لمكل نبى من الأنبياء السابقين معجزة ،وكانت هذه المعجزة في ذاتها أقوى وسائل الدعاية لنجاح النبى في دعوته التي بعث بها من قبل الله تعالى .

فكانت لموسى معجزته التى حدثنا بها القرآن الكريم وهى العصا ،وكانت لعيسى معجزاته التى منها أنه يبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنها أنه يحيى الموتى بإذن الله، وهكذا، أما محمد بن عبدلله فعجزته القرآن، ولم نتحدث عن القرآن بحيث إنه معجزة لهذا المعنى، ومائريد أن نتحدث عن كتاب الله من هذه الناحية، ذلك أننا نحرص على أن نكتنى بالحانب العلمى من جوانب

الإعلام والاتصال بالجاهير في الإسلام ، وليس معنى ذلك أن العلم ينكر المعجزات أو أن العلماء كلهم في تاريخ العالم منكرون لها، ولمكن بمنعنا من الحديث عن المعجزة من الزاوية الإعلامية المخاصة أننا سنلتى بكثير من الباحثين بأخلون علينا هذا السلوك ، ومن هنا تحدثنا عن القرآن في مجال الإعلام والاتصال بالجاهير، وذلك بالطرق والاساليب التي يفهمها البشر في كل زمان ومكان ، وكفانا ذلك عن اللحديث عن القرآن الكريم من حيث إنه المعجزة الكبرى الوحيدة أو الفريدة لرسول الله بالله الله المناه المن



الفصرالسادس مواسم الحسج منعظم وسائل لدعوة

أجمع الباحثون على أن الإسلام دين السلام والمحبة ، ودين الاجتماع والوفاق والوحدة، ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أنه الدين الذي أدرك قيمة الإعلام السليم وقيمة الاتصال بالناس على قاعدة متينة من قواعد الألفة والصدق والإخلاص والأخوة .

وفي الشريعة الإسلامية كثير من العبارات التي تلك دلالة واضحة على هذا المعنى، فصلاة الجاعة تقام خس مرات في اليوم والليلة، وصلاة الجمعة تقام في كل أسبوع مرة، وذلك على نطاق واسع وتجمع أكبر، وفيها يقول الله تعالى: ﴿ يَاأَبُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودَى للصلاة مِن يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير للكم إن كنتم تعلمون وفإذا قضيت الصلاة فانتثروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثير العلكم تفلحون ﴾ ، ثم هناك صلاة عبد الفطر وصلاة عبد الأضحى وفيما تهليل وتكبر وذكر لله كثيرا يصدر من جميع المصابن على شكل نشيد جميل يترك أعظم الأثر في نفوس المسلمين، ويعبر عن شكر جميع المسلمين الله تعلى على النعم التي أفاضها عليهم والانتصار الذي خص به نبهم ودينهم حتى أظهره على الله ين كله .

وأخيراً نأتى إلى التجمع الأكبر الضعفم، والمؤتمر الأعظم ونعنى به يوم الحج الأكبر، وفيه يلتى المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها مستجيبين لنداء الله مهاجرين بقلوبهم إلى الله متجردين العبادة الله، وذلك بالطريقة التى رسمها لهم لايحبدون عنها قيد شعرة.

لقد أخبر هم الله تعالى بقوله : (إن أول بيت وضع الناس الذي بمكة

مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بيئات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً) .

كما أعلمهم الله تعالى أنه كلف أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأن يدعو الناس للحج والطواف بالكعبة فقال تعالى ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات)

***** * *

ونحن لانتحدث عن الحج من حيث هو ركن من أركان الإسلام ولا من حيث هو نوع من الهجرة إلى الله والتجرد الكامل لعبادة الله، كمالانتحدث عن الحج من حيث حكمته البالغة في جمع كلمة المسلمين من شي بقاع العالم، ولامن حيث الغاية التي شرع من أجلها لأتباع هذا الدين، فكل هذه البحوث ليست من قصدنا ولا هي هدف لنا وإنما هدفنا هو التحدث عن المحج من حيث إنه من أكبر وسائل الدعوة الاسلامية حيث إنه مقرون بكثير من المظاهر الإعلامية والأشكال الدعائية التي صحبت أداء هذه الفريضة من أولها إلى آخرها .

ربما كان أول شكل من هذه الأشكال الدعائية هذا النشيد الذي بردده الحجيج وهم مقبلون على مكة ، ويرددونه في أثناء طوافهم بالكعبة وهو النشيد الذي وضعمهم رسول الله الله وفيه يقول (لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك النشيد الذي ، إن الحمد والنعمة لك الاشريك للشريك البيك ، وإن العقير كله في يديك لبيك .

مشهدرائع جميل من مشاهد الدين يثبت العقيدة فى نفوس المسلمين ويزرع الإيمان والسكينة زرعاً آخر فى قلوب المؤمنين ،والأناشيد الحاسية فى كل ثورة دينية أو سياسية أثرها الذى لا يحتاج منا إلى شرح .

من أجل ذلك جعل الله الحيج ركناً من أركان الدين وفرض على كل مستطيع أن يقوم به من المسلمات والمسلمين ، وذلك فى قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا). وقوله بَهِنَيْ (أمها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا) فقال رجل من الحاضرين : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت النبي حتى قالها الرجل ثلاث مرات، فقال عليه الصلاة والسلام (لو قلت نعم لوجبت ولمااستطعتم).

ولحدكمة جليلة أيضاً جعل الله العمرة مثل الحج لقوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة الله) .

وهي فرض على المسلم كالحج مرة واحدة في العمر ، ولكن ذلك مشروط كما في الحج بالقدرة مالا وصحة .وهما ــ أي الحج والعمرة ــمفروضات على كل مسلم ومسلمة ، وفي أالحديث قالت السيدة عائشة (يارسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال: نعم، عليهن جهاد لاقتال فيه، الحج والعمرة) (١).

ونتساءل: ماهى هذه المنافع التى يشهدها الناس فى الحج بجانب العبادة والمتجرد لله تعالى ؟ إن مما لاشك فيه أن التجمعات السلمية فى كل زمان ومكان لا تخلو من الفوائد التى تعود بالمخبر على الإنسان، فمن هذه الفوائد التجارة وتبادل السلع المادية، ومن هذه الفوائد أيضاً الإعلان وتبادل السلع الإخبارية والمواد الروحية، وليس من حق مفسر للقرآن مهما عظم شأنه أن يتجاهل الناحية الأخيرة، ونعنى بها السلع المعنوية أو الاعلامية فما الحجج فى جانب من جوانبه إلا سوق كبيرة تعلو على جميع الأسواق المشهورة فى الأمم القدعة والحديثة، وما كانت هذه الأسواق فى يوم من الأيام مقصورة على البضاعة المعنوية إلا إذا كان هناك سلطان غاشم بحول بقوته وجروته دون تبادل السلع المعنوية.

ودعنا مرة أخرى نوازن بين (النادى) (والحيح الأكبر) ولو أن القياس هنا مع الفوارق العظيمة ، فإذا كان النادى وسيلة من أقوى وسائل الإعلام فى العصور القديمة والسحديثة ، فى القرية أو الحي . . أو المدينة فى الدول الصغيرة أو المكبيرة فكيف بناد كبير ليس له نظير فى العالم كله ، كنادى الحج يجتمع فيه المسلمون من أقاصى الأرض حول مكان واحد ،

⁽٢) كتاب الفقه على المقاهب الأربعة من ١٣٠٠.

هو الكعبة أو جبل (عرفات) ،وفى وقت واحد هو شهر ذى الحجة ، إن المسلمين فى جميع أقطار الدنيا لو دبروا أمرهم وهيئوا نفوسهم لمثل هذا الاجتماع الكبير أو المؤتمر العظيم لمسا استطاعوا تنظيم ذلك بخير من الحج ،

فى هذه البقاع المقدسة يجتمع المسلمون لا فرق ببن كبير وصغير ولابين أييض وأسود ولا ببن أحمر وأصفر ولابين غنى وفقير ولابين سيد ومسود ولابين رجل وامرأة فيتعارفون ويتآلفون ويزورن تلك البقعة التي شهدت مولد الرسول، وكان فيها نزول القرآن الكريم وكان فيها جهاده والله ضد المشركين والمنافقين، ودارت فيها المحرب الباردة بينه وبين اليهود كما دارت فيها المحرب الباردة بينه وبين اليهود كما دارت فيها الحرب الساخنة بينه وبين الكافرين، كما يشهدون تلك الأرض التي هاجر إليها الرسول وشهد فيها من النصر والتأييد ما أنعم به الله عليه وعلى دينه الحنيف،

وانظر معى بعين المخيال مرة أخرى إلى بقية مظاهر الدعوة الاسلامية والأشكال الدعائية التى اقترات بهذه الفريضة الدينية وهى فريضة الحج. فن ذلك الطواف حول الكعبة صبع مرات ظواف قدوم أو إفاضة وطواف توديع، وغير ذلك من ضروب الطواف التى أمر بها الرسول.

ثم انظر معى إلى الصور التى اختارها النبي مراقب لهذا الطواف. ٥ لقد أمر النبي أصحابه أن يتجردوا من ثيامهم المعهودة أو التى تعودوا لبسها كل يوم، وأن يرتدوا ثياباً أخرى غير محيطة، ويتألف كل ثوب من إذا و يغطى النصف الأسفل من الرجل [ورداء يجعل وسطه تحت منكبه الأيمن ويجعل طرفيه على منكبه الأيسر، وقد سميت هذه السنة من سنن الحج ويجعل طرفيه على منكبه الأيسر، وقد سميت هذه السنة من سنن الحج

أتدرى ما هي الحكمة التي دعت الرسول إلى أن يأمر أصحابه باتخاذ هذه الهيئة في تغطية الجسم في أثناء الطواف ؟

⁽١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٢٥ :

لقد كان الرسول يذهب إلى الحج وهو بالمدينة ، فحرص على الظهوو هو وأصحابه على هذه الهيئة التي يغطى فيها أحد كتفيه ويكشف فيها عن الكتف الأخرى لكى يظهر للمشركين هو وأصحابه بمظهر الأقوياء المفتولى العضلات الدين يستطيعون مع قلبهم أن يقاوموا المشركين مع قوتهم ومتانة بنيانهم الجسدى .

إن الطواف إذن – لا يخلو من معنى (المظاهرة) الكبرى التي قصد إليها الرسول قصداً ، وذلك بغية الإعلان عن الدين ، وبغية الظهور بمظهر القوة البدنية إلى جانب القوة الروحية للمسلمين وفي ذلك تخويف للمشركين في مكة وإرهاب لرءوس الكفر في تلك البلدة التي اضطرت النبي وأصحابه إلى الهجرة .

الحق ــ إن فى كل شعيرة من شعائر الحج فضلا عن معنى التجرد والعبادة كما قلمنا ــ معنى من معانى الدعوة الإسلامية، وإشارة بليغة إلى قوة هذه الدعوة .

ومن أهم هذه الإشارات البليغة أو الدعائية - التلبية والطواف .

وفى وقفة عرفات – وذلك فى اليوم التاسع من شهر ذى الحجة – يجتمع المسلمون كذلك من كل أقطار الأرض فى هذا الوادى القريب من مكة فى وقت واحد وبقلب واحد وعيد واحد من أكبر أعياد المسلمين ، وينظمون لأنفسهم أو ينظم الله لهم مؤتمراً ثانياً كوتمرهم حول الكعبة، وفى هذا المؤتمر العظيم، يستطيع المسلمون – لوأرادوا – أن يتبادلوا الرأى فيا يعود على الأمة الإسلامية كلها بالحير، ويذود عنها الشر وينصرهم على العدو.

وإن أسلوب المؤتمرات هو السمة الأساسية للاتصال الشخصى فى عالمنا الحاضر ، ولكن مؤتمر الحج مختلف عنها من حيث تجتمع له كل مقومات النجاح العقائدية والروحية والفكرية .

وشعيرة أخرى من شعائر الحج – هي رمي الحصي أو الجمرات – إذ يأخذ كل واحد منهم تسعاً وأربعين حصاة من أرض يقال لها (المزدلفة) فى طريقهم إلى (منى) ويبيتون فى تلك الجهة حتى إذا أشرق الصباح ذهبوا بجموعهم إلى مكان يقال له (العقبة) وهناك يأخذون فى رمى الحصىأو الجمرات فإذا انهوا من ذلك ذبحوا ذبائحهم وأطعموا الفقراء.

أليست هذه الأعياد من الأمور التي تتلوج بها الدعاية في كل زمان ومكان ؟ وماذا يفعل الناس في أعيادهم منذ القدم أكثر من هذا ؟ إنها إذن مظاهرة كبرى من هذه المظاهرات التي اقترنت بالحج الأكبر، وإنها لذريعة من أقوى ذرائع الدعوة للإسلام والانتصار لنبي الإسلام والاحتفال به على النحو الذي يلقى الرعب في قلوب خصومه وأعدائه.

وشعيرة أخيرة من شعائر الحج هي سعى الحجيج بين الصفا والمروة وإنها لمظاهرة كبرى لاتقل في روعتها عما سبقها من المظاهرات فيها يعلو الهناف للإسلام، ونبي الإسلام، وفيها يكثر الدعاء إلى الله بالرحمة والغفران، وبها يزداد المسلمون تعلقاً بالرسول وإصراراً على التمسك بمبادئه العالية.

وقبل أن يغادر المسلمون مكة المكرمة يعودون إلى الطواف حول الكعبة المشرفة طواف وداع ، وقلوبهم تفيض بالإيمان وقوة الاعتقاد بهذا الذي أرشدهم إلى مواطن الرفعة المعنوبة والنفسية والمادية .

فأين الزعم الديني أوالسياسي أو الاجتماعي الذي يستطيع تنظم مثل هذه التجمعات أوالمؤتمرات ؟ وأين الفرصة التي تتاح الاتصال بالجماهير وتبادل الافكار والآراء والأخبار والمعلومات مثل هذه الفرصة التي تتاح الناس في الحج ؟

ولعل ذلك ما أراده الله تعالى من قوله (ليشهدوا منافع لهم) كما سبق القول فى ذلك، فليت المسلمين فى هذا العصر ينتفعون بهذه الوسيلة الإعلامية القوية، إنهم يستطيعون أن يتخذوا من موسم الحج فى كل عام مؤتمراً إسلامياً عالميًا يعرضون فيها آراءهم وأفكارهم ومشكلاتهم وقضاياهم ومنها قضية فلسطن (۱)

⁽۱) أذكر أنني أديت فريضة الحج عام ١٩٦٨ وأديت شعائر الحج ما أستطعت حتى وصلت مع الحجاج إلى جبل عرفات حسوكان يوماً عظيماً شعرت نيه بسعادة روحية لم أذق مثلها في حياق، عند

ودعنا نختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة التي تعطينا أكبر دليل على أن (يوم الحج الأكبر) تمييزاً ... له عن الحج الأصغر وهو العمرة – أكبر إعلان للإسلام والمسلمين ، وتحذيراً في الوقت نفسه للمشركين والكافرين ، قال تعالى ؛ (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فإن تبتم فهو خبر لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غبر معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب ألم) .

صولكن الذى أحزنني في ذلك اليوم وحز في نفسى كثيراً أذني لم أجدما كنت أنتظره وأتخيله في نفسى قبل ذلك ؛ فقد كنت أنتظرأن أن أشهد أضخم مؤتمر إسلامي هناك يخطب فيه الخطباء في قضية فلسطين ، وهي القضية التي كانت تشغل بال المسلمين في ذلك الحين . وبعد قليل سمت محطيباً وأحداً أخذ يخطب الجاهير في هذه القضية وللكنه لم يطل كما توقعت ولم يعقب عليه خطيباً وأحداً أخذ يخطب الجاهير في هذه القضية وللكنه لم يطل كما توقعت ولم يعقب عليه خطباء آخرون فلم يشجعني ذلك على أن أكون واحداً من أو لئك المعقبين سد برغم أنني كنت في غير كامل صحق في ذلك اليوم .

لقد كانت هذه الفرصة تمينة يتحدث نها زهماء المسلمين في أمور كثيرة من أهمها قضية اللاجئين، ولمكن ذلك الم يحدث فرجت من عرفات في ذلك اليوم وأنا حزين وأريد أن أعلى نفسي من الاستطراد في الحديث .

الفصل لسابع العلاقات الإنسانية في صرر الإستها

نسمع فى العصر الذى نعيش فيه عادة جديدة من مواد الإعلام هى مادة (العلاقات العامة) غير أن هذه المادة إنما تعتبر جزءا من علم أوسع هو علم العلاقات الانسانية، وينقسم هذا العلم إلى قسمين: العلاقات الداخلية أو الحاصة، والعلاقات الحارجية أو العامة، ولا غنى للمؤسسات الحكومية أو الأهلية عن القسمين معاً .

أما العلاقات العامة فهي علاقات المؤسسات بالججاهير من الحارج ، وأما العلاقات الحاصة فهي علاقات المؤسسة في الداخل .

فإذا طبقنا ذلك على الظروف التي أحاطت بالرسول والحلفاء الراشدين في صدر الإسلام وجدنا أن علاقاتهم بالمسلمين من سكان المدينة تمثل العلاقات الداخلية، وأما علاقتهم بغير المسلمين في داخل المدينة وخارجها فتمثل العلاقات العامة ، وقد جمع الرسول وجمع الحلفاء الراشدون من بعده بين هذين النوعين من العلاقات الإنسانية - ولكنهم كانوا قد بدعوا بالعلاقات الداخلية ثم وجهوا عنايتهم إلى العلاقات الحارجية .

ولعل أكبر شاهد على ما نقول أن رسول الله على إلى أرسالته بدعوة أهله وعشرته إلى الإسلام وذلك عملا بقوله تعالى (وأنكر عشرتك الأقربين) فبدأ بدعوة زوجته السيدة خديجة وغلامها ياسر وسمية زوجة ياسر، هذا في المرحلة السرية من مراحل الدعوة، ثم بدأ المرحلة العلنية بدعوة بنى هاشم كما سنشرح ذلك في موضعه .

والعجب أن النظريات الحديثة فى العلاقات الإنسانية تقول إن هذه العلاقات ينبغى أن تبدأ من الداخل ثم تنتهى بالعلاقات العامة أو العلاقات من الخارج ، فانظر كيف اهتدى الرسول إلى ممارسة هذا النوع من أنواع

الإعلام - وهو العلاقات الإنسانية - بطريقة يقرها العلم الحديث ، ذلك أنه بدأ بزوجته وبنى قرابته ثم بأدنى الأصدقاء إلى نفسه ، وهو الصديق أبوبكر ومن فى درجته ، ومضى فى طريقه حتى بلغت الرسالة غايتها بعد ذلك .

ويشبه العلماء المحدث في مارسة العلاقات الإنسانية على هذا النظام المتقدم أعنى به البدء بالاعلام الداخلى والانتهاء بالإعلام الخارجي بالحجر بلتى به في الماء ، فيحدث فيه حركة شديدة ، وإذا بدوائر أو حلقات من الأمواج تتكون حول الحجر ، وتتسع شيئاً فشيئاً ، وهذه الدوائر أو الحلقات إنما تتكون من الداخل أولا وتتسع في اتجاهها إلى الخارج شيئاً فشيئاً حتى تتلاشي بعد ذلك . بناء على هذه القاعدة الحديثة من قواعد العلاقات الانسانية ، يمكن التأكد بأن الإعلام الداخلي بجب أن يكون سابقاً على الإعلام الخارجي ، ومن بل إن الاعلام الخارجي إنما هو انعكاس لابد منه للإعلام الداخلي ، ومن شم كان من الانحطاء التي ترتكبها بعض الدول في وقتنا هذا أن تسلك في الإعلام خطة عكسية ، فلاتصيب هدفا إعلاميا ذا بال ،

ثم إن العلاقات الإنسانية لا تنشأ إلا في جو ثقافي وحضارى يؤمن بقيمة الانسان من حيث هو إنسان له كرامته وله حقوقه على الآخرين ، وعليه واجبات نحوهم، وقد توفرت هذه المعانى في المجتمع الإسلامي وهو المجتمع الذي خلقه وتولى بناءه الرسول الأمين على المجتمع ومن الحطأ كل الحطأ أن يزعم المؤرخون أن هسله المعانى لم توجسه إلا بقيام الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، وفي القرآن آيات كثيرة تتفق على ذلك منها على سبيل المثال : و ولقد كرمنا بني آدم . . . » وفي الحديث قول الرسول على سبيل المثال : و ولقد كرمنا بني آدم . . . » وفي الحديث قول الرسول على الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط) .

فضلاً عن هذا وذاك فإن لفظ (الانسان) أو ابن (آدم) كثيرالورود فى القرآن الكريم بمعنى الكرامة والاحترام، وبوصفه سيداً للطبيعة التى سخرها له الله تعالى وفضله على أى مخلوق سواه، ويضاف إلى كل ذلك ما سبق أن قلناه من أن الاسلام حض على الشورى وأمر المسلمين بها ، بل أمر النبى نفسه باتباعه مع أنه المثل الأعلى للانسان وأنه أرجح عقلا وأكثر علما وأعظم منزلة من جميع الذين عاصروه واتبعوه في دعوته، وفي مثل هذه الأجواء من الديمقراطية ينهيأ الرأى العام وتنهيأ العلاقات الإنسانية وتظهر على أحسن وجه .

وهكذا وفر الإسلام بتعاليم جوا من الإخاء والمساواة جعل من العلاقات الانسانية نباتاً صالحاً للتربة الاسلامية فأصبحت هذه العلاقات الانسانية سمة من سمات المجتمع في صدر الاسلام ، أعنى في عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين من بعده .

ثم حدث بعد ذلك أن انعكست هذه العلاقات الانسانية في داخل المحتمع الاسلامي الضيق في المدينة على الجهات البعيدة عنها ، وعلى الدول الكبيرة المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، كما ظهر ذلك في الوفادات أو التمثيل الدبلوماسي بلغة العصر الحديث ، وهو التمثيل الذي تحقق بشكل ملموس في بعثات النبي بلغة إلى الأمراء والملوك المجاورين .

وسنتحدث عن ذلك بوضوح فى الفصل اللى عنوانه : (الدعوة فى عهد الرسول وأساليب نجاحها) .

وعلى ذلك فنحن لا نبالغ إذا قلنا أن الإعلام الإسلامي هو ألذى وضع النواة الأولى لفن العلاقات الإنسانية بشقيها: العلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية، كما أنه وضع الأساس الأول لفن الدبلوماسية والتعامل الإنساني المتحضر مع الآخرين.

والحقيقة أن عبقرية الدين الإسلامي عبقرية إعلامية في جوهوها كما أشرنا كذلك إلى أنها لم تكن سحراً كما كان الأمر في الموسوية في عصر فرعون مصر المعروف باسم لا منفتاح لا ولم تكن المعجزة طبآ كما كان الأمر في المسيحية أيام الرومان .

ثم إن الرسول عليه الصلاة والسلام فطن كذلك إلى أهمية الشرح

والتفسير باعتباره جزءاً من الإعلام، وكان يبعث بالوفود من القراء والفقهاء لتفسير الدين وشرح القرآن الكريم، كما يفعل خبراء الإعلام من المعلقين والممثلين في العصر الحديث.

وبالختصار نجد أن هذه الوسيلة من وسائل الإعلام كانت من أبرز صور النشاط الإعلامي الذي مارسه الرسول ومارسه الحلفاء الراشدون عوعلينا أن نقيم الأدلة على صدق هذه القضية ، وذلك من حياة الرسول وأصحابه على النحو التالى:

١ ـــ فن ذلك أن الرسول كان يحسن استقبال الوفود العربية التي تفد
 إليه في المدينة و ترغب في اعتناق الإسلام على يديه .

٢ ــ ومن ذلك أيضاً أن الرسول حاول أن يوجد نوعاً من التآخى بين المهاجرين والأنصار منذ هاجر وهو وصاحبه أبو بكر من مكة وتبعه أصحابه من المكين فى ذلك .

٣ ــ ومن خلك أن الرسول حاول أن يوجد نوعاً من العلاقات السياسية بينه وبين اليهود المقيمين معه فى المدينة ، وذلك بقصد التعايش السلمي معهم كما نقول فى لغة العصر الحاضر.

٤ — ومن ذلك ما أشرنا إليه منا حين — من أن الرسول نجيح ف إبجاد العلاقات الدبلوماسية بينه وبين أمراء العرب ، ثم بينه وبين ملك الحبشة وملك الرموم وكسرى وعزيز مصر وغيرهم من الملوك المعروفين فى زمنه ، وكل هذه الجهود التى بلها الرسول تعتبر فى نظر الباحث الحديث صوراً من العلاقات الإنسانية .

من ذلك طريقة المصاهرة ، والمعروف أن النبي على كان له زوجات كثيرة ، ولكن ذلك لم يكن دليلا على ميله الشهوات ـ ولو كان من طريق الحلال ـ ولكن ذلك كان نوعاً من أنواع العلاقات الإنسانية ـ كما سنشرح ذلك فيها بعد .

والواقع أن كل فكرة جديدة أو عقيدة جديدة لا نستطيع أن نجدلها

غنى عن فن العلاقات الإنسانية ، وهذا كلام ينطبق على كل نظام جديد. أو كل حكومة جديدة أو كل فرقة من الفرق السياسية أو الاجهاعية أوالدينية. تظهر في المجتمع .

وإذا كانت العلاقات الإنسائية بشقيها بمكن مزاولتها في العصر الحديث عن طريق الصحف والإذاعة ونحو ذلك فإن العصور القديمة كانت تزاولها بالطرق التي تيسرت لها إذ ذاك كالخطابة ، والشعر ، والندوات والزيارات الرسمية ، ومنها الزيارات التي كان يقوم بها عمر بن الخطاب إلى الأقاليم الإسلامية من حين لآخر رغبة منه في الوقوف على أخبارالوعية من جهة ، وتوطيداً للعلاقات الإنسانية بين المسلمين وولامهم في هذه الأقاليم من جهة ثانية .

ونقطة أخرى لا بد من توضيحها في مجال العلاقات الإنسانية بمفهومها في العصر الذي نعيش فيه : فهناك المؤسسات الحكومية أو الأهلية وهناك المنظات أو الجمعيات التي تهدف إلى الأرباح المالية من طريق النسويق والنسويق وحده قبل أي شيء ، ومن الأمثلة على هذه المنظات ما تراه من الشركات التجارية أو المنشآت الصناعية ، وكل هذه الشركات أو المنشآت في العصر الحاضر إنما تحتاج إلى قوتين في وقت معاً ، هما قوة الإدارة من جانب ، وقوة العلاقات العامة من جانب آخر .

غير أن هناك منظات ومؤسسات ليست محاجة إلى الربح المالى ومن الأمثلة عليها الجامعات والمستشفيات والجمعيات الحيرية كالمبرات وتحو ذلك ، ومن غير المعقول أن يكون مذه المنظات هدف إلى الكسب المادى ، أو بعبارة أخرى ليس لها هدف التسويق ، فالجامعة عملها نشر العلم ، والمستشفى لعلاج المرضى ، والمبرة أو الجمعية الحيرية لمساعدة الفقراء ، وهسكذا .

والمنظات الفكرية والفرق المذهبية لابد أن تكون من النوع الأخير ، ليس لها هدف التسويق وإنما هدفها الوحيد هو ترويج المذهب الجديد أو (م ٧ – الإعلام في صدر الإسلام)

العقيدة الجديدة ونحو ذلك ، ومن هذا القبيل تلك الدعوة التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الدعوة إلى الإسلام ، ومن أجل ذلك مارس الرسول فن العلاقات الإنسائية بالطرق التي أشرنا إليها ، وكانيعتبر بالأنبياء الذين سبقوه إلى مثل هذه الدعوة ، فلا يطلب من العرب أجراً على الجهد الذي يبدله في سبيل الدعوة ، بل كان يقول لهم ماقاله الأنبياء من قبله: (قل ما أسالكم عليه من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد) .

بنى أن نستشهد ببعض الأمثلة على هذه العلاقات الإنسانية التي زاولها الرسول بَرْقَ وقام بها بعض الخلفاء من بعد ، وسنكنى بالأمثلة الآتية :

أولا: طريقة القراء أو الفقهاء الذين يبعث بهم الرسول إلى القبائل العربية التي اعتنقت الإسلام، وكان على أولئك الفقهاء أن يقوموا بأعمال كثيرة منها:

شرح تعاليم الدين الجديد، وتفسر بعض آيات القرآن وبيان الحديث الشريف، ومنها تقوية الروابط بين أقراد هذه القبائل من ناحية والنبي وصحبه وبقية المسلمين من ناحية ثانية ، وإذا كان الهدف الأول و العلاقات العامة في كل زمان ومكان هو إيجاد هذه الروابط الإنسانية السليمة في المجتمع وضهان التفاهم الصحبح بين طرفين هما : الطرف الذي يمثل المستقبل مصدر الرسالة أو المرسل (بكسر السين) والطرف الذي يمثل المستقبل (بكسر الباء) نقول إذا كان هذا هو ألهدف الأول والأخير من العلاقات العامة ، فقد نجح مبعوثو الرسول في أداء هذه المهمة كل النجاح ، وجاهدوا في سبيل هذه الغاية حق الجهاد، وقد وطنوا أنفسهم على التعرض لكل الأخطار في سبيل هذه الغاية حق الجهاد، وقد وطنوا أنفسهم على التعرض لكل الأخطار في سبيل ذلك .

والحق لقد كانت هذه المهمة الجليله محفوفة بالأخطار العظيمة. فقد كان يعض الحونة غلاظ الأكباد من العرب يستدعون الفقهاء بقصد التفقه في

الدين فإذا خلوا بهم قتلوهم غدراً ووحشية وانتقاماً من الإسلام ، حدث حادث كهذا في مكان يقال له (بئر معونة) وذلك في صفر من السنة الوابعة للهجرة(١) وتعرف هذه الواقعة بسرية القراء وكانوا سبعين قارئاً يؤلفون هذه السرية ،

فقد قدم أبو براء سسيد قبائل بنى عامر — إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه هدايا ، وطلب من النبى أن يبعث معه بعض رجال من الصحابة إلى أهل نجد فخاف النبى على أصحابه أن يغدر بهم أهل نجد ورفض الهذايا ، كمار فض أن يبعث برجاله ، ولكن أبابراء أجازهم وضمن سلامهم ، فبعث النبى معه سبعين رجلا من خيار المسلمين ، فلما وصلوا إلى بئر معونة وجدوا أنفسهم عاصرين بجيش كبير ، وضربت أعناق الرجال الأبرار الذين كانوا محملون رسالة السهاء ولم يفر مهم إلا كعب بن زبير وعمرو بن أمية ، فبلغ النبى خبر هم فوجد لهم أشد الوجد وحزن عليهم أعمق الحزن وقال: هذا عمل أبى براء ، فقد كنت لهذا كارها متخوفا ، فبلغ أبا براء ما قاله النبى بالله فات عقب فقد كنت لهذا كارها متخوفا ، فبلغ أبا براء ما قاله النبى بالله فات عقب فقد كنت لهذا كارها متخوفا ، فبلغ أبا براء ما قاله النبى بالله فات عقب فقد كنت لهذا كارها متخوفا ، فبلغ أبا براء ما قاله النبى بالله فات عقب فلك أسفاً على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل .

ووقعت مأساة كهذه في الرجيع سوهواسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان (١) غير أن وقوع هاتسين الحادثتين المؤلمتين اللتين تركتا في النبي عليه أعمق الأسيى والحزن لم عنع النبي من المضى في خطته هذه ، وإرسال القراء إلى القرى العربية للقيام بإفهام المسلمين مبادىء الدين ، وإفهام المشركين أمهم لن يزعزعوا عقائد المسلمين عن طريق الغدر والحيانة التي يمقتها هذا الدين ولا يقرها ولا يعتمد عليها ، وبحل محلها وسيطة من وسائط الاتصال بالناس سعياً وراء نشر الدين وغرس الفضائل الحقيقية التي يغرسها في نفوس المسلمين ، وهي طريقة العلاقات الإنسانية ت

ثانياً : ونعنى بها المصاهرات الى عقدها الرسول مع بعض الصحابة من جانب ، وبعض القبائل العربية من جانب آخر .

⁽١) بشر معوثة : مكان ببلاد قبيلة هايل بين مكة رصفان .

فقد أصهر النبي إلى بكر وعمر وإلى عيان ، كما أصهر النبي إلى بعض القبائل العربية ، ليس ذلك لرغبة في الللة أو الرغبة في المال أو الجاه أو السلطان أو غير ذلك من الأغراض التي تدفع الناس إلى الزواج ، ولكن لتقوية الروابط بينه بالله وبين جميع هؤلاء ،

وصحيح أن الناس في عصرنا هذا قد لا ينظرون إلى المصاهرة بمثل هذه النظرة ، ولكن يرون الملوك والرؤساء في جميع عصور التاريخ يعقدون بده الزيجات لتقوية العلاقات الودية بين دولتين من الدول ، أوبلدين من البلاد، ويرون بأعيبهم أن لهذه الطريقة أكبر الأثر في الوصول إلى هذه النتائج، وفي حياة الرسول على شواهد كثيرة على صدق ما نقول ، ونكتني منها بشاهد واحد يغني عن بقية الشواهد الأخرى ، ويتضح ذلك في غزوة بني المصطلق م

وقعت هذه الغزوة فى السنة الحامسة للهجرة . وبنو المصطلق فرع من فروع خزاعة ، وهى قبيلة مرتبطة مع النبى برباط تحالف وثيق ، كان سيدهم الحارث من ببى ضرار ، وكان بجمع الجيوش لقتال المسلمين ؛ وكان ذلك فى الأعم الأغلب من تحريض قريش . فسمع النبى بذلك واستوثق من صحته ، فأسرع إلى الحروج من المدينة ليأخذ جيوش الحارث على غرة ، نفر الحارث بجيشه ولكن سكان المكان الذى يعبش فيه الحارث ستواسمه المريسيع ، ويبعد تسعة أيام من المدينة أبوا على أنفسهم إلا أن تحاربوا المسلمين ، فالهزموا ووقع فى أيدى المسلمين منهم شائة أسر ، كان من بينهم جويرية بنت الحارث ، فدفع النبى فلينها فطلبت منه الزواج بها فتزوجها . فلما شاع خبر زواجها من الرسول والمائي أطلق المسلمون من بأيدهم من الأسرى إكراماً لمصاغرة النبى إلى بنى المصطلق :

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : لا لقد أعتق بزواج الرسول من جويرية أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطاق ، فما أعلم امرأة أعظم على قومها بركة من هذه المرأة ».

⁽١) عبد الوهاب حودة . ساعات حرجة في حياة الرسول ، من ١٠٢ -- ١١٣ .

ثالثاً : وكما كان الرسول علي نموذجاً أعلى للعلاقات الإنسانية ... كما رأينا ... فكذلك كان صحابته من بعده :

ولعل حاكما من الحكام لايرام منه أن يبلغ فى البر بمخالفيه فى الدين مبلغاً أكرم ولاأرفق مما وصل إليه عمر ، فقد أجرى الصدقة على فقراء اليهود والنصارى، ومن ذلك كما يقول الاستاذ عباس محمود العقاد : أنه أجرى الصدقة على شيخ بهودى مكفوف البصر، وقال فى ذلك؛ ما أنصفناه أن المحلقة على شيخ بهودى مكفوف البصر، وقال فى ذلك؛ ما أنصفناه أن المحلقة على شيخ بهودى مكفوف البصر، وقال فى ذلك؛ ما أنصفناه أن المحلقة على شيخ بهودى مكفوف البصر، وقال فى ذلك؛ ما أنصفناه أن

وقد جعل ذلك سنة فيمن يبلغه أمرهم من الذميين والمعوزين. فمر فى أرض دمشق بقوم مجدمين (أى مصابين بمرض الجدام) من النصارى فأمر ياعطائهم من الصدقات، وأن يجرى عليهم القوت، وله سرضى الله عنه سافى هذا الباب نوادر وأخبار لا يتسع لذكرها هذا المكتاب.

ألا ما أعظم العلاقات الإنسانية وما أقوى سرها وما أنهل مقصدها في عمال الإعلام والاتصال بالناس ا وصدق من قال: إن شرف الوسيلة من شرف الغاية التي تهدف إليها .

البارالية الى الدعوة في عهد الرسول وأساليب نجاحها

و يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذبراً و داعباً إلى الله بإذنه وسراجاً منبراً ه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ه ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكسل على الله وكني بالله وكيلا و

(ممدق الله العظيم)

2000

الدعوة والإعلام والدعاية في الإسلام

مما لا ريب فيه أن الإسلام كان ثورة كبيرة اعتمدت في نجاحها على طريقين لا ثالث لها . وهما ه:

المحلمة من جهة ، والسيف من جهة ثانية ، وسننظر في هذا البحث إلى غزوات النبي على أنها كانت هي الأخرى ضرباً من ضروب الدعوة لنشر الإسلام ، وقد ثبت من التاريخ أن هذه الغزوات التي قام بها الرسول على لم تمكن لها غاية وراء ذلك .

أجل - انتشرت دعوة الإسلام بالوسائل المعروفة فى ذلك الوقت ، ولى كن كان القدماء منذ ظهور الرسول لا يعرفون هذا المصطلح الحديث: مصطلح الإعلام والاتصال بأنواعه الثلاثة: الشخصى والحمعى والحاهيرى، واستخدموا مكانه المصطلح المعروف عندهم وهو مصطلح الدعوة، والدعوة الله شيء هي البرغيب في هذا الذيء أو بمعنى آخر الدعاية له. وتحن لانسي إلى الدين إذا قلنا أن العمل الذي قام به الرسول المكريم من أجل هذا الدين هو دعاية طيبة له ما دامت الدعاية في ذاتها لها معنيان على الأقل : الدعاية الطيبة أو البيضاء والدعاية الحبيثة أو السوداء ، وتحن نعلم علم اليقين أن الطيبة أو البيضاء والدعاية الحبيثة أو السوداء ، وتحن نعلم علم اليقين أن الرسول كان مسئولا أمام ربه عن عمل واحد فقط هو الإعلام أو التبليغ ، قال تعالى : « ايس عليك هداهم ولحن الله بهدى من يشاء » والحلاصة أننا مع القدماء في إطلاق اسم ولدكن الله بهدى من يشاء » والحلاصة أننا مع القدماء في إطلاق اسم النبوية بغير هذا الاسم وهو (الدعوة) بمعني الاتصال والدعاية لهذا الدين حتى يعرفه الناس ،

وقد مارس الرسول طائفة من طرق الدعوة والاتصال بالناس في سبيل نشر الدين ، ويشرح هذا البحث كيف نجح الرسول في كل ذلك مجاحا منقطع النظير ، وكيف أن الله تعالى زوده بجميع الاخلاق التي لا بد منها للداعي إلى هذا الدين الجديد ، وريما كان من أولى الصفات التي محتاج إليها الداعية المثالي صفة (الصدق في القول) وصفة (الصبرعلي العمل) ، وتحن نعلم جيداً أن الجمهود التي بذلها الدعاة ورجال الإعلام والاتصال بالجماهير لا تكلل بالنجاح ما لم تعتمد على قاعدة الصدق بكل ما تحمل هذه بالجماهير لا تكلل بالنجاح ما لم تعتمد على قاعدة الصدق بكل ما تحمل هذه بالكلمة من معنى ؛ ولذلك كانت هذه الصفة من أولى صفات الرسل والأنبياء كما حدثنا القرآن الكريم.

وكان بين مثلا أعلى في هذه الصفة بنوع خاص، ومن أجل هذا صدقه العرب حين جاءهم برسالة السهاء ؛ بل من أجل ذلك لم يكن عبثا ولا من قبيل الصدف أن وحدنا محمدا عليه الصلاة والسلام في بداية المرحلة العلنية من مراحل الدعوة الإسلامية يقف بين أهله وعشيرته ويبدأ الحديث معهم بقوله لهم :

هل سمعتمونی یوماً أقول كذباً ؟ قالوا : لا • إننا لم نعرف عنك غیر الصدق ، ثم سألهم : أرأیتم لو أخبر تكم أن خیلا بسفح هذا الجبل ، أكنتم تصدقونتی ؟ قالوا : نعم أنت عندنا غیر متهم .

ثم أدلى لهم بالرسالة التي بعثه الله بها على الفور *

معنى ذلك فى نظر رجل الإعلام أن الاتصال بالناس لا يقوم إلا على الثقة التامة بين مصدر الرسالة من جهة ، والجمهور الذى الذى يتلتى الرسالة من جهة ثانية .

ومعنى ذلك أيضاً أن الإعلام بمعناه السليم هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابنة التى تساعد الناس على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع ، أو مشكلة من المشكلات ، فإذا خلت هذه العملية الإعلامية من الصدق لم تصبح إعلاماً بالمعنى الصحيح،

بل هي نوع آخر ، كأن تكون تضليلا للجمهور ، أو مؤامرة سوداء ضد هذا الجمهور ونحو ذلك ، وقد برثت الدعوة الإسلامية من مثل هذه الصفات ، ولذا كتب لها النجاح التام ، ذلك أن محمداً كان كما قلنا مثلا أعلى في الصدق إلى الحد الذي جعل العرب يصدقونه في كلامه ، ولو جاء يخبر الساء .

والذي نريد أن نخلص إليه من هذا الحديث الذي سقناه إلى الآن هو أن ما قام به الرسول من الجهود الشر الإسلام كان (إعلاماً) صرفاً بلغة العصر الحاضر، (دعوة) صادقة بلغة المسلمين في العصور التي سبقتنا، وحسبنا أن نعرف أنه كان من أهم الوسائل الإعلامية التي أتيحت للرسول إذ ذاك وسيلة (القرآن الكريم) والقرآن الكريم (لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، ثم في عهد الخلفاء الراشدين انقطع الوحي ، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى فانقطع بذلك مصدر ثان من مصادر الإعلام والاتصال بالناس على أحسن صور هدا الاتصال ، وهذا المصدر الإعلام والاتصال بالناس على أحسن صور الكريم والحديث بقيا بعد وفاة الذي نبراسا لجميع المسلمين منذ عصر الحلفاء الراشدين يعتمدون عليهما في هذاية المسلمين وجذبهم إلى المثل الأعلى ،

ثم أضيف إلى هاتين الوسيلتين من وسائل الإعلام وهما القرآن والسنة وسائل أخرى مارسها الحلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الملوك والسلاطين قد شرح البحث أمثلة منها ، غير أننا سنرى بوضوح أن تلك العصوراتي أتت بعد الرسول لم تعد قادرة على الاعتاد على الإعلام وجده من ضروب الاتصال بالناس ولكنها احتاجت إلى الاعتادعلى (الدعاية). معنى ذلك أن الحلاقة في الإسلام لم تجد لها غي عن هذه الوسيلة التي عتاج الهاكل نظام جديد من أنظمة الحكم في أي زمان ومكان ، ومن ثم كان الفرق عظيا بين (الدعوة) في عهد الرسول (والدعاية) في عهد الخلفاء

والملوك والسلاطين ، غيرأن الاعباد على الدعاية وحدها لم يظهر بوضوح كما ظهرت منذ نشوء الدولة الأموية ثم العباسية ثم الفاطمية ، أو بمعنى آخر منذ تحولت الحلافة الإسلامية إلى ملك عضوض كما يقول المؤرخون السابقون .

والذي لاشك فيه أن الدعاية قوة سياسية كبيرة في وسعها أن تقيم دولا وأن تهدم أخرى ، وفي وسعها أن تنشر مذهباً وأن تقتل آخر ، ومن ثم كانت الدعاية هي الدعامة التي قامت عليها جميع الدول الإسلامية منذ أن انهي العهد بدولة الحلفاء الراشدين ، وكان من أقوى العوامل التي جعلت للدعاية كل هذه القوة و الأهمية انقسام المسلمين إلى فرق دينية وحرص كل واحدة منها على أن تظهر على جميع الفرق الأخرى ، فلقد كانت الدولة الأموية عثمانية الهوى تكره علياً وأولاده وأنباعه كل الكراهية ثم جاءت الملولة العباسية فكانت تنظاهر بالتشيع لآل البيت أول الأمر حتى إذا نجحت الموسول إلى غايتها انخذت من (الاعتزال) ملهباً لها، ودعت له وحاربت عميع الملهب الشيعي هو جميع الملهب النبي اعتنقته الدولة ، ثم في عهد الفاطميين كان المذهب الشيعي هو المشعب الشيعي وهكذا ، ، مجاء صلاح الدين فأعاد الناس إلى المذهب الشيني وهكذا

والنتيجة التى نخرج بها من هذا الحديث هى أن الفرق عظم بين الدعوة والإعلام ، والدعاية . فالدعوة هى الجهود التى يبذلها أصحاب الأفكار الجديدة والعمالة المعالد الجديدة أو المذاهب الجديدة ومن أعظم الأمثلة عليها الدعوة التى الرسول المشرها وهى دعوة الإسلام ، والإعلام هو الجهود التى يبذلها الناس لتأييد هذه الأفكار أوالعمائد أو المذاهب ، ومن ذلك جميع الجهود التى بنظا الحلفاء الراشدون – وكلهم من صحابة الذي وحواريه – فى تثبيت هذا الدين الجديد وذلك بعد أن فرغ الرسول من تبليغ الرسالة وأداء الأمانة والقيام بالدعوة على أحسن وجه والدعاية هى الأسلوب الذى يروج لفكرة أوعقيدة أو مذهب أو يدحض كل ذلك عن طريق المتأثير

فى عواطف الفرد أو الجاعة واستهوائها بقدر المستطاع ، ومن ذلك مافعلته. الحلافة الأموية وما تلاها من الحكومات الإسلامية على اختلافها إلىاليوم .

ولقد قامت كل من المدعوة والإعلام والدعاية على فن الاتصال بالغير ، وهو أنواع ثلاثة الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي والاتصال الجهاهير . والعصور القديمة هي التي عرفت النوعين الأولين الشخصي والجمعي والعصور التي نعيش فيها هي التي انفردت بالاتصال بالجاهير ، وذلك منذ اختراع الوسائل الحديثة للإعلام مثل الصحف والراديو والتلفزيون وهي الأجهزة التي تستطيع الاتصال بالجاهير التي تعسد بالملايين .

معنى ذلك باختصار أن الاتصال في الإسلام مر بهذه الأطوار الثلاثة :

الأول: طور الدعوة الإسلامية ، وهو خاص محياة النبي بَرَاقِيْم وبه سميت جميع الجهود التي بلطا في سبيل هذا الدين الجديد .

الثانى : طور الإعلام وبه سميت معظم الجهود التى بللها الخالهاء الراشدون وهم اللين كانت حياتهم فى جملها صورة من حياة الرسول ، . أو على الأقل حرصوا كل الحرص أن تكون حياتهم كذلك .

الثالث ، طور الدعاية ... وعليه قامت المخلافة الإسلامية والمالك والإمارات في الإسلام منذ معاوية بن أبي سفيان رأس المخلافة الأموية إلى يومنا هذا .

أجلى ـ كان الطور الأول من أطوار الاتصال في الإسلام هو طور الدعوة ١٠ ونريدأن نستشهد على ذلك بالقرآن الكريم نفسه ـ فنحن إذا تتبعنا القرآن نفسه من حيث تاريخ النزول وجدنا أن أول سورة نزلت على الرسول هي سورة (اقرأ) وهي السورة التي أعلمته صلوات الله وملامه عليه بالرسالة ، وبأنه مبعوث من قبل الله تعالى لنشر دعوة جديدة وهي الدعوة إلى الإسلام . .

ثم تلبّها في النزول سورة المدثر وفيها يقول الله تعالى ، و يا أيها المدثرج

قم فأنذره وربك فكبر ، وثبابك فطهره والرجز فاهجره ولا تمن تستكثر ... ولربك فاصبر ...

ولا بأس من الوقوف قليلا أمام هذه السورة الكريمة لأن فيها إشارة إلى تكليف الله تعالى رسوله محمداً بنشر الدعوة وفيها إشارة أيضاً إلى الأسلحة الني لا بدله صلى الله عليه وسلم من أن يتسلح بها في القيام بهذا العمل.

في قوله تعالى : ﴿ قَمَ فَأَنْدُر ﴾ أُمرِ مِنْ الله تعالى لرسوله بأن ينذر الناس عمى القيام بإعلامهم وتنبيههم إلى الدعوة الجديدة ، وذلك أن الإنذار في اللغة هو الإعلام والتنبيه وليس معناه الإرهاب والتخويف .

والدليل على ذلك أن الإسلام في أول خطوة من خطواته ليس محاجة إلى هذا المعنى الأخير ، والرسول نفسه لا يستطيع أن يفتتح رسالته على هذا النحو .

ثم في قوله تعالى : (وربك فكبر) أمر من الله تعالى لرسوله أن يكبر ربه ويعظمه ويقدسه ، فهذه هي العقيدة الجلديدة التي بعث مها رسوله .

ثم فى قوله تعانى ؛ (وثيابك فطهر) أمر من الله تعالى لنبيه أن يقوم بتطهير نفسه من جميع الآثام والمعاصى وأن يحررها من كل دنس ، والعرب تقول فلان طاهر الثوب، أو الذيل كناية عن أنه شريف طاهر النفس وذلك أنه لا يلازم الإنسان فى جميع أطوار حياته ملازمة تامة شىء مثل ثيابه ، فكأنها عنوان لذاته .

نم فى قوله تعانى : (والرجز فاهجر) ونرى أن الرجز فى اللغة هوالعداب والمقصود هنا البعد عن الآثام والمعاصى التى تسبب للإنسان العداب فى الدنيا والآخرة ، فهى فى الدنيا نهلك الجسم ، وتبدد القوة والعافية وتهد كيان الإنسان وتوهن القوى ، وفى الآخرة تعرض المرء لعذاب جهنم .

ثم فى قوله تعالى : (ولا تمنن تستكثر) أمر من الله تعالى لرسوله الأمين (ألا يضعف) لأنه إذا أظهر الضعف أمام هذه الرسالة أخذ يستكثر أعباءها ويستطيل طريقها ويظن نفسه غير قادر عليها بحال من الأحوال : ثم فى قوله تعالى لرسوله (ولربك فاصبر) أمر آخر من الله تبارك وتعالى لرسوله أن يصبر على أعباء الرسالة ويوطن نفسه على تحمل هذه الأعباء ولا سبيل له غير ذلك .

يقول الأستاذ عبد الوهاب حمودة تعليقاً على هذه السورة الكريمة ما معناه :

إن نجاح أى دعوة من الدعوات إنما يكون بطريق الاتصال المباشر بشرط أن يتسلح الداعي بأسلحة ثلاثة :

الأول : سلاح العقل الذي مهدى صاحبه إلى الدعوة المجديدة أوالعقيدة الصحيحة وهي هنا في سورة المدثّر عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام .

والثانى : سلاح النفس بمعنى تحريرها من الأخلاق السيئة والعادات الذميمة الى كان عليها العرب في الجاهلية وقت ظهور الدعوة ١

والثالث : سلاح البدن وذلك مجايته من الآثام الى تهلك الأجسام وتهد كيانها وتوهن من قونها فلا يستطيغ صاحبها أن يقوم برسالة أو يتشردعوة ،

ويضاف إلى ذلك أن السورة الكريمة أشارت إلى سلاح رابع له أهميته وخطره فى هذا المحال ، وهذا السلاح الرابع والأخير هو سلاح الصبر وبدونه لا يستطيع نبى أن يؤدى رسالته ولا يقوى زعيم من الزعماء على أن ينفذ خطته .

وننظر بعد ذلك نظرة إجالية في الآيات القرآنية التي تحمل معنى (الدعوة) فنجد بعض هذه الآيات نزلت ممكة المكرمة حيث كان النبي برائل بجاهد المشركين في ظلام ويلتى مهم من ألوان العنت والتعديب ما تمتلىء به كتب السرة ، ومن هذه الآيات قول الله تبارك تعالى .

« ادع إلى سبيل رباك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ».

وقوله : ﴿ وَإِنَّ النَّبِينَ أُورِثُوا الكتابِ مِن بِعِدِهُم لَنَى شَلَّتُ مِنْهُ مُرْيِبٍ ۗ ﴿ فَلَلْكُ فَادِعُ وَاسْتَقِمْ كُمَا أَمْرِتَ وَلَا تَنْبِعُ أَهُوامِهُم ، وقل آمنت بما أَنزِلُ اللهِ من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم. أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » .

والآيات المكية كلها تدعو إلى نشر العقيدة الجديدة بالطرق السلمية ، أما الآيات المدنية فقد نزلت على الرسول الأعظم بالمدينة المنورة بعد أن أصبح في ذروة القوة ولهجها مغايرة للهجة الآيات التي نزلت عليه في مكة المكرمة ومنها :

« وقل اللذين أو توا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصبر بالعباد » (سورة آل عمران آية ٢٠) . وقوله تعالى : « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ، فلايناز عنك فى الأمر ، وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ، وإن جادلوك فقل الله أعلم عما تعملون » (سورة الحج ٢٧ – ٢٨) .

وقد أتى الأستاذ أرنولد ععظم الآيات السابقة ثم قال : (١)

ينبغى ألا نلتمس الأدلة على روح الدعوة الإسلامية فى مآثر المحارب المسلم — ذلك البطل الأسطورى الذى حمل السيف في حدى يديه وحمل القرآن الكريم فى اليد الأخرى ، وإنما نلتمسها فى تلك الأعمال الودية الهادئة التي قام بها الدعاة الذين حملوا عقيدتهم إلى كل صقع من الأرض . وقلم جاء بها القرآن الكريم مشدداً فى الحض على هذه الطرق السلمية كما يدل على ذلك قوله تعالى :

« واصبر على مايقولون واهجرهم هبجر آجميلا. وذرنى والمكذبين أولى النعمة وأمهلهم قليلا » (سورة المزمل آية ١٠ -- ١١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلَ لَلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفُرُوا لَلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَامُ اللهِ لَيُعْمُ اللهِ لَلْ ليجزى قوما بِمَاكَانُوا يَكْسَبُونَ ﴾ (سورة الجاثية آية ١٤).

⁽۱) توماس أر تولد سالدموة إلى الإسلام – ترجمه إبراهيم وَعبد المجيد عابدين. واسماعيل النحراوي من ۲۸ .

وقوله تعالى : « وقال الذين أشركوا لو شاءالله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولاآباؤنا ، ولا حرمنا من دونه من شيء ،كذلك فعل الذين من . قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » (سورة النحل آية ٣٥) ،

وقوله تعالى : a ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون a (سورة العنكبوت آية ٤٦) .

وقوله تعالى : ﴿ ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (سورة يونس آية ٩٩) ·

كل هذه الآيات المتقدمة في الحيض على الطرق السلمية نزلت على الرسول والتي عكم المكرمة ، وبالمدينة المنورة نزلت عليه آيات في هذا المعنى ومنها قوله تعالى :

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حمل وعليكم ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » .
(ضورة النور آية ٤٥)

على أن الدعوة التي بعث ما محمد – وهي دعوته للإسلام لم يقصد مها العرب وحدهم دون غيرهم ، بل كانت دعوة للناس كافة ، لا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم من الأمم .

فانظر إلى قوله تعالى في وصف القرآن الكريم :

« إن هو إلا ذكر للعالمين » . (سورة ص ، الآية ٨٧)

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ تبا رك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ . (سورة الفرقان الآية ١)

وقوله تعالى: « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . (سورة سبأ الآية ٢٨)

ب وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَمَّا النَّاسِ إِنَّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيمًا ۗ ﴾ . (سورة الأعراف الآية ١٥٨)

الفصل لأول المرسة المرسة

تقول دائرة المعارف البريطانية في مادة (قرآن) لا جاء محمد بدعوة جديدة هي دعوة الإسلام ، وكان هذا الرسول أوفر الأنبياء والشخصيات الدينية حظا من النجاح . فقد أنجز في عشرين عاماً من حباته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصاري رغم السلطة الزمنية التي كانت تساند هؤلاء ، ورغم أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنية والخرافة والجهل والبغاء والرباوالقار ومعاقرة الخمور ، واضطهاد الضعفاء ، والحروب الكثيرة بين القبائل العربية ومئات الشرور الأخرى » .

هذا ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية نقلناه بنصه ؛ ونضيف إلى دنك أن هذا النجاح الكبير الذى صادفه الرسول لم يتم إلا بتوفيق من الله تعالى وبوسائط إعلامية كثيرة مارسها الرسول ، وكانت من رسم القرآن الكريم ووحيه وتخطيطه فى أكثر الأحيان كما اتضح لنا ذلك فى الباب الأول من أبواب هذا الكتاب ، وكما سيتضح لنا كذلك فى فصول الباب الثانى ، وتحدثنا كتب السيرة أن هذه الدعوة سارت فى أربع مراحل بنوع خاص وهى :

- ١ ــ مرحلة الدعوة السرية .
- ٢ ... مرحلة الدعوة العلنية ،
- ٣ ... مرحلة الاضطهاد الديني في مكة المكرمة 🔻
 - ٤ مرحلة الهجرة .
 - ه ـــ مرحلة الاستقرار بالمدينة .

(مه -- الإعلام في صدر الإسلام)

وبدأ النبى حياته بالمدينة بسياسة رشيدة لا نعلم لها نظير ا فى أى عصر من عصور التاريخ البشرى ، وقد بنيت هذه السياسة على أمرين :

الأول: حركة المؤاخاة بين المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، والأنصار الذين هم السكان الأصليون بالمدينة المنورة والذين استقبلوا النبي أروع استقبال كما سيأتى ذكر ذلك .

والثانى: حركة التعايش السلمى بين المسلمين واليهود المقيمين بالمدينة ، وفى المدينة وبعد الاستقرار الذى أتى عقب الهجرة بدأت الغزوات أو الحروب التى دارت بين الرسول وأهل مكة ، ومن أهمها غزوة بدر، وغزوة أحد وغزوة الأحراب (أو الحندق) وفتح مكة وغزوة حنين ، وهى غزوات كان لا بد منها للمحافظة على الإسلام نفسه ، فلولاها لاستطاع المشركون فى مكة أن يئدوا الإسلام فى مهده .

غير أن الحديث عن هذه المراحل التي مرت بها الدعوة إنما بهم المؤرخين وكتاب السرة بنوع خاص ، أما نحن فسننظر إلى هذه السرة المحمدية من الزاوية الإعلامية ، أو بعبارة أخرى ننظر في وسائل الاتصال أو الإعلام التي مارسها الرسول في كل مرحلة من هذه المراحل ، وذلك بهدف واحد هو نشر الدعوة الإسلامية .

المزحلة السرية :

لم يؤذن لرسول الله أن مجهر بدعوته في هذه المرحلة القصيرة وفيها لم يكن عمل القرآن إلا إعلام الرسول نفسه بأنه مكلف من قبل الله تعالى بأداء رسالة من الله ، وذلك منذ نزل عليه ﷺ قوله تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك
 الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم » •

ومنذ ذلك الوقت علم محمد أنه مكلف بالرسالة •

ووصفت لنا كتب السيرة حالة الذعر والاضطراب التي كان يشعر مها الرسول منذ نزول هذه السورة ، وتحكى لنا كتب السيرة أيضاً كيف

رجع إلى زوجته خديجة وهو يقول لها : و زملونى دثرونى ؛ لها وبنى على هذه الحال حيى أفاق من نومه ورجع إلى حالته الطبيعية •

ثم نزل عليه قوله تعالى :

« يأيها المدثر ي قم فأنش يه وربك فكبر يه وثيابك فطهره والرجز فاهجر يه ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر ، .

وقد سبق لنا أن شرحنا هذه السورة في قصل من قصول الباب الأول بعنوان و الاتصال المباشر ، من وسائط الإعلام التي مارسها النبي عليه .

وإذ ذائه علم الرسول أنه مكاف من قبل الله تعالى بإعلام الناس بهذه الرسالة وتنبيهم إليها ، وكان من الأمور الطبيعية أن يكون هذا الإعلام فى أول الأمر على نطاق ضيق - أعنى نطاق الأسرة و نطاق الأصدقاء الحلصاء - ولذلك وجدنا أن أول من آمن بهذه اللدعوة السيدة خديجة من النساء ، وعلى ابن أبي طالب من الصبيان ، وأبو بكر من الرجال ،

ومهما يكن من شيء فقد كان لرسول الله في هذه المرحلة السرية ونسيلتان من وسائل الاتصال أو الإعلام وهما :

١ ـــ وسيلة القرآن الكريم ٠

وسيلة المؤمنين الأولىن

أما وسيلة القرآن الكريم فقد تحدثنا عنها ، وأماوسيلة المؤمنين الأولين فهم الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى :

و والسابقون السابقون و أولئك المقربون و وهم دعاة الإسلام الحقيقيون في هذه المرحلة السرية من مراحل المدعوة ، ومن أشهرهم السيدة خديجة زوجة الرسول وأبو بكر الصديق الحميم وعلى بن أبي طالب ابن عمالرسول وزيد بن حارثة عتيقه علي . ووقف إلى جانب هؤلاء رجال كثيرون ، منهم عمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وبلال الحبشي ، وباسر واسمها سمية .

ثم كان من السابقين الأولين ، عبد الله بن مسعود وابن أبى الأرقم الحذومى ، وكانت دار هذا الأخير ـ وهو ابن أبى الأرقم ـ مركزاً للنشاط السرى الذي كان يبذله الرسول من أجل الدعوة وذلك خلال سنوات أربع منذ البعثة النبوية ، حتى ليمكن أن يقال أنه فى السنوات الثلاث الأولى من هذه الفترة بلغ عدد اللين دخلوا الإسلام أربعين رجلا وامرأة .

وفى السنة السادسة دخل الإسلام حمزة عم النبى وأخوه فى الرضاع وعمر بن الحطاب وبه قوى ساعد المسلمين كما اعترف بذلك الرسول، وقد بذلك الجميع أقصى الجهود فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية بهذه الطريقة السرية وكانت وسيلتهم فى كل ذلك (القدوة الحسنة) التى سبق أن قلنا أنبا كانت من أقوى وسائط الإعلام فى الإسلام، وضربنا عليا المثل بكر الذى دخل معه فى الإسلام هؤلاء الذين ذكرناهم عندما أشرنا إلى عنمان بن عفان ، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف ... إلى ...

فقد أسلموا جميعاً على بد أبي بكر الصديق ، وكانوا جميعاً من السادة المعروفين في الجاهلية .

أما العبيد فقد اشترى أبو بكر عدداً كبيراً منهم بالأثمان الباهظة التي طلبها سادتهم ثم أعتقهم جميعاً بعد ذلك ، ودعاهم إلى دخول الإسلام فلنجلوا طائعين مطمئنين .

كل ذلك وأهل مكة من كفار قريش لا يحسون بحركات الرسول أو على الأقل - لا يعبأون بها ولا يقدرون نتائجها ، وبالفعل لو وقف الأمر على قريش ، ولما التفت عبدة الأصنام إلى هذا الجعلر الداهم الذي يكمن وراء هذه الدعوة السرية مهما كان عدد الرجال المشتغلين بها ؛ ومهما كانت أقدار هؤلاء الرجال المنتمين إليها ه

ت لقد كان من وراء كل رجل من أولئك الرجال الذين بادروا إلى قبول

الدعوة قصة عجيبة من القصص التي عنيت بها كتب السيرة ، ولمكن البحث في الدعوة الإسلامية من الزاوية الإعلامية لا يعطينا الفرصة لإبراد هذه القصص الواقعية التي تقرن بكل شخصية من هذه الشخصيات الإسلامية القوية التي كانت من الشجاعة والجرأة بحيث تركت ماكان بعبد آباؤها من الأصنام واستهانت بهذا التراث الضيخم من الوثنية والحرافة والجهل والبغاء والربا والميسر، ومثات الشرور الاخرى كما جاء في دائر قالمعارف البريطانية.

الفصل الثاني المرجلة العلنية

بقیت دعوة الإسلام تسری فی النفوس بقوة القرآن وشبخصیة الرسول به وکل ذلك فی نطاق سری حتی نزلت علی الرسول سورة من السور المكیة و فها قوله تعالی :

وأنذر عشيرتك الأقربين ه واخفض جناحك لمن اتبعث من المؤمنين ه(١).

وإذ ذاك علم الرسول أن الله تعالى يأمره بتوسيع رقعة الدعوة بعض الشيء ، فني هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى بأن يخرج الرسول من نطاق الدعوة العلنية .

وينظر رجل الإعلام فى هذه المرحلة فيجد أنه قد أضيفت إلى الوسيلتين السابقتين من وسائل الإعلام فى المرحلة السرية وهما وسيلة القرآن ووسيلة المؤمنين الأولين - وسيلتان أخريان وها :

١ ــ وسيلة الحطبة النبوية .

٢ - وسيلة الاتصال المباشر بجاهير الناس ، وذلك بأن يعرض بالله لفسه على القبائل العربية ، ومنذ ذلك الوقت بدأت الثورة ،

وبالوسيلة الأولى من وسائل الإعلام فى المرحلة العلنية وهى وسيلة الخطبة النبوية ألتى النبى بالتي البيان الأول لهذه الثورة - فقد صعد رسول الله بالتي يوماً جبل (الصفا) وناهى بأعلى صوته: يا معشر قريش - قالت تريش : محمد على الصفا بهتف ، وأقبلوا عليه يسألونه ماذا يريد ؟ فقال الرسول الأعظم: هل سمعتمونى ذات يوم أقول كذباً ؟ فأجاب الحاضرون بعموت واحد :

⁽١) سور، الشمر اء الآبتان ٢١٤ ، ١١٩ .

لا... لمنعرف منك غير الصدق ؛ ثم سألهم الرسول: أرأيتم لوأخبرتكم أن خيلا بسفيح هذا الجبل - أكنتم تصدقونني ؟ فقال الجميع : نعم ، أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذباً قط .

هنا استجمع الرسول الصادق الأمين كل قوته وقال لهم:

فإنى لدكم نذير بن يدى عذاب شديد. ثم صاح بأعلى صوته وقال:
يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة
يا بنى تمسيم يا بنى مخزوم يا بنى أسسد

إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وإنى لاأملك لـكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا « لا إله إلا الله » .

ثم أكمل بيانه هذا بأن دعاهم إلى نبذ الوثنية ، واجتناب الفواحش والإيمان بوحدانية الله وانتهاج سبيل الحير .

وذلك هو البيان الأول ــ كما قلنا للئورة الحديدة ــ بلغة العصر اللى نعيش فيه ،

فيالها من دعوة خطيرة اهتزت لها أرجاء مكة ، وأشعل بها الرسول أول شعلة أضاءت ظلمات الجاهلية ، ولسكنها بعثت الحقد والغيظ والسكمد والغيرة في نفوس القرشيين سوخاصة الزعماء منهم سوكلهم أقرباء الرسول وعشيرته، وكان أكثرهم حقداً عليه عمه (أبو لهب) وزوجته .

ومند ذلك اليوم أصبحت الحطبة النبوية من أقوى أسباب الدعوة الإسلامية ، وممالاشك فيه أن هذه الحطبة الأولى أو البيان الأول للثورة قد تبعته خطب كثيرة دعت إليها الظروف الجديدة – كما دعا إليها وقع البيان الأول على نفوس القرشيين ، وقد أخذ هؤلاء يسأل بعضهم بعضاً عن هذه الدعوة الجديدة وعن الأسباب التي حملت محمداً للجهر بها من دونهم وعن الغاية التي يهدف إليها من وراء ذلك ؟ فهل يهدف إلى نوع من السيطرة عليهم في مكة المكرمة ثم فيا حولها من المدن الأخرى ؟

أم هسل يريد أن يستكثر من الأنصار والأتباع لغرض آخر من الأغراض الدنيوية التي يعرفونها في حياتهم ؟

مما لاشك فيه أن الناس انقسموا في أمره قسمين فمنهم من استنكر نداءه وأيقن في نفسه أنه سيرجع عن هذا النداء في أقرب الأوقاتوهم الأكثرية، ومنهم من أحس لبيأنه وقعاً جميلا في أعماق نفسه ولكنه خشي أن يجاهر في قومه بهذا الشعور.

ولذلك تتابعت خطب النبى فى هذه المرحلة، وتتابع نزول الوحى الذى رسم له سبيلها وخطتها، ومن ذلك قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

وهكذا رسمت هذه الآية الكرعة للرسول العظيم طرق الدعوة العلنية وهو في مكة المكرمة، وهي طريق الحكمة أو استخدام العقل في أكمل صوره، وطريق الموعظة الحسنة أو إبداء النصح بإخلاص وصدق ، وفي شيء كثير من إظهار الحب والمودة .

وطريق الجدل بالتي هي أحسن أو التحدث إلى القومبالحسني ، وذلك في يسر وهدوء وبتقديم البراهين والأدلة. وقد سار الرسول في دعوته على هذا النهج ، واسمال إليه قلوب العرب حتى استجاب له الكثيرون منهم .

عرض الرسول نفسه على القبائل العربية

أما الذريعة الأخرى من ذرائع الإعلام في هذه المرحلة العلنية فهي ذريعة الاتصال الشخصي المباشر بالعرب المقصودين بهذه الدعوة .

وبعبارة أخرى ، هي عرض الرسول نفسه على القبائل العربية .

وقد سبق أن تحدثنا عن هذه الوسيلة من وسائل الإعلام في صدر الإسلام وذلك في الباب الأول ، ولاشك أنها كانت من أخطر اللرائع الإعلامية في عصر تفشت فيه الأمية ، وانعدمت فيه وسائل الإعلام بالمعنى الذي نفهمه في العصور الحديثة .

ومما لاشك قيه أن الاتصال المباشر بالناس كان ميسوراً في ذاته إبان العصور القدعة كلها ، وذلك لقلة الناس من حيث العدد وإن قلت طرق المواصلات التي كان في استطاعتها أن تساعد على هذا الاتصال الشخصي ،

لم يكن في مكة مطبعة تخرج كتاباً ولا صيفة ولا مذياع ينشر أخباراً أو بيانات ، لمكن كان بمكة رواة ينقلون الأشعار والأخبار من مكة إلى كل مكان، وكان بها منادون لا يكادون يبرحون الأسواق العامة . وبالرغم من جميع هذه الصعوبات المادية ، فقد وجدنا الرسول يشق على نفسه كثيراً في ممارسة هذه الذريعة التي لابد منها من ذرائع الإعلان والاتصال بالناس ، فحكان يذهب إليهم في أماكنهم ، وكان يلتي ببعضهم في موسم الحج ، فكان يذهب إليهم في أماكنهم ، وكان يلتي ببعضهم في موسم الحج ، ولذلك لتي الرسول من هذه الذريعة الأخيرة من ذرائع الإعلام، وهي ذريعة الاتصال الشخصي ، كل عنت وإبذاء ومشقة وذلك إلى الدرجة التي هي فوق طاقة البشر ،

فحكر الرسول ذات يوم فى الذهاب بنفسه حكما سبق أن ذكرنا ذلك. إلى ثقيف بالطائف ،وذلك ليعرض نفسه عليهم فما كان من آل ثقيف إلا أن أساءوا استقباله وعاملوه أسوأ معاملة، وبالغوا فى ذلك أقصى درجات المبالغة،

وإلى ذلك الوقت كان يقف وراء النبي يسانله زوجته خديجة وعمه أبو طالب، وكان العرب يخشون هاتين الشخصيتين الكبيرتين ويعملون لها حساباً كبيراً العاماتا هان محمد على العرب، وظهر ذلك في حادث الطائف الذي مر ذكره ومع ذلك فإن تقةالنبي في ربه وفي نفسه لم تهن ولم تتزعزع.

خرج النبي إلى الطائف لعله يجد فيهم من يستجيب لدعوته وينصره على قومه وعشيرته ، ولم يكن يصحبه في رحلته إلى الطائف أحد من أصحابه ، والطائف مدينة صغيرة حصينة على بعد سبعين ميلا من مكة تسكنها قبيلة ثقيف .

ولما انتهى رسول الله مَلِكُم إلى هذه المدينة قصد إلى نفر من ثقيف ، هم يومثذ سادة هذه القبيلة فعرض عليهم الإسلام ــ ولـكن خاب فأله ــ

فقد أعاروه جميعاً أذناً صماء ، وأقام بينهم عشرة أيام يخطب الناس ويتلو عليهم رسالته ولا من مجيب .

وكان مما احتج به أهل ثقيف على الرسول أن قالوا له: أعجزت عن أن تقنع قومك برسالتك فجئت إلينا لتقنعنا بها ؟

ولما وصلت الأزمة بينه وبينهم إلى هذه الدرجة طلبوا منه أن يغادر الطائف، وما كاد الرسول هم بمغادرة المدينة حتى وجد أن أشرافها وسادتها قد أغروا به سفها مع يسبونه ويصيحون به وقد اصطفوا على جانبى الطريق على مسافات طويلة فى داخل المدينة فلما مر من بينهم جعلوا برشقونه بالحجارة حتى أصابت الحجارة رجليه وعقبيه وسال منه الدم، وكان كلما اشتد نزيف دمه وأعياه التعب جلس يستريح بعض الشيء، ولكنهم لم يتركوه بل كانوا يأمرونه بمتابعة السير.

إذ ذاك اتجه الرسول إلى بستان لعتبة بن ربيعة ، وجلس فى ظل شجرة وتحركت نفس عتبة شفقة عليه فبعث غلامه فقطف له شيئاً من عنب ، فلما و ضع النبى يده فيه قال : باسم الله، ثم أكل . فنظر الغلام دهشاً ثم قال : هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فسأله الرسول عن بلده ودينه ، فلما علم أنه نصرانى من (نيتوى) قال له: أمن قبيلة الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فلما فسأله الغلام : ومايدريك ما يونس بن متى ؟ قال محمد: ذاك أخى كان نبياً فسأله الغلام : ومايدريك ما يونس بن متى ؟ قال محمد: ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى ، فأكب الغلام على محمد يقبل رأسه ، ويديه وأسلم .

. ثم مضى النبي فى رحلته والصبية والغلمان يتبعونه بالحجارة حتى وصل إلى شجرة يستظل بظلها ، وهناك انجه إلى ربه قائلا :

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلى وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين ، إلى من تكانى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إنّ لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهاك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولاحول ولا قوة إلا بك :

بهذه النفس الصافية الطيبة وبهذا الصبر الجميل والخلق الـكريم قابل الرسول قسوة البشر ولم ييأس قط من رحمة الله ، ولا من نصره وتأييده ،

وهذا مثال واحد فقط على ماكان يلقاه الرسول من عنت القبائل التي عرض نفسه عليها، أو التي كان بمارس معها وسيلة من الوسائل الإعلامية التي هي من حق كل إنسان في الوجود من يوم خلق آدم إلى اليوم – وهي وسيلة الاتصال المباشر.

على أن هذا وذاك يؤدى بنا إلى الحديث عن المرحاة التالية من مراحل الدعوة ونعنى بها مرحلة الاضطهاد الديني .

الفصل لشالث مرحلة الاضبطهاد الديني

لا تعرف العظمة النفسية إلا في أوقات المحن ، ولا يمتحن السكمال الخلقي بشيء قدر ما يمتحن بالأزمات والمتاعب ،

وقد مرت بالرسول مرحلة الاضطهاد الديني بمكة المكرمة ليبلوه الله هذه العظمة النفسية والكمال الحلق، ومن هنا كانت هذه المرحلة أعنف المراحل التي مرت في حياته والتي ، ولكنه قابل هذه المرحلة العنيفة بالصبر وإن كان لشدة حرصه على إيمان القوم يظهر كل الحزن للمعاملة التي عاملوه مها ، والأقوال الجارحة التي وجهوها إليه ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

« ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بمايقولون » ويقول تعالى : « ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحَرِّنُكُ قُولِهُمْ ۚ ۚ إِنَّ الْعَرْةَ لَلَّهُ جَمَّيْعاً ۗ ۗ .

أجل كان محمد يكافح بأسلحة كثيرة من أولها وأقواها (سلاح الإيمان) وإن أشد ما محتاج إليه الداعية هو (الإيمان) بالدعوة الى جاء بها وحرص شديد على نجاحها وانتشارها ، ولم نسمع في التاريخ بداع يعوزه الإيمان بدعوته والحرص على الغيرة على هذه المدعوة .

. . .

عجبت قريش من أن بعض العرب استجابوا لمحمد وخرجوا بذلك على إجاع أهل مكة وخذلوا بذلك هيبة القرشيين وتركوا ماكان يعبد آباؤهم وأجدادهم وآلت قريش على نفسها منذ ذلك الوقت على أن تعطى كل مأف وسعها للقضاء على هذه الدعوة في مهدها ، وهكذا قضت سنة الله بأن يكون حملة الهداية الإنسانية معرضين دائماً لأقصى ألوان العذاب :

وذلك تصديقاً لقوله تعالى :

« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » .

وكانت قريش تمارس هذا الاضطهاد والتعذيب مع النبي نفسه حيناً ومع أتباعه من الفقراء والمساكين حيناً آخر ، وفي ذات يوم كان الرسول ساجداً عند الكعبة فألتي أبو جهل على رقبته أحشاء ناقة مذبوحة وتبع أبا جهل في هذه الأعمال القبيحة غيره من أهل مكة. فكانوا يلقون في طريق النبي بالقاذورات والأشواك ، وبالغ بعضهم في إبذاء النبي حتى حاولوا أن عنوت لولا أن أدركه حاولوا أن عنوت لولا أن أدركه أبو بكر الصديق .

أما أتباع الرسول من العبيد فقد عرضهم القرشيون لأقصى أنواع الإهانة والتعليب ، ومن أولئك العبيد عبد اسمه (بلال) أمره مولاه فاستلقى على الرمل المتقد تحت الشمس المحرقة فى الصحراء ثم وضعت قطع ثقيلة من الحجارة على صدره وبتى على هذه الحال حيى أصبح مغشياً عليه وهو لايقول إلا كلمة ف أحد ، أحد ، ولايزيد علها .

وبنفس هذه الطريقة بل بأقسى منها تولى القرشيون تعذيب عيد آخر من العبيد واسمه و ياسر و فقد شدت رجلاه إلى بعبرين ، ثم سيق البعبران في اتجاهين متضادين ، ومع هذا وذاك فلم يفلح المكيون في رد هؤلاء بالمسلمين المستضعفين عن هذا الدين الجديد، بل زادوا عليه ثباتاً وبه إعاناً واستمساكاً ، وإذ ذاك لم بجد القرشيون بداً من التفكير في طريقة أخرى واستمساكاً ، وإذ ذاك لم بجد القرشيون بداً من التفكير في طريقة أخرى واستمساكاً ، وإذ ذاك لم بجد القرشيون بداً من التفكير في طريقة أخرى وأصحابه. وكتبوا بذلك صحيفة وأعلنوا فيها إجاعهم على المقاطعة وفيها وأصحابه. وكتبوا بذلك صحيفة وأعلنوا فيها إجاعهم على المقاطعة وفيها ولا يتناعون منهم شيئا ، وأنهم لايز وجونهم ولا يتز وجون منهم ، وأنهم ولا يتناعون منهم شيئا ، وأنهم لايز وجونهم ولا يتز وجون منهم ، وأنهم على أستار الكعبة المصحيفة المشئومة على أستار الكعبة فكان الغرض منه أن تكتسب صفة القدسية .

ومع ذلك فحتى هذه الطريقة الوحشية فى المقاطعة الاقتصادية والاجماعية لم تفلح فى زعزعة المسلمين عن ديمهم ، وتركهم لرسولهم فى هذه الفترة المفرجة من فترات حياته .

إذ ذالة فسكرت قريش في العدول عن هذه المقاطعة وذهبت تنزع الصحيفة من السكعبة ، فإذا مها قد أكلتها الأرضة ولم يبق من الفاظها إلالفظ باسمك اللهم .

فى تلك المرحلة العصيبة من مراحل الدعوة الإسلامية لم يكن فى وسبع النبى والمسلمين أن يسلكوا فى سبيل دعوتهم وسيلة من وسائل الإعلام المعروفة غير (الوسائل السلبية).

وذلك أننا بحب أن ننظر إلى مواقف المسلمين الرائعة في الثبات على دينهم وعقيدتهم ، وهي العقيدة التي تغلغلت في أعماق قلومهم إلى الحد الذي أياس مهم الكفار والمشركين ،

وجده الطريقة السلبية الى ثبت عليها الذي والمسلمون المضطهدون استطاع هؤلاء أن يكونوا أشبه شيء بناقوس كبر جدد السكفار والمشركين ويوقظ ضمعر الإنسانية في كل مكان، ويشعر المكين بأنهم أجرموا في حق المسلمين المستضعفين وبأنهم مهما قسوا عليهم فلن يبركوا دينهم ولن يخللوا نبيهم ولن يفرطوا في عقيدتهم، وفي هذا درس لهم وإعلام كبر بالرسالة التي نزلت على رجل منهم، وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات على رجل منهم، وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات على رجل منهم، وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات على رجل منهم، وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات على رجل منهم، وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات على رجل منهم، وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات عليه وإعلان عظيم عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات عليه وإعلان عليه عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات عليه وإعلان عليه عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات عليه وإعلان عليه عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات عليه وإعلان عليه عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات عليه وإعلان عليه عن هذه الرسالة التي أتى بها المنات التي أله التي أله المنات التي أله التي أل

وهكذا خلت مرحلة الاضطهاد الدين من أكثر الوسائل الإنجابية فياخلاً القرآن والحديث ، ولكنها لم تخل من الوسائل السلبية التي أثبت الزمن أنها لانقل مطلقاً عن الوسائل الإنجابية من حيث القوة .

وقريب من هذه الوسائل السلبية في العصر الحديث إضراب زعيم منى أو طائفة من العال والنساء عن الطعام حتى بحدثوا بهذا الإضراب تنبيها قويا لمصادر السلطة كالحكومة وغيرها سه وذلك حتى تستجيب هذه المصادر للمطالب التي وقع الإضراب عن الطعام بسبها :

وماذا فعل الزعيم سعد زغلول في الثورة المصرية الكبرى سنة ١٩١٩ حين نفاه الإنجليز أكثر من مرة في جزيرة سيشلي أو في مالطة ؟ ثم ماذا فعل الزعيم غاندي بعد ذلك حين قاوم إنجلترا القوية بجيوشها وأساطيلها بالأسلحة السلبية .

إن التاريخ حافل بالأمثلة التي تدل على هسده الطرق السلبية من طرق الإعلام ؟

وعلى مقدرتها على القيام بوظائفها الإعلامية بنفس القدرة التي للطرق الإيجابية بل ربما زادت عنها .

غير أن الرسول نفسه كان في مرحلة الاضطهاد الديني من مراحل الدعوة مستمرآ في نفس الطرق التي كان يسلكها في المرحلة السابقة ، ومنها ، أي من هذه الطرق ، طريقة الاتصال الشخصي والجمعي المباشرة وأكثر ماكان ذلك في موسم الحج من كل سنة .

وقد عرفنا فى الباب الأول من أبواب المكتاب كيف أنه بطريق الحبج اكتسب الإسلام شعبية أخذت تمكير مع الأيام شيئا فشيئا ، فقد كان الناس بتحدثون فى الحبح بمسا بجرى للرسول وأصحابه ويتسامعون بأخلاقه ، وبما امتازوا به من الصبر والثبات على ديمهم وماتحملوه فى سبيل المحافظة على عقيدتهم ، وكانت هذه الأحاديث التي يتهامسون بها تشر فى أعماق تفوسهم إعجاباً عميقاً وتقديراً عظما للرسول وأصحابه .

وفي السنة العاشرة للبعثة النبوية التي الرسول في موسم الحج بعدد من أهل يترب من قبيلة الخزرج وعرض عليهم الإسلام فأسلم منهم سنة ، أغراهم بدلك أنهم مجاورون للبود في يترب (الاسم القديم للمدينة) وقد حدثهم البود عن ظهور دين جديد مذكور عندهم في التوراة ونبي جديد ذكر عندهم أيضا: فلما رجع السنة إلى يترب أشعلوها حاسة لحذا الدين الجديد وملاوها حديثا عن هذا الرسول الجديد ، وهو الرسول الذي يشرت به التوراة والإنجيل ، وكان هذا كله إرهاصا للحركة العظيمة التي يشرت به التوراة والإنجيل ، وكان هذا كله إرهاصا للحركة العظيمة التي قام بها المسلمون بعد ذلك ، وهي حركة الهجرة .

الفص*بل لرابع* مرحلة الهجرة

بالغ المكيون في اضطهاد الرسول وأتباعه كما رأينا ، فلم يجد الرسول وأصحابه بدأ من التفكير في الهجرة ، وكانت هذه الهجرة في ذاتها على مرحلتين :

الأولى : مجرة بعض الصحابة إلى الحبشة .

والثانية : هنجرة الرسول نفسه ومعه أبو بكر إلى المدينة المنورة ،

الهجرة إلى الحبشة

أشار الرسول على بعض أتباعه بالهجرة إلى بلاد الحبشة قائلا لهم : إن ما ملكا لايظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق فاذهبوا إليها حتى يجعل للله لكم فرجا مما أنتم فيه .

واستعد أول فوج من أتباع الرسول إلى الهجرة إلى تلك البلاد، وكان هذا الفوج يتكون من أحد عشر رجلا ، منهم أربعة اصطحبوا زوجاتهم معهم ، ومن هؤلاء الأربعة عبان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ، وكان ذلك في رجب من السنة الحامسة للدعوة ، وكان جعفر بن أبي طالب أحد الدين هاجروا إلى هناك، وله خطبة رائعة خطبها بين يدى النجاشي رد فيها على الدعاية الحبيثة التي قام بها المكيون لإقناع النجاشي ببطلان الدعوة الإسلامية ، فقد بعثت قريش بنفر منها إلى النجاشي لهذا الغرض، وأخلوا معهم الهدايا الكثيرة التي تقربوانها إلى رجال الدين لكي يستخدموا نفوذهم إلى الملك ويقنعوه برد المهاجرين إلى مكة قائلين للملك إن هذا الدين الجديد يتعارض على حد سواء مع الوثنية ومع النصرانية في وقت معاً ،

فها كان من النجاشي إلا إن دعا المسلمين المهاجرين إلى الرد على ه الهم التي نسبت إليهم ٠

النستمع الآن إلى حجج الجانبين :

أرسل الفرشيون وفدهم إلى النجاشي - ومنهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص - فقال هذا الأخير للنجاشي :

إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردوهم عليهم فهم أعلى بهم عينا (بريد أنهم أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم .

فلما سمع النجاشي كلام عمرو بن العاص رأى من الحكمة ألا يسلم إليهم المهاجرين حتى يسمع كلامهم وحججهم ، فأرسل إلى هؤلاء المهاجرين واستدعاهم ، فلما جاءوا قال لهم :

ما اهذا الدين اللَّمَى فارقتُم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولادين أحد من هذه الملل؟

فانتدب المهاجرون جعفرين أبي طالب ليتحدث عنهم فقال :

«أيما الملك - كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ولقطع الأرحام ، وتسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف . وكنا على ذلك حتى بعث الله فينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤ فا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتم ، وقلف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولانشرك به شيئاً ، وحرم ما حرم علينا ، وأحل ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعدابونا وفتنونا عن ديننا لير دونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الحبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، فسيدا المعرم العلم في ميدر الإسلام)

وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك . ثم تلا عليه بعض آيات من القرآن الكريم ، فتأثر النجاشي بهذا المحديث تأثراً عميقاً ، ثم قال للوفد الذي حضر من مكة :

انطلقوا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة - انطلقوا
 اوالله لا أسلمهم إليكم أبدآ . . »

وهكذا تغلب الإعلام الإسلامي الصحيح على الدعاية الوثنية الخبر في حضرة النجاشي ا

ضاقت صدور المشركان بمحمد ، وبلغ بهم الضيق غاية ليست وراءها غاية ، وأجمع رأيهم على أن يطلقوا آخر سهم من سهام جعبهم ، فاجتمع بزعاؤهم في (دار الندوة) قريباً من الكعبة ، وكان من بيهم أبو سفيان وأبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وخالد بن الوليد والحكم إبن أبي العاص وغيرهم من سادة قريش ، وأخذوا يتشاورون في الأمر ، فقال أحدهم : أما آن لنا أن نتخلص من محمد ؟ لقد كنا نعمل حسابا لعمه أبي طالب وقد مات ، وكنسا نعمل حساباً لزوجته خديجة ولقومها ، وقد مات ، ومن هنا بدأت المقرحات الكثيرة المتخلص من محمد .

فأما أحدهم فيقترح أن يقيدوا مجمداً بسلاسل وأغلال ، ويحبسوه حتى عموت ، وأما الثانى فيقترح أن ينفي محمد من الأرض فتستريح منه قريش على الأقل ، وأما الثالث فيقترح قتله بالسيف ، ويناقش القوم كل هذه المقترحات فلا يقتنع العقلاء منهم بواحد منها .

وأخيراً مجمعون الرأى على أن ينتلب من كل قبيلة من القبائل واحد ممثلها ثم يشترك جميع الممثلين لهذه القبائل فى جريمة القال ، وبالمائيتفرق هم محمد بين القبائل العربية ، ويستر يحون منه .

ووقف عقبة بن أبي معيط ممثلًا لبي عبد شمس ، ووقف النغسربن

الحارث ممثلا لبنى عبد الدار ، ووقف أمية بن خلف نائبا عن جمح ، ووقف أبو لهب نائباً عن بنى هاشم ، وحضر القوم الليلة التى يقفون فيها لتنفيذ هذه الخطة و ذهبوا إلى دار النبى وأحاطوا بها من كل جانب ، ولكن الله أحبط هذه المؤامرة كما هو معروف في سيرة النبي والتياني ، وفي ذلك يقول الله تعانى في كتابه العزيز:

ه وإذ يمكر بك اللهن كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ، أو يخرجوك ،
 و مكرون و مكر الله ، والله خير الماكرين »(١) .

وفى تلك الليلة أمرالله تعالى الرسول الكريم بالخروج من بيته ، فخرج ومعه رجلواحد من أصحابه هو أبو بكر ، وخرج الرجلان من مكةوواصلا سيرهما إلى الغار ، ئم مضيا فى طريقهما حتى اقتربا من المدينة .

واستقبل أهل المدينة الرسول وصاحبه استقبالا حسنا ، وبالغوا في الاحتفاء بهما ، وبذلك نجا الرسول من كيد قريش ، ونزل قوله تعالى :

« إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى النين ، إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » .

ومنذ اللحظة الأولى من استقرار الرسول بالمدينة قام بحركة من آروع ما عرفه التاريخ البشرى ، وهي حركة التآخى بين المهاجرين والأنصار ، فقد كان المهاجرون قبل مجيبهم إلى المدينة بحيون في مكة في رغد من العيش ، ولكنهم اضطروا بعد ذلك إلى التخلي عن ثرواتهم وممتلكاتهم ، وآثروا الفرار بدينهم إلى المدينة ، ولذلك عقد الرسول بينهم وبين الأنصار من أهل المدينة الأصلين نوعاً من الأخوة التي قلنا إن التاريخ لم يعرف لها نظيرا قبل ذلك ولم يعرف لها شبها ، وإلى يومنا هذا ، فقد آوى كل واحد

⁽١) أي ليقيدوك بالأغلال والسلاسل

من الأنصار أخاً له من المهاجرين ، وشاطره ماله وقاسمه بيته ومتاعه ، حتى أن ممتلكات الأنصارى كانت إذا ما توفاه الله لا يرثها أخوه من أبيه ، بل يرثها أخوه المهاجر ، وبنى القوم على ذلك حتى حظر القرآن هذا النوع من الإرث ، وأوصى بأن ينتقل الميراث بالطريق الطبيعي إلى ذوى الأرحام قال تعالى :

(والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأوائك منكم ، وأولوا الأرحام بعضهمأولى ببعض في كتاب الله ، إنالله بكلشيء عليم) .

وكان الأنصار أصحاب زراعة والمهاجرون أصحاب تجارة ، فحين عرض أنصارى على أخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف أن يأخذ نصف ممتلكاته شكر عبد الرحمن لأخيه الأنصارى ذلك وسأله أن يدله على سوق المدبنة ، وفى السوق سعى عبد الرحمن فى اكتساب الرزق عن طريق التجارة ، وما هى إلا فترة يسيرة حتى أثرى ثراء عظيما ، وعلى نحو مماثل انصرف سائر المهاجرين إلى هذا الميدان الذى يتفق وطبيعتهم التجارية .

ومن المهاجرين والأنصار في المدينة انبعث عصبة المبشرين بهذا الدين وجاعة المعلمين الدينيين الذين حملوا مشعل الديانة الإسلامية إلى شي أنحاء الجزيرة العربية ونجحوا في أداء مهمتهم نجاحاً منقطع النظير .

والحق أن الهجرة فى ذاتها كانت وسيلة من أبلغ وسائل الإعلام فى الإسلام ، ذلك أن مجرد خروج المسلمين من بلدكانوا فيه منذ النشأة يخلق تساؤلا كبراً فى المجتمع الذى فيه تزييف وتشويه لأخبار هذا الدين الجديد وذلك بفعل المشركين - وهو مجتمع مكة ،

و قد جعلت هذه الهجرة أهل مكة برغم هذا التزييف والتشويه يشعرون في داخل نفوسهم بأنه ما لم يكن هؤلاء المهاجرون على حق لما تركوا أموالهم وأهليهم وممتلكاتهم ووطنهم الذي نشئوا فيه ، قلابد إذن أن يكون الذي دعاهم إلى هذه التضحيات الجسيمة هو الحق والحق وحده . ثم إن هجرة المهاجرين خلفت فراغاً مادياً كبيرا في مكة ولفت هذا الفراغ الكبير أنظار

المكين للتغيرات التى حدثت فى مجتمعهم ، ومن أهمها بطبيعة الحال ظهور هذا الدين الجديد . . ذلك ما حدث فى مكة ، أما ماحدث فى المدينة فأعظم وأعجب . فإن وجود عناصر مكية جديدة فى المدينة لا بد أنه قد استرعى انتباه جميع من فيها ، وفى ذلك إعلان كبير من هؤلاء المهاجرين عن هذا الدين ، ثم جاءت حركة التآخى بين الأنصار والمهاجرين دليلا مادياً على نجاح هذه الوسيلة الإعلامية الكبيرة سوهى الهجرة من مكة إلى المدينة ،

ومن الجدير بالتنويه أن الله تعالى صور الهجرة نفسها فى الآية الكريمة التي ذكرها ه إلا تنصروه فقد نصره الله ه ، والح بأنها انتصار للنبي عليه الأعزل من السلاح والعتاد على الكفار المزودين بالسلاح والعتاد ، وخاصة وذلك فى وقت كان فيه النبي فى أحرج ساعة من ساعات حياته ، وخاصة حين وجد نفسه هو وصاحبه محبوسين فى الغار ، والمشركون بخيلهم ورجلهم على باب هسنا الغار ، بينهم وبين أن يقتلوهما أن يدخلوا هذا الباب .

الحق – لقد كانت الهجرة التي قام بها الرسول وأنباعه ثورة على الفساد في جميع أشكاله ، ثورة على الطغبان في الحكم والإجحاف بالحقوق. ثورة على العبودية وتحكم الأقوياء في الضعفاء ، ثورة على فجور الجاهلية ، وحياتها المبنية على الثهر ، ثورة على العصبية القبلية في نهاية الأمر ، فلا وحياتها المبنية ، ولا كسروية أو قيصرية ، ولكن حب وإخاء ومساواة وعسدل وحرية وأخلاق إسلامية ، وسمو بالنفس البشرية إلى أعلى الدرجات .

وباختصار شديد. لقدكانت الهجرة فى ذاتها حركة إعلامية كبيرة قل أن يكون لها نظير فى التاريخ ، وحسبها ذلك لتكون فى الوقت نفسه ذريعة من أكبر ذرائع الإعلام فى نشأة الإسلام ، وعلى يد صاحب الدعوة الاسلامية الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه .

الفصل مخاميش مرحلة الاستقرار بالمدينة

استقر الرسول بالمدينة ، وبها بدأ - صلى الله عليه وسلم - صفحة جذيدة من صفحة من كتاب في التاريخ ، أو كتاب في اللابن ، أو كتاب في الأدب ، أو كتاب في الأدب ، أو كتاب في الأخلاق والحد من رجال التاريخ والدين والأدب والأخلاق والحرب كلمته في هذه الصفحة وبقيت كلمة رجل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس ، وهو ما تحاول أن نتعرض له بإيجاز في هذا الفصل .

والحقيقة التي لا ينبغي إنكارها بحال من الأحوال أنه بقدر ما ضاقت رسائل الإعلامية الإبجابية للإعلام في فترة الاضطهاد الديني – أو في العهد المكي المتأخر – اتسعت أمام الرسول مجالات الإعلام بالطرق الإبجابية الجديدة ، ويمكن أن نشير من هذه الطرق إلى ما يلى :

١ ... طريقة الأذان لإقامة الصلاة .

٢ ـــ إقامة العلاقات الودية بين الرسول واليهود في داخل المدينة يقصد التعايش السلمي يينهم وبين المسلمين .

٣ ... إقامة العلاقات الودية كذلك بين الرسول والقبائل العربية المجاورة المعدينة وذلك تأميناً للمسلمين فى داخل المدينة ، وتمهيداً لدخول الإسلام فى هذه القبائل.

٤ ـــ اتخاذ الاحتياطيات الإعلامية التي لا بدمنها في ظروف الحرب ،
 كالأرصاد والعيون التي تأتى الرسول بأخيار العدو .

ه ــ بعثات الرسول إلى الملوك والأمراء ليدعوهم إلى اعتناق الإسلام
 وهي حركة إعلامية لا توازنها في مجال الإعلام إلا حركة الهجرة م

٦ — استقبال الرسول للوفود العربية التى وفدت عليه بالمدينة لكى تسلم على يديه وكان النبى يبعث مع كل وفد من هذه الوفود بالقراء والمعلمين الذين يفقهو بهم فى الدين ويفسرون لهم بعض آيات القرآن الكريم .

 ∨ ــ التهامس بين الناس في أخبار الرسول وأخبار هذا الدين الجديد وأوضح ما كان ذلك في حادث الهجرة وفي فترات الصلح بين المسلمين والمشركين كما كان الأمر في صلح (الحديبية)، وسنشرح ذلك فيابعد ،

۸ ــ غزوات النبي باعتبارها إعلاناً كبيراً عن الإسلام . فقد أمسك النبي بالقرآن في إحدى يديه ، وأمسك بالسيف ... كما أمره القرآن الكريم ... في يده الأخرى ،

هـــ سرايا النبى وبعوثه الحربية إلى تخوم الروم تأميناً لحدود المسلمين
 بالمدينة من جهة ، وإنذاراً لأعداء الإسلام من العرب وغير هم بقوة هذا اللين
 الجديد وهيبته حتى لا يفكروا فى الإغارة على حدوده ›

وهذا كله فضلا عن الحطب النبوية التي سنخصها بفصل من فصول هذا الهاب، وفضلاعن حركة (الإخاء) التي بذأ بها النبي للله حياته بمقر والجذيد وهو المدينة المنورة ، وقد تحدثنا عبها .

وقد سبق لنا فى الباب الأول من أبواب هذا الكتاب أن شرحنا ماعرفه الإسلام من وسائل الاتصال بالناس ، وأتينا ببعض المعلومات التى تعين على فهم ما يبتى من هذه الوسائل ،

وقفنا عند القرآن الكريم بوصفه أكبر هذه الوسائل على الإطلاق ، وكذلك منذ بداية الرسالة المحمدية إلى نهايتها .

ووقفنا عند الأحاديث النبوية بوصفها قوة دعائية وإعلامية ليس هناك أعظم منها في حياة الرسول بالله وحياة الحلفاء الراشدين ، وحياة العصور الإسلامية التي تلها لى يومنا هذا ، والسبب في ذلك أن أبر زصفة من صفات الرسول هي قدرته على التأثير في الغير ، وقد كانت هذه الصفة بشكل أكبر خطر واجهه المشركون في مكة .

ولهذا السهب الأخير عرضنا (للاتصال الشخصى والجمعى) بوصفه من أنجح وسائل الإعلام فى عهد الرسول ، وإليه يرجع الفضل الكبير إقناع العرب بدخول هذا الدين .

ووقفنا كذلك عند (القدوة الحسنة) بوصفها من أنجع طرق التربية والإعلام ، وهي الطريقة التي أحسنها الرسول والصحابة واكتسبوا بهاعددًا كبيرًا من الأصدقاء قوى بهم الإسلام وانتشر في ربوع شبه الجزيرة .

وتحدثنا بإنجاز عن القصص غير القرآنى وماكان له من عظيم الأثر فى رفع الروح المعنوية عند المسلمين ولللك سمح به عمر بن الحطاب على شيء من الحلم والتخوف ثم أذن عنمان بن عفان بدون شعور بالخذر أو التخوف ثم أصبح مادة لاغنى عنها لجميع الخلفاء والأمراء في الإسلام بعد ذلك .

وبقى أن نتحدث فى الفصول التالية من فصول الباب الثانى عن هذه المجالات الجديدة الني مارسها الرسول في حقل الإعلام ، وهي المجالات العشرة المتقدمة ، وليس معنى ذلك أن الإعلام فى عهد الرسول حصر نفسه في هذه المجالات ، واحتفظ لنفسه بالمجالات السابقة التي مارسها الرسول قبل عهد الاستقرار ، ولكن معناه أن هذه المجالات العشرة مصفافاً إلها عبد الاستقرار ، ولكن معناه أن هذه المجالات العشرة مسمقاهاً إلها عبد الأحاديث والقدوة الحسنة وغيرها له ليست إلا أمثلة من النشاط الإعلامي على يد الرسول ني عهد الاستقرار .

الأذان وإقامة صلاة الجمعة

كان المسلمون خلال إقامتهم بمكة بجدون صعوبة كبيرة في إقامة الصلاة على شكل جاعة ، فلما تمت الهجرة إلى المدينة أصبحوا أحراراً في إقامة صلاة الجاعة ، وجنس الرسول وأصحابه يدرسون مختلف السبل التي يستطيعون بها إعلام المسلمين بمواقبت الصلاة ، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة ، وذلك عدا صلاة الجمعة وصلاة العيدين .

وفى الليلة السابقة لاجتماع النبى وأصحابه كان عمر بن الخطاب برى فيما يرى النائم أن رجلا يردد قوله بصوت مرتفع : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، إلى أخر صيغة الأذان المعروفة ، وكان صحابى آخر قد رأى هذه الرؤيا ، فلم يسع الرسول والمنائل الرضا بهذه الطريقة التى يعلن بها عن إقامة الصلاة ليقوم بها المسلمون فرادى أو جماعات .

وعلى هذه الصورة أذن (بلال) للصلاة من يوم الجمعة بالمدينة المنورة .

وهكذا أصبح الأذان وإقامة الصلاة أكبر إعلان للاسلام، وإذا كان فن الاعلان فى ذاته قائماً قبل كل شىء على (التكرار) فما بالك يهذا الإعلانالاسلام، وهو يذكر الناس مهذا الدين خمس مرات فى اليوم والليلة، وفى كل مرة مها يسمع المسلمون ويسمع غيرهم هذا النداء العظيم.

الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن محمد آ رسول الله، حي على الصلاة . حي على الفلاح . الله أكبر ، لا إله إلا الله .

إنه إعلان كبير للإسلام لفت أنظار الناس جميعاً فى المدينة، ومنها انتشر فى بقية أجزاء شبه الجزيرة .

لقد قانا فيما سبق أنه كان من وسائل الإعلام القديمة وسيلة (المنادى) ووبالإسلام أضيفت إليها وسيلة من نوعها هي وسيلة (المؤذن) وهو اللك ينادى على الناس الإقامة الصلاة في مواقيتها والما كانت هذه الوسيلة الأخيرة من خير ماوفق إليه محمد وأصحابه في الإعلان عن الإسلام ، والإعلام بأن الصلاة ركن من أركانه .



إقامة العلاقات الودية مع اليهود

وقد سبق لنا أن ربطنا هذا النوع من العلاقات بما يسميه رجل الإعلام في العصر الذي نعيش فيه (بالعلاقات العامة) لأن الغاية من هذين النوعين واحدة، وهي التعريف بشيء جديد يحرص رجل العلاقات أن يثبته في ذهن الطرف الآخر .

وننظر فى سيرة الرسول ﷺ – فنجد أنه قد مارس هذا النوع من أنواع الإعلام وبذّل فيه أكبر جهد ممكن .

نظر الرسول فإذا (المدينة) التي استقر بها تسكنها ثلاث عشائر بهودية

كبيرة وهي :

- ١ --- بنو النضير .
- ۲ --- بنو قریظة ۱
- ٣ -- بنو قينقاع .

وأما بِقية سكان المدينة فكانت تتألف من قبيلتين هما:

- ١ ... قبيلة الأوس ،
- ٢ قبيلة الخزرج .

وكانت الكثرة من هاتين القبيلتين قد دخلت في الإسلام يه

نظر الرسول في هذا الكيان العربي الذي تألفت منه المدينة ، وفي الأجزاء التي يتألف منها هذا الكيان ، وإذ ذاك فكر أول ما فكر في عقد (ميثاق) بين المسلمين واليهود وعرضه عليهم ، وكان هذا الميثاق يتألف من البنود الآتية :

١ سـ أن يتعايش المسلمون واليهود في داخل المدينة وكأنهم أمة واحدة
 و هذا معبر عنه في العصر الحديث بكلمة (التعايش السلمي) .

٧ ــ أن يلزم كل من الفريقين دينه وألا يتدخل في دين الآخر .

٣ - يجب على كل من الفريقين في حالة نشوب الحرب مع فريق
 ثالث أن يبادر لنصرة الآخر ، ولحكن بشرط أن يكون الفريق المعتدى
 عليه مظلوماً وأن يكون الفريق المعتدى هو الظالم .

على المدينة المجوم على المدينة نفسها يجب على الفريقين أن يتعاونا
 في الدفاع عنها معاً .

ه ــ على الفريقين أن يتشاورا في الصلح إذا رغبا فيه .

٣ - ينظر الفريقان إلى المدينة على أنها بلد حرام لا يحل فيه سفك النماء.

٧ ــ في حالة النزاع بين الفريقين يكون الوسول هو الحكم الأخير ٠

إن العمل على إنشاء مثل هذه العلاقات الودية يعتبر عملا سياسياً وأجماعياً وإعلامياً في وقت واحد . وهو في نظرنا عمل إعلامي من الدرجة الأولى ذلك أنه يهدف إلى التعايش السلمي على أحسن وجه ، وبه ينظر التاريخ إلى الرسول على أنه رجل ممتاز في جميع هذه الميادين التي أشرنا إليها .

ولو صدقت نية اليهود تجاه (الميثاق) ولو درسوه دراسة بريئة من الحقد والهوى لأراحوا أنفسهم وأراحوا المسلمين معهم من عناء وعبث كبيرين ولعلموا علم اليقين أن هذا الدين الجديد دين سلام ووفاق ، وليس دين خصام وشقاق ، وأنالتعايش السلمى فى ذاته من أسمى غايات هذا اللين ومن أوجب واجباته ، ولكن التاريخ أثبت أن اليهود بيتوا منذ اللحظة الأولى لنصوص هذا الميثاق سوء النية واشتركوا جميعاً فى إشعال نار الفتنة ، وشكلوا فى المدينة خطراً داخلياً لا يمكن النجاة منه إلا بأمر واحد فقط هو القضاء عليهم واستئصالهم وإطفاء هذه الفتنة ، وذلك ما وجد فلط سينضح ذلك فها بعد ،



ا**املاقات** الود**ية** مع القبائل المجاورة

نظر الرسول وأمحابه كذلك فإذا هم محاطون بأعداء من كل جانب : (أما من الداخل) فهناك عدوان خطيران هما الهود من جانب ، و(عبد الله بن أبي) رأس المنافقين بالمدينة من جانب آخر .

(وأما من الخارج) فهناك قريش من جهة ، وهناك القبائل المجاور الممدينة من جهة ثانية ، وبذلك أصبح الرسول مهدداً بخطرين عظيمين هما : الهجوم عليه من خارج، وخيانة اليهود له من الداخل، وكلا الخطرين وشيك الوقوع في كل لحظة .

وهذه الظروف هي التي دعت الرسول إلى إقامة علاقات ودية مع القبائل العربية المجاورة للمدينة على نحو ما أقام هذه العلاقات بينه وبين بهود المدينة ، ولذلك أخل الرسول عهوداً ومواثيق على بعض هذه القبائل المجاورة ، من ذلك العهد الذي أخذه على (بني حمزة) ، وقد نص هذا العهد على أن أرواحهم وممتلكاتهم ستكون في آمان تام ، وإذا هاجمهم عدو سارع المسلمون لنصرتهم حتى يرجع العدو أدراجه .

ومرة أخرى نقول إنه عمل سياسى وإعلامى فى وقت معا ، فبدون هذه العهود ماكانت العرب لتعرف شيئاً له قيمته الإعلامية عن الرسول ولا عن الدين ، ولا عن الغاية التى من أجلها ظهر هذا الرسول مهذا الدين ، فهو لم يظهر فى العرب ليسفك دماءهم ويشتت رجالهم ويحدث الشقاق بين أعضاء العشيرة الواحدة كما زعمت قريش ، وكما قالت بذلك الدعاية السيئة التى نشرها القرشيون حول الرسول ولكن الله بعثه لغايات كرعة ، وأهداف سلمية وإصلاح لهذه الدنيا بعد أن فسدت واستحال صلاحها إلا عن هذا الطريق.

الاحتياطات الاعلامية والحرب

أمر الرسول من قبيل ربه بالحرب ، ولذلك حمل الرسول وأصحابه القرآن في يد والسيف في يد ، وفي أثناء الحروب تعرض الرسول لطائفة كثيرة من المحن امتحنه الله بها ، والساعات الحرجة والمواقف الممتازة التي عرف التاريخ قدره بها ، وقد كان من أخطر الأعداء الذين حاربوه صلى الله عليه وسلم عدوان كبيران هما اليهود من جانب وقريش من جانب آخر ،

أما اليهود فقد كان الرسول قادراً عليهم ، يقظاً كل اليقظة لأدنى حركة من حركاتهم ، متفطئاً لمؤامر الهم وتدابيرهم ، أما قريش فكانت هي الداهية الدهياء والعقبة الكأداء والمشكلة التي كادت تستعصى عن الحل، لأنها كانت مصرة على اقتلاع جدور الإسلام بكل الطرق التي تملكها، وزادت إصراراً على ذلك منذ نجح الرسول على في الهجرة من مكة إلى المدينة ،

من أجل ذلك كان لابد من وقوع الحرب بينها وبين الرسول: قريش تقوم دائماً بالهجوم ، والرسول يقوم دائماً بالدفاع ، ونزل قوله تعالى :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظاموا ، وإن الله على نصرهم لقدير » .

وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الله الله ين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴿ وعلى هذه القاعدة القرآنية - وهي قاعدة الدفاع وعدم الاعتداء - دخل الرسول ضد قريش ، واتخذ لنفسه بعض الاحتياطات الإعلامية منها :

أولا — حاول بطرق غير استفزازية أن يفهم قريشاً ويعلمها بهذه الحقيقة وهي أن المسلمين لاغني لهم عن الحج ، وأن تجارة قريش تصبح في خطر كبير إذا حاولت قريش أن تصدهم عن أداء هذه الفريضة . ثانياً — تنظيم سرايا استعلامية تأتيه بمعلومات عن تحركات العدو . ومنها — على سبيل المثال — سرية بقيادة عبد الله بن جمحش، وقد دفع الرسول إليه كتاباً وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيرته، ثم بمضى

لما أمر الرسول به ، ولا يستسكره من أصحابه أحداً ، فلما فتح عبد الله الكتاب ــ كما أمره الرسو ل ــوجده يقول : إذا نظرت في كتابي هذا فلتمض حتى تنزل (تخلة) فيرصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم ،

معنی هذا أن مهمة عبد الله بن جحش كانت مجرد إجراء وقائی ، و إعلامی خشية أن يأخذ العدو المسلمين على حين غرة ،

غير أن عبد الله بن جحش ما كاديصل إلى (نخلة) حتى خالف أمر الرسول وهجم على عير لقريش في طريق عودتهم من الشام وقتل أواحدا منهم، ويعتبر هذا الحادث سبصرف النظر عما فيه من المخالفة لأمر النبي من الحوادث العادية بين العرب ، لولا أن قريشاً كانت تظمأً إلى الدم وتتلهف على الحرب ، وتذهر أتفه الأسباب لنشوب المحرب ، فكان ذلك من الأسباب التي مهدت (لغزوة بدر) أ

ثالثاً ــ اعتماد الرسول على حملة الأخبار وهم الذين نسميهم فى العصر الذي نعيش فيه (مندوبي الأخبار) أو (المراسلين الحربيين) .

وفى صحيح مسلم (١) فى الكلام عن غزوة المخندق (أن بعض الصحابة قال : رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب «أو المخندق » وقد أخذتنا ربح شديد وقرة ، فقال رسول الله : ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا ولم يجب منا أحد ،ثم قال : ألا رجسل يأتيني بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا ولم يجب منا أحسد . ثم قال علي ته علم الحديقه فأتنا بخبر القوم ولا تذعرهم منا أحسد . ثم قال علي : قم ياحذيقه فأتنا بخبر القوم ولا تذعرهم على "(٢)).

قال حذیفة : فلم أجد بدآ إذ دعانی رسول الله باسمی أن أقوم ، فلما ولیت من عند رسول الله شعرت كأنما أمشی فی حمام. (یرید أن یقول

⁽١) الجزء ١٢ في الــكلام عن غزوة المندق :

⁽ ٣) يعسى ولا تسبب لهم ذعراً فيهجموا على بل حساول أن تأتيسي بأشهارهم دون أن الشعرهم بثيره .

أنه لم يشعر ببرد تلك الليلة كما كان يشعر به قبل خروجه من عندرسول الله بل هافاه الله من ذلك ببركه طاعته للنبي) ، ومضيت في طريقي حتى أتيهم ، فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار، (وذلك من شدة البرد) ، فوضعت سهما في كبد القوس وأردت أن أرميه به : فتذكر تقول رسول الله ولا تذعرهم على ، ولو رميته لأصبته ، ورجعت وأنا أمشى في مثل الحام ، فلما أتيت رسول الله أخبرته مخبر القوم وفرغت وقررت (أي عاد إلى الشعور بشدة البر) فألبسي رسول الله من فضل عباءته التي كان يصلي بها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت ، ه

رابعاً وأخرى من الوسائل التي عمد إليها الرسول في مجاهدة قريش في أثناء حربه معها وسيلة (الدعاية) أو خداع العدو ،

ورد فى كتاب (صورة من حياة الرسول) (١) قوله : وكان ماصنع الله لرسول الله وللمؤمنين أن أتى (نعيم بن مسعود الأشجعي) إلى النبي بالله معلناً إسلامه قائلا له :

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة (وهم عشائر البهود في المدينة كما ذكرنا)، وكان نعيم ينادمهم في الجاهلية فقال لهم :

لا يابني قريطة - لقد عرفتم و دى إياكم و خاصة ما بيني وبينسكم ، ،
 قالوا : قل فلست عندنا بمهم .

فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهر تموهم عليه ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غبر ذلك لحقوا ببلاهم ، وخلوا بينسكم وبين الرجل (يريد الذي) ، ولا طاقة لكم ببلاهم ، وخلوا بينسكم وبين الرجل (يريد الذي) ، ولا طاقة لكم (١) تأليف أمن دويدار من ٢٨ ،

(بابني قريظة) ، به ، فلا تقاتلوا مسح القوم (يريد مع قريش) حتى. تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم .

ثم خرج نعيم بن مسعود حتى أتى قريشاً فقال لهم :

ه لقد عرفتم ودى لكم معشرقريش وفراق محمداً ، وقد بلغنى أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا على n .

قالوا : نفعل ذلك .

قال: تعلمون أن معشر بهود قد ندموا على ماكان من خذلالهم محمدا، أرسلوا إليه، إنا قد ندمنا على ما فعلنا . . إلغ ...

ثم أتى غطفان وقال مثل ذلك .

فلها كانت ليلة السبت – وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين ـ أرسل أبو سفيان إلى بنى قريظة فى المدينة (عكرمة بن آبى جهل فى نفر من قريش وغطفان) يقول لهم: إنا لسنا بدار مقام، فقد حملك الحف والحافر، فاستعدوا صبيحة غد للقتال حتى نناجز محمداً ».

فأرسل إليهم بنو قريظة بالمدينة يقولون: « إن اليوم سبت ، وهو لا نعمل قيه شيئاً ، وقد علمتم ما قيل فيمن تعلى منا فى السبت . ومع ذلك فلا نقبل الحكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم ، وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه » .

فلها رجع الرسل بللك قالوا :

ه صدق والله نعيم بن مسعود » وردوا إليهم يقولون : ه والله لانعطيكم هذا أبدا . فاخرجوا معنا إن شئتم ، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم » .

فقال بنو قريظة :

والله تعيم بن مسعود .

وخلل الله بينهم واختالهت كلمتهم .

ترى معى أيها القارىء لها النص الأخير كيف أن رسول الله وعد إلى الدعاية الى عد إلى الدعاية الى البده منها في وقت الحروب، وهى الدعاية الى تهدف إلى إحداث التفرقة بين صفوف الأعداء، وهى المقصود بقوله على لنعيم بن مسعود « فخذل عنا مااستطعت» أى أحدث بينهم تخليلا وشعوراً بالهزيمة حتى لا يثق بعضهم في بعض . وبذلك يتفرقون وتضعف قواهم وينصرنا الله عليهم . وهذا ما فعله نعيم بن مسعود حين مشى بين قريش وغطفان ويهود المدينة المنتمين إلى قبيلة بني قريظة ، وكان بين هذه القبائل المنازث تحالف قوى ضد النبي. وقد تنبه النبي إلى تمزيق هذا الحلف بالدعاية الحربية ونجيع في بلوغ هداه الغاية بتوفيق من الله تعالى وبذكاء نعيم ابن مسعود ،

جاء فى كتاب (تيسِر الوصول فى أحاديث الرسول) تأليف الشيبانى ما نصه :

و عن أسماء بنت زبد رضى الله عنه قالت : قال رسول الله بَرَائِيِّنَ الله عنه الله على ابن آدم حرام إلا فى ثلاث خصال : رجل كذب فى الحرب فإن الحرب خدعة و أخرجه الترمذي وأخرجه مسلم فى إحدى رواياته ،

ثم إن من معانى الحديث النبوى: وخذل عنا ما استطعت و معنى يؤمن به نوابغ الحرب فى العصور الحديثة، وهذا المعنى الأخبر هو وجوب نشر ووح الهزيمة فى معسكرات العدو، والنظر إلى هذا العمل على أنه من أدوات النصر على هذا العدو،

يقول التاريخ: إن الإنجليز في الحرب العالمية الأولى كانوا يسخرون الصحافة لحرب من هذا النوع ، وكان الصحفي الإنجليزي نوثكليف هو المنظم اللحقيقي لهذه الدعاية وكسان أسلوب هذا الصحفي يقوم على نشر روح الهزيمة في داخل ألمانيا معتمداً في ذلك على القاعدة التي تقول :

(م ١٠ - الإعلام في صدر الإسلام)

و إن روح الهزيمة إنما تبدأ أولا في الجمهة الداخلية للعدو . (١)

٤

بني أن نسأل ألفسنا هذا السوال :

ألم نقل في التمهيد لهذا الباب أن الجهود التي بذلها الرسول في سبيل تشر المدين لا يصبح أن يطلق عليها غير اسم واحد فقط هو (الدعوة) ؟ وأما الدعاية فهي الامم الذي أطلق على جميع الجهود التي بذلها الدخلفاء المسلمون. منذ معاوية بن أبي سفيان إلى الآن ؟

بلي -- قلنا فالك ؛ وتحن مصرون على ما قلناه .

أما هذه الواقعة التي وقعت للرسول مع نعيم بن مسعود فإنها لا تهدم هذا الحكم الذي سخكما به على جهود الرسول ، و تغير الاسم الذي أطلقناه على هذه الجهود ، وهو (الدعوة) . وذلك لأسباب منها .

أولا: إن هذه الواقعة فريدة من إنوعها في حياة الرسول ، ولم يقع من نوعها الشيء الكثير ،

ثانياً: إن هذه الحيلة استخدمت فى ظروف الحرب، والحرب فى كل ملكان وزمان إنما تقوم على الحيلة والمكيدة والمكر والحديمة ، وما ينبغى أن تخلو حياة الرسول من كل ذلك عند الضرورة وإلا استهان به الأعداء وتغفلوه - صلى الله عليه وسلم - وأكلوه لقمة ما ثغة .

ثالثاً : إن الرسول واحد أمام أعداء كثيرين وأنه أقل من أحدهم عدداً وعدة فلا بدله أن محمى نفسه بسكل الوسائل الممكنة ، ومنها وسيلة المكيدة ،

[.] إِنَّ) عبد الطيف حمزة ، كتاب : الإملام والدعاية ، الطيمة الأولى ص ١٦١ .

بعثات الرسول إلى الأمراء والملوك

حدثتنا كستب السيرة أن الرسول عاد من صلح (الحديبية) فذعا المسلمين إلى اجتماع علم أوضح لهم فيه أن الإسلام جاء رحمة للناس كافة، وأن العرب ليسوا هم المقصودين وحدهم بهذا الدين، وأن الوقت قد حان لحمل الرسالة الإسلامية إلى جهات أخرى في داخل بلاد العرب وفي خارجها، وأنه بجب البدء بالملوك والأمراء المحاورين لهم ومسهم يومئذ : قيصر الروم، وكسرى فارس، ونجاشي الحبشة، والمقوقس، وعزيز مصر، وأمير البحرين يوصاحب دمشق ، وأمراء اليمن ، وهذا كله فضلا عن أمراء العرب الذين لم يدخلوا بعد في هذا الدين، ومنهم الأمير شرحبيل وغيره

واستقر رأى النبي ﷺ على أن يبعث إلى كل واحد من هؤلاء بوفد من قبله ﷺ ومع الوفد رسالة خاصة يدعوه فيها إلى عبادة الله وحده وإلى الإعمان الذي جاء به محمد .

وقيل إنه للأسف الشديد لم محتفظ التاريخ بكل هذه الرسائل النبوية ، وذلك فيما إعدا الرسالة التي وصلت إلى المقوقس ، والرسالة التي وصلت إلى هرقل ورسائل أخرى قليلة . فقد ذكر التاريخ أن المقوقس أحسن استقيال الوفد الذي حمل إليه الرسالة وأنه حفظ هذه الرسالة نفسها في صندوق ثمين وبعث مع الوفد الذي عاد إلى الرسول بجملة من الهدايا ومنها بغلة وجاريتان ، تزوج الرسول بواحدة منهما . وهي مارية القبطية ، وأهدى الأخرى ـــواسمها شهرين ــ إلى شاعره حسان بن ثابت .

وأما الرسالة نفسها فقد جاء فها .

 بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من انبع الهدى أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتلك الله أجرك مرتبن، فإن توليت فعليك إثم القبط « ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولا يتخسل بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا المهدوا بأنا مسلمون » .

وبعث الكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة فتوجه إلى مصر فوجد المقوقس بالإسكندرية فذهب إليه فوجده في مجلس مشرف على البحر، فركب سفينته إليه ، وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه ، فلما رآه أمر باحضاره بين يديد، فلما جيء به إليه ووقف بين يديه ، ونظر في الكتاب ففضه وقرأه، وقال لحاطب : ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه، فقال له حاطب : وما منع عيسي أن يدعو على من خالفه أن يسلظ عليهم ؟فاستعاد منه الكلام مرتين، ثم سكت فقال له حاطب: إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله تعالى نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر غيرك بك ، قال : إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خبر منه، فقال حاطب : ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافى به الله فدع ماسواه، إن هذا النبي و ضلى الله عليه وسلم ، دعا الناس فكان أشدهم عليه قريشاً وأعداهم له يهوداً وأقربهم منه النصارى،ولعمرى ما بشارة موسى بعيسي إلا كبشارة غيسي بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق علمهم أن يتبعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا انهاك عن دينك، ولسكننا نأمرك به، فقال المقوس، إنى قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لايآمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر اللفيال ولا البجاهل الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة : بإخراج المهبء والإخبار بالنجوى وسأنظر وأخذ كتاب النبي مُلِلَقِم فجعله في حق من عاج و دفعه لجارية له ، ثم دعا كاتباً له يكتب العربية فكتب إلى النبي :

يسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ،سلام عليك (أما بعد) فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدهون إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بتى ، وكنت أظن أنه بخرج من الشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لها مسكان من القبط عظيم . . . وكسوة ، وأهديت إليك بغلة لمركبها والسلام (1) .

ولم يزد على هذا ، ولم يسلم .

مندويو الرسول إلى الملوك والأمراء :

بعث الرسول ﷺ رسلا من أصحابه وكنتب معهم كتبا إلى الملوك يلاعوهم فيها إلى الإسلام :

١ -- فبعث دحية بن خليفة الـكلبي إلى قيصر ملك الروم .

٢ --- وبعث عبد الله بن حدافة السهمي إلى كسرى ملك فارس.

٣ -- وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشي ملك الحبشة .

ع -- وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية .

ه ــ وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان ،

٦ - وبعث سليط بن عمرو إلى (عمامة بن آثال و هوازة بن على) على الحنفين ملكي اليامة .

۷ - وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين .

۸ -- و بعث شجاع بن و هب الأسدى إلى الحارث بن أبي شمر الغساني - ملك تخوم انشام (۲) .

* * *

⁽١) المنتخب من السنة ، مجلد ط ٧ ، القاهرة سنة ١٩٥٢ ص ٢٦٩ وما بعدها .

 ⁽۲) سیرة آلنبی لابن هشام ج ٤ ص ۲۷۸ مطبعة سیجازی بالقاهرة سنة ۱۹۳۸ تحقیق
 خی الدین عبد الحمید .

قام الرسول بهذه الحركة الإعلاميه الواسعة النطاق ، وأوفد البعثات إلى جميع الجهات بعدد أن نزلت الآية الكرعة : « قل يأهل السكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

يقول مولانا محمد على ، تعليقاً على حركة البعثات النبوية (١) .

إن الظروف التي أحاطت بتوجيه هده الرسائل النبوية للملوك والأمراء للستحق شيئاً من التأمل والاعتبار، فلو أن الرسول وجه هذه الرسائل بعد إخضاع بلاد العرب برمتها لنفوذه ، إذن لكان في إمسكان الباحث أن بعتبرها عملا أوحى به الطموح إلى التوسع في الملك ، فقد كان المسلمون إلى ذلك الحين أضعف من أن يشقوا طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج، وكان المشركون لا يزالون هم أصحاب السلطة الحقيقية حتى لقد فرضوا شروط الصلح (يريد صابح الحديبية) على الذي علي الذي علي الله .

فصحيح إذن أن الرسول لم يكن بهدف من وراء هذه الحركة الإعلامية إلى التوسع في النفوذ أو إلى جساه أو سلطان أو نحو ذلك ، إنمسا كان الرسول يحرص من خلال هدده الحركة أن يفهم المسلمون أن الإسلام لم يقصد به العرب وحدهم ، ولكن يقصد به الناس كافة .

ولنا تعليق آخر من الناحية الإعلامية عدا تعليق مولانا محمد على الذى أوردناه الآن على حركات البعثات النبوية ، ونلخص تعليقنا فيما يلى :

نفهم من دوائر المعارف الإنجليزية والأمريكية أن الدبلوماسية ذاتها فن حضرى بحت. بمعنى أنه لم يعرف إلا فى العصور الحديثة ... وفى العصر الذى نعيش فيه بنوع خاص .

ولعل أقصى ماذهب إليه المؤرخون المحدثون هو أن الدبلوماسية لم تعرفها البشرية قبل القرن الثالث عشر الميلادى ، وهم يقولون إن هذا الفن إنما بدأ في (الفاتبكان) على يد أحد البابوات منذ أخذ البابا يبعث بالوفود إلى

⁽١) مولانا محمد على: حياة محمد و رسالته - النَّر حِمَّة العربية الماير اليعلمكي ص ١٩٧ - ١٩٨

الملوك والأمراء لأغراض دينية وأخرى سياسية (١)

ولكن نظرة واحدة إلى الحركة التي قام بها الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل ذلك بنسعة قرون من الزمان يدلنا على أن هذا الرسول هوأول من مارس هذا الفن الذي يقولون عنه إنه حضرى بحت – ونعنى به فن الدبلوماسية ، وليس أدل على ذلك من أنه قام بتنظيم حركة البعثات إلى الملوك والأمراء ، فنهم من رحب بهذه الدعوة كما فعل المقوقس بنوع خاص ، ومنهم من رفض هذه الدعوة ، وأساء الرد على صاحب الرسالة ، كما فعل كسرى .

وهكذا أثبت التاريخ أن محمداً أول من زاول (الاتصال الشخصى المباشر) من وسائل الإعلام القديمة والحديثة وذلك عن طريق الوفادة وطريق الرسالة . ومما لاشك فيه أن العرب في الإسلام كانوا أقدر على ممارسة هذه الوسيلة من وسائل الإعلام منهم في الجاهلية لا لشيء إلا لاختسلاف القيم التي كانت تحكمهم في الجاهلية . ولقد سبق أن تحدثنا عن هذه القضية عند الكلام عن القرآن الكريم باعتباره أكسر الوسائل الإعلامية في صدر الإسلام ، وقد رأينا أن القيم التي كانت تحسكم المحتمع العربي في الجاهلية الإسلام ، وقد رأينا أن القيم التي كانت تحسكم المحتمع العربي في الجاهلية كانت مبنية في أكثرها على العنف والشر ، بينها كانت القيم التي حكمت العرب في الإسلام تبني على التقوى والإيمان ، وفي ظل هذه القيم الأخيرة نبيح الفن الذي مارسه الرسول بالله وهو فن (الدبلوماسية) .

استقبال الرسول للوفود

مما لاشك فيه أن حركة الاستقبالات - تعتبر نوعاً من (العلاقات العامة) ، ولكنا حرصنا على أن نخص كلا من هاتين

⁽١) راجع كتاب (أضواء على الدبلوماسية) للأستاذ أحمد عبد الحميد .

الحركتين بكلمة مستقلة بذاتها ، وظلت لأهميتها فى تاريخ الدعوة الإسلامية ، ولأنها من أكبر مظاهر النشاط الاعلامى لرسول الله بالماني ، وبدون ذلك تكون قد قصرنا فى التنويه بهذا النشاط .

فى أواخر السنة التاسعة للهجرة ، وطول السنة العاشرة تدفقت على المدينة وفود ثمثل مختلف القبائل والعشائر المعروفة فى شبه جزيرة العرب ولذلك سمى العام العاشر للهجرة (بعام الوفود) ، وإليك أسماء بمض هذه الوفود على سبيل المثال .

١ ــ وفد ئقيف .

۲ -- وفد بنی تمیم .

. ۳ سـ و فد تغلب .

﴿ ٤ ــ وقد تجران من الوقود النصرانية أيضاً ،

وكان عدد الوفود سبعين رجلا ،وزعياهم عبد المسيح وعبد الحارث ؛ هـ و حدد الوفود سبعين رجلا ،وزعياهم عبد المسيح وعبد الحاصة) هـ و فد بجيلة من القبائل اليمنية الى كانت تملك هيكلا اسمه (الحلصة) وكان في اليمن يعتبر عثابة (الدكعبة) في مسكة ، وقد هدم المسلمون هذا الهيكل بأمر من الذي مراقية .

٦ وفود أخرى من البين وعمان والبيامة والبحرين (وأمير ها إذ ذاك هو المناس).

٧ - وفد واثل بن حجر الكندى والأشعث بن قيس ، وهما زعيا حضر موت جاءوا فى أعداد كبيرة، وكانوا يرتدون الملابس الحريرية ، فلما سألهم الرسول : هلى تحبون أن تعتنقوا الاسلام ؟ قالوا : نعم يارسول الله، فقال لهم : اخلعوا هذه الملابس الحريرية ، ففعلوا ولبسوا غيرها .

وقد قبل إنه فى عام الوفود هذا نزلت سورةالنصر وفيها يقول الله تعالى : و إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك و استغفره إنه كان توابا ، وقيل كذلك إن هذه السورة نزلت في حجة الوداع ، وكانت آخر ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ .

ولمكنى أميل إلى الرأى الأول، لأن هذه السورة إنما تشير إلى حادث الوفود، وتعتبر حركتهم نصراً من الله وفتحاً.

وهكذا عم الاسلام جميع أرجاء الجزيرة العربية باستثناء بعض الجاليات القليلة للمود والنصارى .

¢ **4** 5

ومع كل وفد من الوفود السابقة كان الرسول يبعث بواحد من أصحابه لكى يصحبهم في عودتهم إلى القبائل التي أتوا منها ؛ وهذا ما سميناه في الباب الأول من أبواب الكتاب (بحركة «القراء») المتفقهين في اللاين الذين صحبوا هذه الوفود لكى يعلموا القبائل التي أتوا منها ويفقهوهم في الدين وعيبوهم إلى كل ما يسألونه من الأسئلة في موضوعات هذا الدين وأركانه وفرائضه ونحو ذلك ، ولكى يفسروا لهم بعض آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ، وبذلك يزداد أفراد هذه القبائل العربية علماً بالدين وعلماً بأوضاعه وأحكامه ، ومن ثم كان العمل الذي قام به القراء هملا دينياً وإعلامياً في وقت معاً .

وقد نجحت هذه النجرية الاعلامية أول ما نجحت على يد المعلم الأول لهذه الأمة ونعنى به محمداً على ، وذلك عندما التي في موسم الحج بثمانية عشر رجلا من الحزرج — وعرض عليهم الاسلام ، فأسلموا، فبعث معهم بأحد الصحابه ، وهو هنا (مصعب بن عمير) ليهديهم ويرشدهم وبعلمهم القرآن الكريم والسنة النبوية ، فذهب معهم مصعب لهذه الغاية ، وكان ذلك في السنة العاشرة للبعثة ، والرسول يومئذ لم يزل موجوداً بمكة ، ولم يؤذن له بالهجرة منها إلى المادينة .

وكانت الوفود إذا أقبلت على الرسول أقبل معها خطباؤها وشعراؤها فتكلموا وتناشدوا ، وكان خطباء المسلمين وشعراؤهم يردون على خطباء الوفود وشعرائهم ، وقد شهد التاريخ بأن خطباء المسلمين المستقبلين لهذه الوفود كانوا أبلغ فى كل مرة من خطباء الوفود ، ولاغرابة فى ذلك فقد كان خطباء المسلمين المجاورين للرسول والصحابة إنما يستمدون معانيهم من القرآن الكريم ومن السنة ومن معاشرة الرسول نفسه ومعاشر الصحابة معه، كما كان خطباء المسلمين ممتلئين بالعواطف الدينية الجياشة، والمشاعر الاسلامية النبيلة بالقدر الذى يكفى للوصول بخطبهم إلى درجة كبيرة من درجات البلاغة والتأثير فى نفوس العرب .

وهذا الذى قبل فى الخطباء المسلمين قبل مثله فى شعرائهم ، وإن كان الخطباء ... كما سبق أن أو ضحنا ذلك... أبلغ فى صدر الإسلام من الشعراء للاسباب التى سبق أن أشرنا إليها فى موضعها من هذا الكتاب .

V

حركة الهمس وأثرها فى نشر الدعوة

يعتبر التهامس بين الناس فى كل عصر من العصور عاملاً قوياً من العوامل التى تؤثر فى (الرأى العام) ولذلك لم يغفل عنه حاكم من الحكام فى الأزمنة القديمة والحديثة على السواء ، و قد عرف عن بعض الخلفاء العباسيين أنه كان ينشر العجائز فى بيوت المخاصة والعامة لكى يأتوه بالأخبار والأحاديث التى تدور فيها ، ومنها يفهم الخليفة رضا الناس عنه أو سخطهم عليه .

ونما لاشك فيه أن سبرة الرسول ، وعظمته المخلقية، وكماله النفسي، وغير ذلك من الصفات التي امتاز بها البشر ، وهي الصفات التي عبر عنها القرآن الكريم مخاطباً الرسول بقوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظم ، ، نقول : لاشك أن هذه السيرة النبوية العطرة ، والمثل الأعلى في الأخلاق

والمعاملات ، والعبادات كانت مثار دهشة كبيرة من جميع العرب في مكة والمدينة وفي غيرهما من أرجاء شبه الجزيرة العربية .

كان الناس يتحدثون عن هذه الصفات التي اكتملت للنبي إما جهاراً حين لا يخافون سطوة أحد ، وإما إسراراً أو عن طريق الهمس حين يخافون شيئاً من ذلك ، وكان هذا التحدث أو التهامس في ذاته عاملا قوياً من عوامل انتشار الإسلام ، وقد وجدنا مصداق ذلك في حادثين بنوع خاص ها :

﴿ ﴿ ﴿ حَادِثُ الْهُجُرَةُ .

٢ ــ صلح الحديبية.

فأما فى الهجرة فقد سبق أن أشرنا إلى حركة النهامس التى حدثت فى مكة واقترنت بحادث الهجرة، فقد عجب المشركون يومثذ من أن المسلمين بدعوا يتركون أموالهم وأولادهم وممتلكاتهم وحياتهم الماضية الحافلة بين أهليهم وعشيرتهم فى مكة ويهاجرون إلى المدينة وأخذوا يتساعلون بينهم وبين أنفسهم : ما الغاية من كل ذلك ؟ وأجابوا على أنفسهم بإجابة واحدة ، وهي أن الأمر العظيم الذى ضحوا من أجله بكل ذلك - وهو الإسلام — لابد أن يكون محمد صادقاً فى دعوته، شرحنا ذلك فى موضعه من الكتاب ، ولا لحتاج إلى إعادة القول .

صلح الحديبية :

وأما صليح الحديبية فقد كان فرصة أخرى لهذا البّهامس الذي كان له أبعد الأثر في نشر العقيدة الإسلامية .

***** *

بذلت قريش كل ما فى وسعها للقضاء على الإسلام. وذلك فى معركة (بدر) ، ثم معركة (أحد) ثم فى معركة (الخندق) أو الأحزاب، ولكنها لم تفلح، ومنذذلك الوقت بئست قريش كل اليأس من الهجوم على المدينة ، وخيل للمسلمين إذ ذاك أن قريشاً ومعها قبائل البدو الموالية لها لن تعترضهم فى ذهابهم للحج بعد اليوم؛ وبعد عام من معركة الأحزاب فكررسول الله في الحروج للحج . فخرج ومعه ألف وأربعائة رجل من المسلمين أمرهم الرسول أن يضعوا السيوف في أغمادها ، لأنهم إنما عرجوا للحج لاللحرب، فلما اقتربوا من مكة وجدوا قريشاً تستعد لقالهم، وتنوى أن تعتر ضطريقهم فلما اقتربوا من مكة وجدوا قريشاً تستعد لقالهم، وتنوى أن تعتر ضطريقهم إلى أجل غير مسمى ، فرفضت قريش هذا العرض ، ثم بعث الرسول إلى قريش تحبير مسمى ، فرفضت قريش هذا العرض ، ثم بعث الرسول إلى بعث الرسول فيهم بعثان بن عفان فاحتجزوه عندهم وسرت شائعة بأن قريشا قتلت عمان ، وتأذم الموقف كل التأزم ، فالمسلمون عزل من السلاح وعدهم قليل بالقياس إلى الأعداء ، والعدو مصمم على انتهاز الفرصة فاذا يفعل الرسول في تلك المحظة الحرجة ؟ لقد دعا أصحابه ليبايعوه من جديد ، فبايعوه جميعاً تحت الشجرة ، وسميت هذه البيعة في التاريخ جديد ، فبايعوه جميعاً تحت الشجرة ، وسميت هذه البيعة في التاريخ رجل .

علمت قريش بهذه البيعة ، وعرفت أنها تعبر عن أقصى ما يمكن التعبير به عن ارتفاع القوة المعنوية ، وأدركت أن هذه القوة كافية لأن تغنى المسلمين عن كثرة العدد والعدة ، فخافت على نفسها من نتائج ذلك ، وعدلت عن فكرة الحرب ودخلت فى مفاوضات جديدة مع الرسول بقصد الصلح لمدة عشر سنوات ، وتم هذا الصلح ، وكانت أهم بنوده ما يلى :

١ - يرجع المسلمون عامهم هذا ، فلايؤدون فريضة الحمج .

٣ - يجوز للمسلمين أن يفدوا في العام القادم على مكة بشرط ألايلبئوا
 فيها أكثر من ثلاثة أيام .

٣ - لا يحتى للمسلمين أن يصطحبوا مسلما يقيم فى مكة ، ولا يحق لهم
 أن يعتر ضوا سبيل امرىء منهم قد يرغب فى التخلف فى مكة ،

٤ ـــ من أحب من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ،
 ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .. إلخ .

وقرأ المسلمون شروط هذا الصلح فأحدث في نفوسهم ثورة ، ولكنهم تكلفوا الهدوء انتظاراً لرأى النبي ، ثم عجز عمر بن الحطاب عن ضبط نفسه بعد ذلك فسأل الرسول: ألست برسول الله؟ قال: بلي ، قال: أولسنا بالمسلمين ؟ قال: بلي . ثم قال: أنا عبد الله ورسوله بالله . فلن أخالف أمره . ولن يضيعني . ثم سأله عمر : ألم تقل لنا إننا سوف نؤدى فريضة الحسج ؟ قال الرسول الأعظم : أنا لم أقل إننا سنؤدى فريضة الحج هذا العام .

وفى طريق عودة الرسول وأصحابه إلى المدينة نزلت الآية السكريمة : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » وينصرك الله نصراً عزيزاً ».

وتلا الرسول هذه الآية على من معه من المسلمين فانقلب حزبهم سروراً وقاقهم اطمئنانا ، وعلموا أن للرسول حكمة في قبول هذا الصلح .

ويقول مولانا محمد على تعليقاً على هذه الحادثة (١) « لقد أثبتت الأبام أن صلح الحديبية كان نصراً حقيقياً للإسلام ، يدلك على ذلك أن الرسول حين وفد على مكة بعد عام ونصف عام رافقه عشرة آلاف من أصحابه بدلا من ألف وأربعمائة ـــ وهو العدد الذي كان معه زمن الصاح ، فكيف تعلل هذا الازدياد العظيم في عدد المسلمين .

الواقع أن حالة الحرب التي سادت حتى ذلك الحين بين المسلمين والمشركين كانت قد أقامت بينهما برزخاً عريضاً يصعب اجتيازه، وكان الحقد العام على المسلمين قد حال بين المشركين وبين المتزاجهم بالمسلمين. فإذا بصلح الحديبية بعقد بين الفريقين للمرة الأولى منذ انبثاق الإسلام جسرا

⁽۱) مولانا محمد على « حياة محمد ورسالته » البرجمة العربية لمنير بعلبكي ص ۱۸۷ .

على ذلك البرزخ العريض، وقد أتاح ذلك للمشركين فرصة التفكير الهادىء في فضائل الإسلام الفطرية وعظمة الرسول الحقيقية ، ومنذ ذلك الوقت أدرك المشركون أن الرسول لم يبعثه الله لكى يقطع صلة الرحم ، ولاليثير الشقاق والعداوة والبغضاء بين العرب كما زعمت قريش .

وتناقل الناس في مكة وفي القبائل العربية المجاورة كل هذه الأحاديث، وتهامسوا فيا بينهم حول عظمة الرسول ، وخطورة الرسالة الإلهية التي بعث بها هذا الرسول، وكان لهذا النهامس الهادىء الجميل أثره الواضح الجلي في نجاح الدعوة الإسلامية وزيادة عدد المسلمين حتى ذهب إلى الحج بعد عام ونصف مع الرسول قريب من عشرة أمثال العدد الذي كان معه في صلح الحديبية ، وهذا كله ما عبرت عنه الآية الشريفة التي أشرنا إلها و إنا فتحنا الك فتحا مبيناً و إلخ ،

* * •

تحدثنا إلى الآن عن الوسائل الإعلامية التي مارسها الرسول في مرحلة الاستقرار ، ولم يبق من الوسائل غير واحدة هي (غزوات النبي مَرَّبُلِكُهُ وَسَرَايَاهُ) ونريد أن نخص هذه الأخيرة بفصل مستقل هو الفصل الآتي :

لسنا نريد أن نتحدث عن غزوات الرسول من الناحية الحربية ولا من الناحية الدينية، ولكنا سنتحدث عن هذه الغزوات من الناحية الإعلامية .

إن نظرة واحدة إلى هذهالغزوات تدلنا على جملة من الحقائق الخطيرة:

أولاها ، أن المسلمين في كل غزوة من هذه الغزوات لم يكونوا هم المعتدين ، وإنما كان المشركون هم الذين يعتدون عليهم، وكان على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم :

الثانية ، أن المشركين كانوا في كل غزوة من هذه الغزوات أكثر عدداً وأقوى سلاحاً وأعظم استعداداً للحرب من المسلمين ، ولسكن المسلمين كانوا محاربون بإعانهم وعقيدتهم، ومن أجل ذلك كانت روحهم المعنوية أعلى بكثير من روح المشركين .

الثالثة ، أن الرسول لم يكن يبغى منوراء الغزوات إلى توسع فى الملك أو السلطان ونحو ذلك . إنما كسان يهدف إلى شيء واحد فقط ، هو تبليغ المدعوة ونشر الإسلام ، فلبس بينه وبين أعداء هذا الدين إلا أن يقولوا ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن قالوها فقد عصموا منه دماءهم، وتمتعوا مجميع الحقوق التي يتمتع بها المسلمون ،

الرابعة : أن النبي ﷺ كان يحارب في هذه الغزوات بأخلاقه كما كان محارب بسيوفه ورماحه ﴿

ولنا بعد ذلك أن نقف وقفة قصيرة عند كل غزوة من غزوات النبي على الله الله النبي على النبوا النبي عنه النظرة الإعلامية التي تؤيد ما نقوله ،

قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . وعلى أساس من هذه القاعدة القرآنية كان اشتباك الشباك الرسول مع المشركين وكان على الرسول قبسل اشتباكه معهم أن يقوم بطائفة من الإجراءات الوقائية والإعلامية التي لابد منها ،

الفصل لسادس بعض لغنزوات المنبتوية من الزاوية الإعلاميّنة

غزوة بدر :

ومن هذه الإجراءات فيا يتصل بغزوة بدر تلك الحركة التي أوعز بها الرسول؛ عن طريق (سعد بن معاذ الأشهى) وهو من الأنصار. فقد أفهم قريشاً في موسم الحج أن تجارتها ستصبح في خطر كبير إذا هي منعت المسلمين من نأدية فريضة الحج كما سبق ذكر ذلك ، وكان هذا التحذير كافياً في الحقيقة لردع قريش عن التفكير في الحرب.

لقد كان المسلمون إذ ذاك أضعف من أن يقوموا بأى عمل حربي ضد قريش ، وكان الرسول يشعر عسثوليته عن سلامة المسلمين ، وبنوع خاص لأن عددهم إذ ذاك ما زال قليلا بالنسبة للمشركين .

مهما يكن من شيء فقد اشتبك الفريقان في معركة بدروكان عددالمسلمين الإزيد عن ثلباتة وثلاثة عشر مقاتلا في جملهم الغلمان ، وكلهم مسلحون تسليحاً رديئاً على حين كان جيش العدو مؤلفاً من ألف مقاتل مزودين بالسلاح الكامل ، وكان المسلمون يشعرون إذ ذاك بالحوف والضيق والقلق والحرج ، ومع هذا وذاك لم يكن أمامهم إلا طريق واحد فقط هو طريق الدفاع عن النهس ، ولم ينتظروا في داخل المدينة حتى يدهمهم العدو بل عزموا على الخروج في هذه الحالة السيئة من التسليح ، وابتعدوا عن المدينة حتى وصلوا إلى بدر ودارت المعركة ، وهنا حدث مالم يكن في الحسبان حدث ظاهرة رائعة من ظواهر العون الإلهي ، فقد قتل في المعركة معظم زعماء قريش، وكان أبو جهل واحداً من الذين لقوا حتفهم المعركة معظم زعماء قريش، وكان أبو جهل واحداً من الذين لقوا حتفهم في ذلك الموقت وباغت جملة القتلى من قريش في المعركة سبعين ، وأسر المسلمون مهم سبعين اخرين ، أما شهداء المسلمين قلم يزيدوا على أربعة المسلمون مهم سبعين اخرين ، أما شهداء المسلمين قلم يزيدوا على أربعة

عشر ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

لفئت هذه المعركة أنظار العرب فى كل شبر من الجزيرة العربية من عدد أولها إلى آخرها ، فقد عجبوا كيف أن جيشاً ليس له حظ من عدد أو سلاح يغلب جيشاً يزيد على ثلاثة أضعافه من حيث العدد والسلاح ويضم قدامى المحاربين من أبطال قريش ، ومعنى ذلك أن وجوه الضعف كلها قد اجتمعت فى ناحية المسلمين وأن وجوه القوة كلها قد اجتمعت فى ناحية المسلمين وأن وجوه القوة كلها قد اجتمعت فى ناحية المسلمين وأن وجوه القوة كلها قد اجتمعت فى ناحية المسلمين وأن وجوه القوة كلها قد اجتمعت فى ناحية المشركين ، وبرغم ذلك انتصر المسلمين على المشركين .

أليس في ذلك إعلام كبير عن هذا الدين الجديد ودعاية إلهية واسعة النطاق لرسول هذا الدين ، وإيذان المشركين بأنهم لن يستطيعو التغلب على هذا الدين وعلى رسوله الكريم بالطرق التي يعرفونها كالغدر والقتل والنهب والنهديد والوعيد ا

غزوة أحد :

وفى غزوة أحد وقد تم تجهيز المشركين لها فى عام كامل ، وكان جيشهم بتألف من ثلاثة آلاف مقاتل فيهم مائتا فارس ومهم كذلك سبعائة بطل من خيرة أبطال قريش عدا الأبطال الكبار الذين ماتوا فى معركة بلس ، وزاد أبو سفيان - الزعم الأول لقريش فى ذلك الوقت - شيئا جديداً على هذه الحملة ، وهو أن أجر النساء على الخروج لمرافقة الجيش أملا فى أن يزدن فى حماسته ويلهين مشاعره بالأناشيد الحربية والأغانى الحماسية ، وسارت الحملة صوب المدينة حتى عسكرت على ثلاثة أميال الحماسية ، وسارت الحملة صوب المدينة حتى عسكرت على ثلاثة أميال منها عند جبل أجد .

أما عدد المسلمين إذ ذاله فلم يزد عن ألف مقاتل فيهم ماثة رجل مسلم. وفارسان اثنان ليس غير .

ولم يكد عبد الله بن أبى - وكان قد أسلم نفاقاً ولم يسلم عنصدق ــ لم يكد هذا الرجل يرى جموع العدو حتى انسحب من جيش المسلمين (م ١١ - الإعلام في مدر الإسلام)

بهفرقته البالغ عددها ثلثمائة ، وبنى من الجيش الاسلامى سبعائة لا قوة لهم إذ ذاله غير قوة العقيدة التى هي عندهم كل شيء .

وتقدم رسول الله وأصحابه للقتال واختار الرسول موقعاً ممتازاً في الميدان حيث جعل صخور (أحد) وراء المسلمان تحمى ظهورهم وأخذ يصف أصحابه هناك فشغلوا جزءاً كبيراً من سفح الجبل. ولكن كان في المحية من نواحي الجبل شعب يسمح للعدو بأن ينقض منه على المسلمين إذا غفلوا عنه. فقطن إليه الرسول ووضع على فه خمسين من الرماة المسلمين لحمايته ، وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم تحت أي ظرف ،

وبدأت الموقعة عركة إعلانية كبيرة من جانب المشركين حيث تقدم النسوة يضربن بالداوف وعلى رأسهن هند زوجة أبى سفيان وهن ينشذن جملة من الأناشيد منها على سبيل المثال:

إن تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق .

فراق غير وامق ... إلخ . `

وبدأ القتال بداية ناجحة بالقياس إلى المسلمين واستطاع حمزة عم الرسول أن يقتل حامل لواء المشركين وأوقع أمثال حمزة الاضطراب فى صفوف قريش ، وبقى الحال على ذلك حتى استشهد حمزة نفسه ، قتله مولى زنجى استأجرته هند زوجة أبى سفيان لهذا الغرض . وتقهقر المشركون ، ولكن ما كاد الرماة المسلمون الذين بحرسون الشعب يرون ذلك حتى غادروا أماكنهم مخالفين بذلك أمر الرسول ، ونظر خالد بن الوليد (اللي كان إلى ذلك الحين قائداً من قواد قريش) إلى هذه الغلطة التى ارتكها الرماة المسلمون وهجم من نقطة الضعف عائى فارس وأحدث اضطراباً في صفوف المسلمين المنتصرين إلى ذلك الحين . وحين رأى المشركون فلماربون ذلك التحول المفاجىء في سير الحرب لحقوا مخالد بن الوليد

و حاصر وا المسلمين، وأدرك النبي خطورة الموقف الذي وقفه المسلمون .. وكان يسعه إذ ذاك أن ينجو بنفسه ويضمن سلامته باللجوء إلى مكان أمين بحثمي به ويترك أصحابه للقدر . ولكنه لم يفعل ذلك بل وقف في مكانه وحوله عدد قليل من أصحابه ونادى بأعلى صوته (هلموا إلى أنا رسول الله) . فسمعه المسلمون وشقوا صفوف العدو حتى أدركوا النبي و دافعوا عن حياته ، وصرعوا واحداً بعد واحد في سبيل الدفاع عنه .

أما الرسول نفسه فشج فى وجهه وانشقت شفته ودخلت حلقتان من مغفره فى وجنته . كل ذلك وهو لا يزبد على أن يقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا بعلمون .

وهكذا عاد المشركون إلى مكة دون أن يظفروا بأية غنيمة من الغنائم ودون أن يكون فى أيديهم أسير واحد ، بل عادوا إلى مكة وكان الجيش الإسلامي نفسه لم يزل مسيطراً على الموقف كله ، وعاد المشركون إلى مكة بعد أن عجزوا حتى عن احتلال المدينة برغم أنها تركت يومئذ بدون قوة دفاعية ، بل عاد المشركون إلى مكة ، وقد معوا فى الطريق بأن النبي يطاردهم بجيشه ، ولم يجرؤ أبو سفيان على العودة بأصحابه إلى مواقع المسلمين المطاردين له ..

وهكذا كانت نتيجة الموقعة أن المسلمين منوا بخسائر فادحة ولكنهم لم يهزموا للمشركين بصورة من الصور . وهكذا أصبحت معركة أحد حديث القوم في مكة ، وبها عرف المشركون حقائق كثيرة عن الرسول وعن الإسلام ، وبها أيقنت قريش أن هناك سرآ يخلي عليها ، وأن هذا السر يكمن في هذا الرسول وفي هذا الدين الجديد ، ولذلك فكرت في عاولة أخيرة تقضى بها على الرسول وعلى الدين ، وهذه المحاولة الأخيرة تتمثل في :

غزوة الآحزاب « أو غزوة الخندق» :

فنى السنة الحامسة للهجرة تضافرت قريش واليهود والقبائل البدوية المعادية للرسول على توجيه الضربة الأخيرة إلى الإسلام ، وتألف لحؤلاء حيش يتراوح عدده ... في تقدير المؤرخين ... بين عشرة آلاف وأربعة وعشرين ألف مقاتل ، ولجأت القبائل اليهودية المقيمة داخل المدينة إلى الحيانة في آخر لحظة ، وتشاور الرسول مع أصحابه في هذا الخطر الداهم ، فأشار عليه سلمان الفارسي محفر خندق عميق محيط بالمدينة من جميع جوانها ، وبدأ الرسول في هذا العمل بنفسه .

وأقبل المشركون بجموعهم ، ووصف القرآن الكريم حالة المسلمين في تلك اللحظة الرهيبة بقوله : (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزارلوا زلزالا شديداً).

واستمر حصار المشركين للمدينة نحواً من شهر ربط المسلمون في أثنائه الحبجارة على بطونهم من الجوع ، وكان الرسول قدوتهم في كل ذلك . ثم شاءت إرادة الله أن تهب ربيح عاتية اقتلعت خيام المشركين وكفأت قدورهم واضطربت لها صفوفهم ، وإلى ذلك تشير الآية السكريمة (يأبها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا) .

ورأى المشركون ذلك فدب اليأس إلى قلوبهم وأيقنوا أن يدا خفية تحبط أعمالهم وتزلزل أقدامهم ، وهذه اليذ الخفية هي يد الله الذي بشر به محمد ، أليس في هذه الحادثة وحسدها ما يعلن إعلانا قويا عن هذا الدين الجديد ، ويعتبر نصراً عظيماً للرسول الكريم ؟

ونجا المسلمون من هذه الكارثة بطريقة عجيبة، وحينها تأكدوا من رحيل المشركين بجموعهم إلى مكة رجعوا إلى البهود الذين خانوهم بالمدينة وألقوا الحصار على قبيلة بهودية هى قبيلة بنى قريظة فاستسلموا بعد مقاومة قصيرة. واختار بنو قريظة بأنفسهم (سعد بن معاذ) ... وكان قبل إسلامه حليفاً لهم ... لكى محدد العقوبة التى يستحقونها على خيانتهم ونقض ميثاق الرسول أكثر من مرة ، فاختار سعد لهم العقوبة التى نص عليها (العهد القديم) (١) وهى عقوبة القتل ! .

وهكذا حسكم سعد ــ حسب الديانة البهودية ــ بقتل أذكور بنى قريظة وعددهم ثلبًاثة وبسبى نسائهم وأطفالهم ومصادرة أملاكهم وأموالهم .

أما القبيلتان البهوديتان الأخريان وهما (بنو النضير) و « بنو قينقاع » فقد حكم الرسول عليهما بالنبي خارج المدينة جزاء لهما على خيانة المسلمين في أحرج الأوقات التي مرت بهم .

فتح مكة :

أثبت صلح الحديبية كما أسلفنا ــ أنه عامل من عوامل نشر الدين الجلديد وأن هذا الدين ينمو فى جو الحرب . فاغتاظت لذلك قريش وفكرت فى نقض الصلح ، ومن ثم استعد الرسول لفتح مكة وتمت إرادة الله أن يتحقق هذا الفتح العظيم بدون دم .

وتم الفتح فى العاشر من رمضان من السنة الثامنة للهجرة و دخل الرسول مكة فى عشرة آلاف من أصحابه ، واستسلم المكبون من غير مقاومة فى مقدمتهم أبو سفيان وقد وقف بين يدى الرسول ، فعفا الرسول عنه ، وكان سلوك الرسول هذا المسلك مع أقوى أعداء الإسلام ... وهو أبو سفيان ... مثلا طيباً من الأمثال التى تحدث بها المسلمون وغير المسلمين، وكان فى الوقت نفسه إعلاناً كبيراً عن عظمة الإسلام ، وكم للرسول مع أعدائه من المواقف المشابه لهذا الموقف ، ومعنى ذلك أن سيرة الرسول فى ذاتها كانت من أقوى وسائل الدعاية له ولدينه المفيف ، ثم أعلن الرسول للمكبين و أن

١٤/١٤/١٣ سقر التثنية ٢٠/١٤/١٣ .

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » .

و دخل الرسول مكة وأخذ بحطم الأصنام القابعة حولها ، وكلما هذم منها واحداً ثلا الآية الكريمة وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل إن الباطل كان زهوقا به ، ثم وصل الرسول إلى مقام إبراهيم فصلى ركعتين ، وإذ ذاك فتحت أبواب الحرم و دخله الرسول وصلى بالناس كذلك ، ثم ألتى خطبة عبر فيها عن وحدانية الله وعن الأنحوة في الإسلام، ثم وجه الخطاب إلى زعماء قريش وكانوا واقفين بين يديه وقوف الجناة المذنبين ، وقال لهم : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فرد الجميسع : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال الرسول الأعظم : اذهبوا فأنم الطلقاء !

معركة حنين :

اعلى العبرة الإسلاميه لهذه المعركة الأخيرة تنحصر فى أن الله تعالى أراد أن يعلم المسلمين درسا لن ينسوه أبدا ، أراد أن يعلمهم أن كل انتصار من الانتصارات التي حصلوا عليها إنماكان تمرة شيء واحد فقط وهو العون الإلى . فقد انتصر المسلمون على أعدائهم وكان عددهم لا يزيد على ثلث عدد الأعداء أحياناً أو ربع هذا العدد أحياناً وذلك فضلا عن سوء السلاح عند المسلمين وتفوقه عند المشركين .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

 الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ،

ومضى أقبل من شهر على فتح مكة ، وبلغ الرسول أن قبيلة هوازن المقيمة شرقى مكة استعدت لهجوم عنيف على الإسلام لتكون المحاولة الأخيرة من جانب هذه القبيلة لهدم هذا الدين ، فأخذ الرسول يستعد لذلك وتألف جيش من المسلمين وصل عدده فى هذه المرة إلى اثنى عشر ألف مقاتل ،

وقصد الرسول بهذا الجيش الكبير إلى وادى حنين ، وكان المسلمون في اثناء ذلك يشعرون بالزهو لكثرة عددهم وقوة سلاحهم ودخل العجب قلوبهم وخالط الغرور نفوسهم، ومع ذلك فقد أنهال عليهم الأعداء برماحهم ونبالهم وأدخلوا الحلل في صفوفهم ، فولوا على أدبارهم ، وبنى الرسول وحده في الميدان لم يتزعزع ولم يستشعر الضعف الذي شعر به أصحابه ، شم أخذ يصبيح بأعلى صوته :

أنا النبي لا كذب .

أنا ابن عبد المطلب .

وكرر هذا النداء مرات كثيرة وتبعه همه العباس فأخذ ينادى بأعلى صوته: يامعشر الأنصار الذين آووا ونصروا ، يامعشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، وما كادت هذه النداءات عمل إلى آذان المسلمين الهاربين من المعركة حتى رجعوا إليها بقوة معنوبة جديدة ونزلوا عن جيادهم وإبلهم وخاضوا صفوف الأعسداء بشجاعة نادرة وانقضوا عليهم انقضاضا مسعوراً حتى وصلوا إلى مكان الرسول وهناك حاربوا الأعداء حتى سقط حامل وايتهم وحتى تركوا نساءهم وأطفالهم واستولى المسلمون على غنائم كثيرة منها أربعة وعشرون ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من القضة ، وأسر المسلمون فوق ذلك ستة آلاف من المشركين ،

وهكذا انقلبت الهزيمة الشنيعة إلى نصر مشرف، ومارس الرسول بعد ذلك أخلاقه الطيبة وحلمه الواسع وعفوه عند المقدرة ، وأرضى المهاجرين والأنصار وعفا عن كثير من الأسرى ، وكأن الرسول إنماكان بحارب بالأخلاق كما بحارب بالسيوف والرماح ، وتلك ناحية لايغفل عنها المؤرخ ولارجل الدين كما لايغفل عنها رجل الإعلام والدعاية .

بعوث النبي وسراياه إلى حدود الروم وغايمها الاعلامية :

وذلك تأمينا للحدود الإسلامية وتخويفاً للأعداء من هيبة الإسلام وإعلاماً لهم بذلك حتى لايفكروا في الإغارة على حدوده ، ومن أمثلة هذه البعوث وغزوة تبوك والتي وصلت إلى حدود الروم ، ومن الأمثلة عليها كذلك و بعثة أسامة بن زيده وهي البعثة التي انتقل فيها الرسول الرحيم إلى الرفيق الأعلى قبل أن ينجزها ، وأنجزها من بعده أبو بكر الصديق الخليفة الأول للإسلام .

مكذا كان يشعر النبي دائمًا بأن عليه واجبين كبيرين هما : ١ ـــ تأمين الدين الإسلامي في الداخل .

٢ ـــ وحمايته من الخارج .

ومن أجل ذلك كان لا يشتبك مع العرب إلا دفاعاً عن النفس وعن الدين، وفي الوقت نفسه كانت هذه البعوث الحربية التي تصل إلى حدود شبه الجزيرة العربية من ناحية الدولة الرومانية تعتبر بعوثاً استطلاعية، وكانت تستعين في هذا الاستطلاع بالقبائل العربية الموالية للنبي عليه ومن هذه البعوث النبوية جاءت لا غزوة تبوك ، التي بلغت تخرم الروم، وعادت من تلك الحدود سالمة غانمة.

وبهذه الطريقة الأخيرة علمت الروم - كما علمت القبائل العربية الموالية لهم فى الطريق - أن المسلمين قادرون دائماً على حماية حدودهم ، وقادرون كذلك على البطش بعدوهم إذا حدثته نفسه بالاستخفاف بهم أو التقليل من شأنهم وشأن الإسلام .

. . .

بقيت كلمة فى الحطب النبوية باعتبارها من أقوى الوسائل الإعلامية الإسلامية وكلمة أخرى فى القصيدة الشعرية وكيف شاركت هذه الوسيلة الأخيرة فى الدفاع عن الدين وما اقترن به من القيم والمفاهيم، وهذا وذاك ما نتحدث عنه فى الفصلين التاليين :

الفصل *لسَابِعُ* المخطبة المنبوبيّة

منذ أقدم العصور والخطبة من حيث هي تعتبر أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس للتأثير في مشاعرهم ولإقناعهم بالأفكار الجديدة والعقائد الجديدة ، وبني شأن الحطابة كذلك في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الحلافة الأموية وما تلاها من حكومات ، بل بتي شأنها كذلك في كل ثورة حدثت على وجه البسيطة، وذلك في العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وسيبتي لها هذا الشأن حتى تبدل الأرض غير الأرض .

من أجل ذلك عنى بها النقاد فى أثينا وكتب فيها أرسطو كتابه الشهير (المخطابة) وعنى بها المسلمون وحظيت بعناية كبيرة من جانب (الجاحظ) فى القرن الثالث الهجرى ، وبقيت الحطابة موضع الاهتمام العظيم من جانب المدارسين والباحثين فى مجال الأدب والنقد إلى البوم .

وأما في مجال الإعلام فقد نظر العلماء الباحثون في (علم الاتصال) خوجدوا أن الاتصال في ذاته أنواع ثلاثة وهي :

> الأول – الاتصال الشخصى . الثانى – الاتصال الجمعى . الثالث – الاتصال بالجماهير .

وقد تحدثنا فى الفصول السابقة عن النوع الأول ، ورأيناكيف مارسه الرسول عليه الصلاة والسلام فى سبيل نشر الدعوة ، وكيف كان هذا المدف . النوع من الاتصال من أنجح السبل للوصول إلى هذا الهدف .

أما النوع الثانى وهو الاتصال الجمعى... فهو المقصود بالخطابةوالمؤتمر والندوات والأماكن التي يتجمع فيها الناس يستمعون فيها إلى محدث واحد أو عدد من المتحدثين ، وإن كانت الخطبة أبرز ظواهر الاتصال الجمعى بلا نزاع ، وعليها ... أى على الخطبة ... اعتمد الرسول اعبادا كبيرا فى نشر الدعوة وفى شرح تعاليم الدين وغير ذلك .

أما الاتصال بالجماهير ــ وهو النوع الثالث والأخير ــ فهو من بدع العصور الأخيرة ومنها العصر الذي نعيش فيه ، ونحن نرى أن هذا العصر أصبح يعتمد في الإعلام بالمرجة الأولى على الأجهزة الجديدة والمخترعات الصحف والكتب والسيها ووكالات الأنباء والراديو والتليفزيون ونحو ذلك ، والواقع أنه بلون هذه الأجهزة الجديدة لا يتيسر القادة وأصحاب الرأى في عصرنا هذا أن يتصلوا بالجاهير ، ونقول الجاهير ونعني بها الأعداد الضخمة من الناس في كل دولة من الدول الحديثة، وهي الأعداد التي يستحيل جمعها في الى متحدث واحد كما كان هذا من الأمور الميسورة في العصور القديمة والبيئات القديمة .

معنى ذلك باختصار أن الاتصال بالجماهير وهو التسمية التى تطلق على الإعلام والانصال في المصور الحديثة أصبحت تعتمد على وسائل صناعية بحتة في هذا المجال ، وإن كانت لا تستطيع الاستغناء استغناء تامآ عن الوسائل الفطرية القديمة ومنها المخطابة أو القصيدة، أو الندوة أو المعرض وغير ذلك .

#

وخلاصة القول أننا حين نتحدث عن الخطبة النبوية إنما نتحدث عن قوة من قوى الإعلام في عصر الرسول تأتى في الدرجة الثانية مباشرة بعد القرآن الكريم والحديث الشريف.

فما المحالات العامة للمخطب التي أثرت عن النبي ؟

إن نظرة سريعة في هذه الحطب تدلنا على أنها اشتملت على المجالات الشمائية :

أولا: الكلام في مجال الدين من حيث أركانه وعباداته ومعاملاته، وقد استغرق ذلك معظم حياة النبي ﷺ منذ البعثة إلى نهايتها .

ثانياً : الكلام في مجال الجهاد ، وقد شرحنا ذلك في بعض فصول الباب الأول ومنها فصل بعنوان : الأحاديث النبوية قوة دعائية .

ثالثاً: الكلام في مجال الأخلاق. وهو من أطول المجالات التي تكلم فيها الرسول. ذلك أنه ـ كما سبق القول في الفصل الذي عنوانه: القرآن أكبر وسائل الإعلام في عهد الإسلام ـ كان مسئولا عن بناء مجتمع جديد له مفاهيم جديدة وقيم جديدة، ومن ثم اشتمل هذا الحجال على بيان الصفات التي يحمدها الإسلام والصفات التي نهي عنها.

ويطول بنا القول لو أردنا أن نشرح هذين الجانبين، وفيما أوردناه من السكلام في مجال الأخلاق الجديدة التي صورها القرآن ما يغني عن المضي في ذلك .

رابعاً: الثناء على الحالق سبحانه وتعالى بما هو أهله من الصفات ، وتصويره تعالى في أذهان المسلمين بالصورة التي رسمها القرآن.

خاهساً: الثناء على أصحابه رضوان الله عليهم ـ وبنوع خاص ـ أبوبكر وعمر وعمّان وعلى، وحث المسلمين جميعاً على إكرامهم والرجوع إليهم فى كل ما أشكل عليهم من الأمر .

صادساً: أوصاف الحنة والناركما جاءت كذلك فى القرآن. هذه أشهر المجالات التى سبحت فيها خطب رسول الله بالله ونريد أن نختار منها مجالين فقط على سبيل المثال وهما:

١ ــ محال الأخلاق .

٧ ... مجال الثناء على أصحابه رضوان الله عليهم

وستأتى بمثل واحد فقط لكل واحد من هذين المجالين ، رغبة منا فى الإيجاز ، وتدليلا فى الوقت نفسه على الجانب الإعلامى أو الدعائى الذى قامت به الحطب النبوية خير قيام .

مجال الأخلاق

دعا رسول الله على الله على مكارم الأخلاق كما أوصى بها الكتاب الكريم وكمسا اقتضته ظروف الثورة الجديدة التي هي الإسلام، فأمسر بجملة أشياء منها:

عاسبة النفس ، وحسن المعاملية ، وحسن الجوار ، والشعور التام بالمستولية الاجتماعية ، والتكافل الاجتماعي ، كما يدل عليها الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مستول عن رعيته) ، كما أمر المسلمين جميعاً بالعمل للآخرة وعدم إهمال الدنيا : (اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا) ، كما أمر الرسول أيضاً بنصيحة الحاكم . ونهي رسول الله عن أشياء منها : الغيبة والنيمة وأكل مال اليتم (وقتل النفس إلا بالحق) ، كما نهسي عن الفخر وعن الظلم وعن ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وعن الغش وعن إيداء المرأة والضعيف ، وعن الإضرار بالحار .

غير أن أهم الصفات التي دعا إليها الرسول وحذر من نقيضها ـــ صفة الصدق ، وصفة الإخلاص .

(١) خطبته في معنى الإخلاص

عن علقمة بن وقاص أنه سمع عمر بن الخطـــاب ، وهو يخطب الناس فقال :

⁽١) محمد خليل الخطيب : اتخاف الأنام بخطب رسول الإسلام س ٧٠٠٠

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل المرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله رسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ».

وعن أبي هريرة عن النبي يَرَافِي قال : « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها . فقال : فا عملت فها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لكى يقال : جرىء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألتى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى وقال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كلبت ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به ، قسحب على وجهه حتى ألتى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به إلى ربه فعرفه نعمه فعرفها، قال : ما قركت من سبيل تحب أن ينفق فها إلا أنفقت لك ، قال : كذبت ، ولكن فعلت من سبيل تحب أن ينفق فها إلا أنفقت لك ، قال : كذبت ، ولكن فعلت ليقال : جواد . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألتى فى النار»

النبي يثني على أصجابه (١)

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ال صعد رسول الله بالله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مالى أراكم تختلفون فى أصحابي أما علمتم أن حب آل بيتى وحب أصحابي فرضه الله تعالى على أمتى إلى يوم القيامة ؟ ثم قال . أين أبو بكر ؟ قال : هأنذا يارسول الله . قال . ادن منى . فضمه إلى صدره ، وقبل بين عينيه ، ورأينا دموع رسول الله بالله تجرى على خده ، ثم أخذه بيده وقال بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا أبو بكر الصديق.

⁽١) المصدر السابق من ٣٠٣.

هذا شيخ المهاجرين والأنصار . هذا هو صاحبي في الغار ، صدقني حين كذبني الناس ، وآواني حين طردوني ، واشتري لي بلالا من ماله ، فعلي مبغضه اهنة الله ولعنة اللاعنين . والله منه برىء . فن أحب أن يبرأ من الله ومنى فليتبرأ من أبي بكر الصديق ، وليبلغ الشاهد منكم الغائب ،

ثم قال بَالِثَةٍ : أين عمر بن الحطاب ؟ فوثب إليه عمر وقال : هأنذا يا رسول الله فقال : ادن مني . قدنا فضمه إلى صدره وقبل بين عينيه ورأبنا دموع رسول الله ﷺ تجرى على خده ثم أخد بيده وقال بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، هذا عمر بن الخطاب شيخ المهاجرين والأنصار، حمدًا الذي أمرني الله أن أتخذه ظهراً ومشيراً . هذا الذي يقول الحق وإن كان مراً ، هذا الذي لا يخاف في الله لومة لائم . هذا الذي يفرق الشيطان من شخصه ، هو سراج أهل الجنة فعلى مبغضه لعنة الله و لعنة اللاعنين ، والله منه برىء . ثم قال : أين عيَّان بن عفان ؟فوثب عيَّان وقال : هأنذا يا رسول الله ، فقال : ادن منى فدنا منه وضمه إلى صدره ، وقبل بن عینیه ، ورأبنا دموعه تجری علی خسماه . ثم أخذ بیده ، وقال : یامعاشر المسلمين : هذا عنمان بن عفان . هذا شبيخ المهاجرين والأنصار . هذا هو الذي أمرني الله أن أتخذه سندا وختنا على ابنتي . ولو كان عندي ثالثة لزوجتها إباه ، هذا الذي استحيت منه الائكة السهاء . فعلم مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم قال : أين على بن أبي طالب ؟ فوثب إليه وقال :هأنذا يا رسول الله ؟ قال : ادن منى . فدنا منه، وضمه إلى صدره ، وقبل بين عینیه و دموعه تجری علی خده ، ثم أخذ بیده . وقال بأعلی صوته : يا معاشر المسلملين ، هذا شيخ المهاجرين والأنصار ، هذا أخى وابن عمى وختى ؛ وهذا لحمي ودمي وشعري ؛ هذا أبر الحسن والحسن، سيدي شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكرب عني . هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين ، والله منه برىء وأنا منه برىء، فمن أحب أن يبرأ من الله ومنى فليبرأ من على بن أبي طالب ، وليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ثم قال : اجلس يا أبا الحسن ، فقد عرف لك ذلك » .

(أخرجه أبو سهل في شرف النبوة . الرياض النضرة ، ج ٢٩ ، ٣٠٠٠ إن الله اختار أصحابي) .

* * *

حسبنا هذان المثلان السابقان من خطب رسول الله على، وفي الخطبة الثانية نون من ألوان الدعاية الطيبة قام بها الرسول ليعلن الرضاعن هؤلاء الأربعة الكبار من أصحابه وهم الذين تولوا الخلافة من بعده كما هو معروف في التاريخ.

غير أننا لا نستطيع أن نترك فصل (الحطبة النبوية) دون الوقوف قليلا عند أشهر خطب من خطب الرسول ، وهي الحطبة التي ألقاها في :

حجه الوداع

وفيها يقول 🏩 🕠 :

(أما يعد) أيها الناس .

اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى. موقفى هذا . . .

أبها الناس . . .

إن دماءكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كمحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الله هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

فن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير (السدانة) و (السقاية) (۱) ه .

⁽١) أيخدمة الكمبة رسقاية الناس بها .

أيها الناس . . .

إن الشيطان قد يتُس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يعلم غيا سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد.

أمها الناس . .

إن انسانكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يلتخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن و جمجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح : فإن انتهن وأطعنسكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . . . فانقوا الله في النساء واستوصوا بهن خسيراً به

ألا - على بلغت ؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس :

إنمسا المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .

ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

فلا ترجعوا بعدى كفارآ يضرب بمضكم رقاب بعض، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله وسنتى (١) .

ألا ــ هل بلغت ؟ ألنهم فأشهد ،

أمها الناس .

إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتفاكم . وليس لعربي فضل على عجمي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى .

ألا -- بلغت ؟ اللهم فاشهد .

⁽١) وَوْ رُوايَةً ؛ كَتَابُ اللَّهُ وَعَرْبُهُ أَهُلُ بِينَيْ .

قال السامعون : نعم .

قال رسول الله عليه : فليبلغ الشاهد منكم الغائب :

أرأيت لهذه الحطبة الجليلة كيف كانت بياناً صريحاً للعرب وتطبيقاً عقيقاً لمبادىء القرآن ، وإعلاماً قوياً بالمبادىء التي بني عليها الإسلام :

إن أول شيء أوصى به رسول الله برائي أن ينسى المسلمون ديونهم التي كانت لهم في الحاهلية ، وأن ينسوا كسناك دماءهم وثأرهم لهذه الدماء الى أسفكت الحاهلية وأن يتركوا ربا الأموال الى أقرضوها في الحاهلية وأن يتركوا ربا الأموال الى أقرضوها في الحاهلية وأن يبدأ بربا العباس عمه ودم عامر بن عبد المطلب .

ثم دعا النبي ملك كذلك إلى نبذ التفاخر بمآثر الحاهلية ، واستثنى منها مفخرتين فقط هم السدانة أى: خدمة الكعبة ، والسقاية وهي سني الحجاج في الكعبة .

ثم دعا الناس إلى حسن معاملة المرأة ، وأوضح لهم حق الرجل عليها ، وحقها عليه . وقال للعرب: «اتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خبراً ، ثم أوصى بيائي قومسه بمحافظة كسل مهم على مال أخيه وعلى دمه ، فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ولا يحل لامرىء قتل أخيه الا بالحق .

ثم قال لهم : لقد تركت فيكم شيئين إن حافظتم عليهما وأخلتم بهما لن تضلوا أبدآ . هذان الشيئان هما كتاب الله وسنة رسوله ،

وأخيراً دعاهم إلى نبذ التفرقة العنصرية أو غير العنصرية، وكان كلامه على التفرية، وكان كلامه عليه في هذه النصيحة الأخيرة أوضح من ضوء الشمس. فقالها للمسلمين كانمة صريحة وحازمة .

و ليس لعربي على عجمى و لا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى ، ، و كم كان رسول الله بليغاً كل البلاغة ومبيناً أفصح إبانة حين كان يخم كل فقرات خطابه بهذه العبارة :

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

لقد عوف التاريخ خطباء كثيرين من اليونان والعرب كانوا يستخدمون هذه الطريقة من طرق الحطابة وهي أنهم يختمون كل فقرة من فقرات كلامهم بجملة معينة يكررونها ويلحون في تكرارها حتى تفصل بين فقرة وأخرى أو معنى ومعنى ، وتنقل السامع إلى الفقرة التالية أو الفكرة التي تأتى بعد ذلك وهكذا ... ولكن التاريخ قد يعجز عن الإتيان عثل هذه العبارة التي كان يخم بها محمد جزءاً من أجزاء خطبته وهي قوله ... ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

إنها عبارة لها من قوة الإعلام وتنبيه الأذهان ، وتسجيل الشهادة على كل من حضر هذه الخطبة ما لا يمكن أن يكون لعبارة أخرى في موضع كهذا في موقف كهذا من رسول كريم كهذا الرسول .

سادسا: أعنى سادس المحالات التى اتسعت لخطب النبى ـ مجال استقبال الوفود التى تأتى لتعان إسلامها بين يديه، أو يأتى بعضها بعد إسلامها لكى تستريد من عملها و تزداد به هداية ،وكان المسؤمنون الأوائل من الصحابة بشاركون فى هسده الفرص ويردون على خطباء الوفود إذا أذن لهم الرسول بدلك ،

قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ. فقال: أيسكم يعرف قس بن صاعدة الإيادى ؟ فقال: كلنا يارسول الله نعرفه، قال: فما فعل ؟ قالوا: هلك عقال: ها أنساه بعسكاظ فى الشهر الحرام وهو على جمل أحمر وهو يخطب الناس، ويقول:

أيها الناس : اسمعوا وعوا

من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، إن فى السياء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور، وبحر يقور ، أقسم قس بالله قسما حقاً .. لئن كان فى الأرض

رضا لیکونن بعده سخط . إن لله دینا هو أحب إلیه من دینکم اللی أنتم علیه ، مالی أری الناس یذهبون فلا یرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا ی، أم ترکوا هناك فناموا ؟

ثم قال رسول الله ﷺ : أفيكم من بروى شعره ؟

فأنشده يعضهم :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر المسا رأيت مسواردا للموت ليس لها مصادر ورأيت قوى نحوها يسعى الأصاغر والأكابر لا يرجع الماضي إليك ولا من الباقين غابر أيفنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

سابعاً: وكثيراً ماتكون خطب الرسول على شكل وصايا لجماعات من المسلمين في المدينة أو لبعض الوفود التي تفد إليه فيها ، ومن الأمثلة على ذلك وصيته لوفد الأزد الله

روى علقمة بن يزيد الأزدى عن جده قال : الإ

وفلات سابع أسبعة من قومى على رسول الله على ، فلما دخلنا عليه وكسلمناه أعجبه مسارأى من سمتنا وزينتنا فقال إ: مسا أنم ؟ إقلنا : مؤمنون ، فنبسم رسول الله ، وقال : إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإعانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة، مهاخمس أمر تنارسلك أن نؤمن بها ، وخمس تخلقنا بها في الحاهلية ، فنحن عليها إلا أن نكره منها شيئاً ، فقال رسول الله : ما الحمس التي أمرتكم بها رسلي ؟ قلنا: أهر تنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : ما الحمس التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قلنسا أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله وأن نقيم الصلاة ونؤدى الزكساة ونصوم رمضان ونحسح البيت إن استطعنا إليسه سبيلا ، قال ومسا الحمس التي تخلقتم بها في الحاهلية قلنا ؛ الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء

والعبدق فى الحرب عند اللقاء، وترك الشمائة بالأعداء، فقال رسول الله كلف: حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ، ثم قال : وأنا أزيدكم خمساً فتم لكم عشرون خصله: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالاتكلون، ولا تبنوا مالاتسكنون ، ولا تنافسوا فى شىء أنتم عنه زائلون . واثقوا الله الذى إليه ترجعون وعليه تعرضون . وارغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيه تخلدون .

فتفرقوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام .. وعملوا بها (١) «

* *

أتينا بهذه الوصايا الأخيرة لتكون نموذجا من خطب الرسول براي على هذه الصورة ، ولدكى تكون مثلا حياً من طريقة الرسول فى تعليم الدين، وهى مثل يقوم كما رأيت على الحوار اللطيف بين إلاستاذ والتلاميذ ، كما يقوم كما رأيت على السامعين ، وإضافة المعاومات الجديدة على أساس من المعلومات القديمسة ـ فعل المعلم البارع والمربى الماهر والمحدث اللبق ،

⁽١) الأثوار المحمدية النبياق ص ١٩٢.

الفصل لثامِنَ الدعاية المشعربة في عهدالرسُول

رأينا من قبل كيف أن أهم وسائل الإعلام في عهد الرسول وسيلة الكلمة المسموعة فتمثلت في خطب النبي وخطب الصحابة وفي القصائد الشعرية ، وأما الكلمة المكتوبة فكانت لها صورة واحدة لم تكن تعدوها إلى غيرها في حياة الرسول والصحابة ، ونعني بها صور الرسائل التي بعثبها النبي إلى الملوك ورؤساء القبائل المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وفي الرسائل التي وردت عن النبي والصحابة في غير هذا الغرض .

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا الآن هو : ما منزلة الشعر بين الوسائل الإعلامية التي تعتمد على الكلمة المسموعة ؟ أو بمعنى آخر : أيهما كان أقوى تأثيراً في الجموع العربية وأدعى إلى نجاح الرسالة المحمدية ؟ الحطابة أم الشعر ؟ .

مما لاشك فيه أن الخطب و تخص بالذكر منها خطب صاحب الدعوة ... كانت أقوى فى باب الإعلام والدعاية من جميع الوسائل الأخرى التى انطوت تحت عنوان: « الكلمة المسموعة » ومن السهل علينا أن نلاحظ قبل كل شيء أن العرب على عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين وإلى أو اخر الدولة الأميرية كانوا أهل خطابة أكثر منهم أهل كتابة ، فلك أن الخطابة ملائمة للبداوة والكتابة وليدة الحضارة وأكثر ملاءمة لها من الخطابة ، ولذلك لم يعرف المسلمون الكتابة الفنية بالمعنى الصحيح إلا بعد دخول الأمم الأجنبية فى الإسلام ، ومنها دولة الفرس بنوع خاص ؛ وهذا هو السبب فى أن الحطابة بقيت أولى وسائل الإعلام ، والتأثير عند العرب طول العهد النبوى وعهد الحلفاء الراشدين وجزء كبير من العهد الأموى ، طول العهد النبوى وعهد الخلفاء الراشدين وجزء كبير من العهد الأموى ،

ثم هذا هو السبب فى أن العرب فى عهد بنى أمية كانوا ينظرون إلى المخطيب نظرة أعلى من نظرتهم إلى الكاتب .

أما الشاعر فكان في المنزلة التي تلي منزلة الخطيب، ومن هنا كان النبي وخلفاؤه من بعده أشد حرصاً على الخطيب منهم على الشاعر ، ولولا أن التقاليد العربية القديمة أعطت الشاعر أهمية عظيمة لكان من الجائز أن مهمله النبي والخلفاء الراشدون من بعده ، ولكنهم احتفظوا به وبشعره لأن شعره كسان بترك أثره في نفوس العرب الذبن تعودوا سماعه منذ العصر الجاهلي .

وإليك هذبن المخبرين : أحدها عن شاعر والآخر عن خطيب : فأما خبر الشاعر فهو هنا : (الأسود بن شريح) وقد جاء إلى النبي ينشده بعض المدائح واستحسنه مرتبن ، إذ دخل عليهما عمر ، والشاعر لا بعرفه، فصاح قائلا: واثكلاه -من هذا الذي أسكت له عند النبي؟ فقال النبي : هذا عمر ، هذا رجل لا يحب الباطل .

يؤخذ من هذا العضر أن الشمر كان ينظر إليه منذ ظهور الإسلام على أنه باطل ، وذلك مصداق لما جاء في القرآن الكريم : ه والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون، إلا الذين آمنوا » . إلخ .

معنى ذلك أن الشعر كسان فى زمن النبى والمخلفاء الراشدين يعتبر وسيلة إعلامية من الدرجة الثانية بعد المخطبة .

وأما خبر الخطيب فهو هنا (سهل بن عمرو) وقد أسر فى بدر فأشار عمر على النبى بكسر ثنيتيه السفليين ليصبح عاجزاً عن الكلام، وكان مشقوق الشفة السفلى، فأبى النبى ذلك وقال: « عسى أن يقسوم قياماً لاندمه » فأ زال عمر حتى رآه فى حروب الردة أيام أبى بكر يقطع بلسانه كما يقطع السيف، فحمد له ذلك المقام وصدقت فيه نبوءة رسول الله عليانية،

ووضحت حجته في الحرص على هذا الخطيب الذي قسد ينتفع به في يوم من الأيام .

والحلاصة حتى الآن أن النبي ﷺ – وهو داعية الإسلام – لم يكن شاعراً ﴿ وَمَا عَلَمْنَاهُ الشَّعْرُ وَمَا يُنْبَغِي لَهُ ﴾ وإنَّمَا كَانَ خَطَيْباً ومُحَدَّثاً ﴾ ومن ثم كانت خطبه وأحاديثه من أكبر وسائل الإعلام والدعاية للإسلام وذلك بعد القرآن، ومع هذا وذاك فإن محمداً لم يتجاهل الشعرو لم يرد الشعراء وهو يعلم جيدًا أن لهؤلاء مسكانة كبيرة في نفوس العرب منذ الجاهلية . ولذلك سمع الرسول شعراً في مدحه ومدح الدين الذي جاء من أجله كما سمع الرسول شعرا في ذم قريش وهو منهم وهم منه . وكان كبير الشعراء الذين هيجوا قريشاً أمام الرسول (حسان بن ثابت)، وقد أعرب له الرسول عن تعجبه من أنه بهجو قريشاً وهم أهله وعشرته ، فأجابه حسان: أنا أعلم ذلك يارسول الله ، ولكني أستلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، فسكت الرسول العظم .

ولنا بمسلد ذلك أن نستعرض طائفة قليلة من الأشعار التي تمالها حسان ابن ثابت في مدح النبي للمُؤلِّدُ (١) .

نبي أتانا بعــــد يأس وفترة فأمسى سراجسا مستنبرأ وهساديا وأنسلرنسا تسارأ وبشر جنسة وأنت إلسه الحسنق رنئ وخاللي تعساليت رب الناسءن قول مندعا لك الحلـــق والنعاء والأمـــر كله فإيـــاك نستهدى وإيـــاك نعبــــد

من الرسل والأوثان في الأرض تعبد يلسوح كمسا لاح الصقيل المهند وعلمنا الإسلام فالله نحمسد بدلك مساعموت في الناس أشهد سواك إلهأ أنت أعلى وأمجسد

⁽١) سمط اللائل، ص ٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ ص ٩٦ .

لأن ثراب الله كسل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد الا ترى معى أن شعر حسان فى هذه الابيات يوشك أن يكون نظا لبعض آيات الفرآن الكريم التى تذكر أن محمداً بعثه الله بعدفترة من الرسل، وأنه بعث والناس يعبسدون الاصنام بدلا من عبادة الله تعالى ، وأن الله أرسله إلى الحلق هادياً وبشيراً ونذيراً وسراجا منيراً ، وأنه بشر بالجنة وأنذر بالنار، وما بعد الحياة الدنيا شيء غيرهما وأن الله تعالى أعلى مما يعبدالناس غيره من الحيجارة وغيرها ، وأن الأمر كله لله، له المخلق وله الحمد وهي وحده رب النعم التي ينعم بها الناس ، وأن الجنة هي المكان الذي وعد به كل مؤمن بالله تعالى ومقر بوحدانيته .

وكل هذه المعانى إسلامية بحتة وليس تاعرب عهد بها قبل ظهور الدين المجديد - وانظر إلى شاعر آخر - وهو كسعب بن زهير - كيف مدح الرسول بَرْائِيْنَ بقصيدة عظيمة أعجب الرسول نفسه بها فخلع بردته على قائلها تكرعاً له ، وفها يقول (۱):

إن الرسول لنور يستضاء به في عصبة من قريش قال قائلهم زالوالهازالأنكاس ولاكشف (٢) شم العرانين أبطال لبوسهم لا يفرحون إذ نالت سهامهمو

مهند من سيوف الله مسلول ببطن مكة لمسا أسلموا زولوا عند اللقاء ولا ميل معازيل من نسج داود في الهيجاسرابيل قوماً ، وليسوا مجاذيماً إذا نيلوا

* * •

على أن الشعراء المحيطين بالنبي كان عليهم أن يقوموا بواجب آخر - فضلا عن ملح الرسول - وهذا الواجب - في نظرهم - هو هجاء أعداء الإسلام من المشركين في مكة واليهود في خيير وغيرها من المراكز اليهودية

⁽ ١) كتاب جمهرة أشمار العرب . طبعة بولاق سنة ١٣٠٥ ﴿ ص ١٥٠ .

 ⁽ Y) أنـــكاس جمع نـــكس بـــكس النون وهو الجبان والـــكشف بضم الشين الذين پنـــكشفون العدو .

ومن قول حسان في هجاء خيير على سبيل المثال (١) :

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبدشمس وأصحاب اللوا الصيد أو من بني نوفل أو ولد مطلب لله درك لم تهنستم بتهسمه يسد أوكنت من زهرة الأبطال قدعلموا أو من بني خلف الزهر الأماجيد بآآل تبم ألا تنهسى سفيهسكمو قبل (اللقاء) (٢) بأمثال الحلاميد وقال سهجو أبا لهب (٣) :

أبا لهب أبلـــــغ بأن محمدآ سيعلو بما أدى وإن كنت راغما وإن كنت قد كـــذبته وخذلته وحيداً وطاوعت الهجين الضراعماً ولو كنت حرا في أرومة هاشم وفي سرها مهم منحت المظالماً سمست هاشم للمسكرمسات وللعلا

وغودرت في كاب (٤)من اللؤم جائماً

وقال حسان بهجو أبا سفيان (٥) .

لقد علم الأقوام أن ابن هاشم

هو الغصن ذو الأقنان لا الواجد الوغســد

فدونك لصق مثلما لصق القرد - فمالك من إصدار عزم ولاورد بنو عبد محزوم ووالدك العبد وما ولدت أفناء زهرة منكمو كريماً ولم يقرب عجائزك المجد واكن هجين ليس يورىله زند كما نيط خالف الراكب القدح الفرد

ومألك فيهم محتسبد يعرفونه وأباغ أبا سفيان عنى رسالة وإن سناء المحد من آل هاشم ولست كعباس ولا كابن آمه وكنت دعياً نيط في آل هاشم

 ⁽٢) في الأصل النثات .

⁽i) مسكفا في الأصيل.

⁽۱) ديوان حسان س کي .

⁽۳) ديوان حسان بن ثابت س ٨.

⁽ه) النبوان س ۹۹ .

وأفحش حسان في هجاء أبي سفيان حتى قال فيه(١) :

غضضت بفرع من أبيك وخاله وغضتبنوالنجار بالسكر الرطب فلست مخر من أبيك وخاله ولست بخير من مفاضلة الكلب ولست بذی دین ولاذی آمانة و لست بحر من لؤی و لاکعب

ثم كان على الشعراء الملازمين للنبي ﷺ واجب ثالث وهو تهنئة الرسول بيوم النصر و رثاء القتلى من ذويه وأصحابه في ميدان الحرب :

قال حسان في بوم بدر يرثى قتلي المسلمين في هذه المعركة(٢) :

ألا يالخوم هل لما حسم دافع

و هل ما مضي من صالحالعيش راجع

تذكرت عصرآ قد مضي فآبافتت

بنسات الحشا وأنهل مني المدامع

وسعدفأضحيف الجنان أوحشت منازلهم والأرض منهم بلاقع وفوا يوم بدر للرسولوفوقهم عذاب المنابا والسيوف اللوامع دعــــا فأجابوه بحق وكلهم مطيع له فى كل أمر وسامع ولا يقطع الآجال إلا المصارع إذا لم يكن إلا النبيين شافع ومشهدنا في الله والموت نافع لأولنسا في طاعة الله تابع وأن قضاء الله لابد واقسم

صبابة وجد ذكرتنى أحبة وقتلى مضوا منهم نقيع ورافع فما بداوا حتى توافوا جماعة لآئهم يرجون منه شفاعة وذلك يا خبر العباد بلاؤنا لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ونعلم أن الملك الله وحسده

الديوان س ٢٢ .

⁽٧) الديوان ص ٨هـ

وقال حسان يوم فتح مكة من قصيدة أولها :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عسقراء منزلها خلاء ومنها :

فإما تعرضوا عنسا اعتمرنا وإلا فاصبروا لجسسلاد يوم وقال الله قد يسرت جندا لنا فی کل یوم من معد فنحكم بالقواف من هجانا وقال الله قد أرسلت عبدا شهدت به وقومی صدقوه فقلتم : ما تجیب وما نشاء وجبريل أمين الله فينسسا

لسانى صارم لا عيب فيه

وكنان الفتح وانكشف الغطاء يعسين الله فيه من يشاء هم الأنصار عرضها اللقاء قتال أو سباب أو هجاء ونضرب حبن تختلط الدماء يقول الحق إن نقع البسلاء وروح القدس ليس له كفاء

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف تخب هواء هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء أتهيجوه ولست له بكفء فشركما الحيركما الفسلااء قمن يهجو رسول الله منكم وعدحسه وينصره سسواء ومحرى لا تيكدره الدلاء

وأخبر أكان من عمل الشعراء الملتفين حول النبي على أنهم بردون على الشعراء الذين كانوا يهجونه علي تقرباً للمشركين ، ومن هؤلاء شاعر يقال له (ابن الزبعرى) وقد ظل جمحو النبي حتى أسلم فانقلب شاعراً من شعرائه و أنصاره بعد أن كان من أعدائه وخصومه ، وقد رد عليه حسان ابن ثابت في قصائد كثيرة منها على سبيل المثال(١) .

لاطتقريش حياض انجد فافترطت سهم فأصبح منه حوضها صفرا (۱) الديران س ٧٨ .

وأوردوا وحياض المحد طامية فدل حوضهمو الوراد فانهدرا

ومُسِأً :

يا آل سهم فإنى قد نصحت لـكم آلا ترون بأنى قد ظلمت إذا كم من كريم يعض الكلب مئزره

لأبعثن على الأحياء من قبرا كان (الزبعرى) لنعلى(ثابت) خطرا تم يفر إذا ألقيته حجسرا لولا النبي وقول الحق مغضبة لمساتركت لكم أنثى ولاذكرا

و هكذا كان الشعر يقوم في خدمة النبي وَتَعَلِينُكُو بكل هذه الواجبات التي ألقاها على كاهله ظهور الإسلام .

ولكنا نعود فنقول إن الرسول ــ فيما يظهر ــ كان لايعول كثيرا على هذه الوسيلة الإعلامية أو هذا الشكل من أشكال الدعاية ، وذلك أن الشعر مهما عظم شأنه في تلك الفترة لايمكن أن يقاس من هذه النواحي بالقرآن الكريم أو بالحديث الشريف أو بخطب الرسول برالي أو بالقدوة الحسنة التي امتاز بها المصطفى ﷺ وأصحابه الكرام .

وممالاشك فيه أن الأفضلية كانت لهذه الوسائل الإعلامية التي أشرنا إلها ووقفنا عند كل واحدة منها ، وكانت كلها مقدمةعلى وسيلة الشعر الإسلامي الدِّي لان أسلوبه بظهور هذا الدين ولم يصلح فيجزالة الشعر الجاهلي ومتانة نسجه وقوة بنائه ، ذلك أن الشعراء في الإسلام لانت عريكتهم ورقت عواطفهم وامتلأت نفوسهم بالمعانى الجديدة والمفاهيم الجديدة والقيم الجديدة وهي القيم التي من شأنها أن تخلق من العربي في الإسلام رجلا بعيداً عن الغنف وعن الحمق وعن البطش وعن الظلم، والشعر عند العرب في الجاهاية كان يبني على الشر في أكثره ، وذلك بغض النظر عن بعض الحكم التي وردت في المعلقات والتي كانت تعبيراً عن تجاربهم في الحياة .

ولنا أن نأخذ الدليل على ذلك من حسان بن ثابت شاعر النبي عَلَيْكُ ، فقد انقسم النقاد القدماء حول حسان قسمين :

القسم الأول : وهو الأقل - يحكم له حكما مطلقاً ويقول إنهمن أجود الشعراء في الجاهلية والإسلام .

القسم الثانى : وهو الأكثرية من النقاد ومعهم حسان بن ثابت نفسه ــــ يوازن بين جودة شعره فى الجاهلية وسقوطه فى الإسلام .

ومن أشهر رجال القسم الأخير الأصمعي ، وقد أثرت عنه ثلاث روايات :

الرواية الأولى وتقول: إن الشعر نكد، يقوى فى الشر، فإذا دخل فى الخير ضعف، وهذا حسان كان من فحول الشعراء فى الجاهلية ـــ فلما جاء الإسلام سقط شعره(١).

والرواية الثانية تقول: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر. تُم قطع متنه في الإسلام لحال النبي ﷺ (٢).

والرواية الثالثة تقول: طريق الشعر إذا أدخلته في باب الحير لان الله أى ضعف ». ألا ترى حسان بن ثابت كان قد علا في الجاهلية فلما دخل شعره في باب الحير: من مراثى النبي برائح وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما لان شعره. وطريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرىء القيس وزهير والنابغة في صفات الديار والرحال والهجاء والتشبيب بالنساء والحمر والحيل والحرب والافتخار ، فإذا أدخلته في باب الحير لان .

وقيل لحسان بن ثابت نفسه ، لان شعرك وهرم يا أبا الحسام د.

فأجاب عن ذلك بقوله :

يا أبن أخى إن الإسلام يحجز عن الكذب فلامجيء الشعر جيداً (٤) .

⁽١) أُسَدُ الْغَايَة ج ٢ ، ٤ . (٢) الشعر والشعراء ص ١٧١.

⁽٣) الموشح من ٩٢ .

رأيت هذه الرويات الثلاث في كتاب (حسان بن ثابت شاعر الرسول) الدكتورسيد حنفي حسنين ـ الحلقة رقم ٣٠ من مسلسلة أعلام العرب ص ٤٣ .

⁽t) أسد الغابة ج v ، ي .

النابالكثالث الدعاية والإعتلام في المنافاة والإعتلام في المنافعة الرائدين



نريد أن نلتى على أنفسنا هذا السؤال :

ماذا كان عليه الحكم الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ؟ مادام شكل الإعلام ونظام الاتصال بالناس مبنياً في كل زمان ومكان على شكل الحكومة القائمة ؟

أجل -- لكل نوع من أنواع الحكومات في العالم نظام إعلاى يتفق معه ويوائمه ، وهذا قول صحيح بالقياس إلى الحكومات القديمة والحديثة على السواء ، والإعلام أو الاتصال بالناس هو الوسيلة الوحيدة لإيجاد التفاهم بين الحاكم والمحكوم منذ أقدم العصور ، وحاجة الحاكم إلى هذا الاتصال من حاجة المحكوم إليه .

غير أن شكل الحكومة في عهد الخلفاء الراشدين كان يخالف شكل الحكومة عند الخلفاء الأمويين فالعباسيين وسائر الحكومات الإسلامية التي ظهرت بعد ذلك إلى البوم ، وبناء على ذلك وجب أن يكون للإعلام أو الاتصال في حكومة الخلفاء الراشدين صورة مخالفة للإعلام أو الاتصال في عهود الحكومات الإسلامية التي أنت بعد ذلك ،

وحسبنا أن نلفت النظر أولا إلى الطريقة التي اختار بها المسلمون أبا بكر ثم عمر ثم عمان ثم عليا ... رضى الله عبهم ، وهى طريقة مبنية على الانتخاب الحر في أكثره ، أما الحلاقة الأموية فالعباسية وما جاءت بعدها من الحكومات الإسلامية فقد بنيت على الوراثة ، وقرق كبير بين الانتخاب والوراثة ... وهذا معنى ما قاله المؤرخون الإسلاميون القدماء من أن الحلاقة الإسلامية بعد على بن أني طالب تحولت إلى ملك عضوض كالملك الذي شهده القرس أو الروم ، ومن إليهم .

وقد نستطيع أن ننظر نظرة سريعة إلى أنواع الحكومات عبر التاريخ، وخاصة في البلاد الأوربية ذاتها ، فنجد منها الحكومات الآتية : (م ١٣ - الإعلام في صدر الإسلام)

الحكومة الديمقراطية :

ولهذه الدعقراطية أشكال مختلفة ، ولكن من المحقق أن الشبه بعيد بين هذه الأشكال جميعها من جهة ، وشكل الدعقراطية في حكومة الحلفاء الراشدين من جهة أخرى ، ذلك أن الدعقراطية الإسلامية على أيدى الحلفاء الراشدين كانت تتمثل في مظهر واحد فقط ، هو مظهر «أهل الحل والعقد» وهو أشبه بمجلس يتألف من كبار الصحابة ويستعين به الحليفة في تسيير أمور المسلمين ، ولايكاد الحليفة يقطع في أمر من هذه الأمور حتى يرجع إلى أولئك الصحابة . أما عامة المسلمين فلم يكن لهم رأى معمول به ، ولا يحنع ذلك واحداً من أولئك العامة سرجلا كان أو امرأة سأن ينتقد الحليفة في بعض تحكامه . فإذا وافق هذا الاعتراض بعض تصرفاته أو يعترض عليه في بعض أحكامه . فإذا وافق هذا الاعتراف كلام الله أو كلام رسوله لم يسع الحليفة إلا النزول عز رأيه والاعتراف على أو المرأة بأنه أو بأنه أو بأنها على حق ، ومن هنا جاء قول عمر في بعض مواقفه : أخطأ عمر وأصابت امرأة .

ومنها الحكومة الأوتوقراطية :

وهى حكومة الفرد المستبد، وهل كان واحد من أصحاب النبي الله بكر عن حكومة الحلفاء الراشدين، وهل كان واحد من أصحاب النبي الله أبي بكر وعمر وعمان وعلى يستبد برأيه بهذا المعنى ؟ لقد مدحهم النبي في حياته وأثنى عليهم جميعاً ودعا لهم جميعاً وبشرهم جميعاً بالجنة ، وماذلك إلا لأن كل واحد منهم كان صورة من النبي نفسه في جميع تصرفاته ؛ وحركاته وسكناته ، وكان كأنما يفكر بعقل النبي وينظر بعين النبي ويسمع بأذنه ، ويحس بقلبه ، ويبطش بيده إذا لزم الأمر ، ولم يمنع ذلك من أن يستقل ويحس بقلبه ، ويبطش بيده إذا لزم الأمر ، ولم يمنع ذلك من أن يستقل حوانها فقط ، هو الجانب الإعلامي .

ومنها الحكومة الثيوقراطية :

وهى حكومة نرفع الحكام على أساس الدين إلى مرتبة فوق مراتب البشر ، ثم هى الحكومة التى تجعل لرجال الدين منزلة فوق منزلة المحكومين الذين ليست لهم هذه الصفة .

ولسنا بحاجة إلى التدليل على أن هذه الصورة من صور الحكم لاوجود لها فى حكومات الحلفاء الراشدين ، وذلك بالرغم من أن هؤلاء الحلفاء كما بينا كانوا لايقطعون فى أمر من أمور المسلمين حتى يردوه إلى. كبار رجال الدين ، وهم صحابة رسول الله علي .

ومنها الحكومة الأوليجاركية :

وهى حكومة الصفوة أو الأقلية من الأشراف والسادة . وقد جاء الإسلام فساوى بين الناس ، وأنكر مثل هذه التفرقة . كما جاء في الأثر عن رسول الله مَنْتَالِيَةٍ ــ قوله :

ه اسمعوا وأطبعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ، ،

لَمْ تَكُنَ حَكُومَةَ الْحُلْفَاءَ الرَّاشَدِينَ وَاحَدَةً مَنَ هَذَهُ الْحُكُومَاتِ الَّتِي أَشَرَقًا إليها ، وإنما كانت طرازاً خاصاً لم يعرفه الشرق ولاالغرب .

كانت حكومة الخلفاء الراشدين تفهم الدعوقراطية بالمعنى الذى شرحناه. و هو حكم الرعية بشرط أن يستعين الحليفة فى حكمها (بأهل الحل والعقد) من هذه الرعية ،

وكانت حكومة الحلفاء الراشدين تفهم المساواة ، وذلك بين الحاكم والمحكوم ، وبين المسلم وأخيه المسلم ، وفى ذلك يقول الرسول فى حجة الوداع (ليس لعربى على أعجمي فضل إلا بالتقوى) . (كلكم لآدم وآدم من تراب) ،

وكانت حكومة الحلفاء الراشدين تفهم معنى الحرية ، فلكل فرد في المجتمع الإسلامي حرية كاملة في أن يوجه النقد للخليفة وذلك كما قلنا : صعد عمر بن الخطاب المنبر يوما وقال للناس : إن أخطأت فقوموني ،

فانبرى له أحد الحاضرين وقال : والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه نحد سيوفنا ، فما كان جواب عمر إلا أن قال : « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من إذا أخطأت قومنى بسيفه ».

وكانت حكومة الخلفاء الراشدين تفهم معنى العدل ، ولانعلم حكومة في تاريخ العسالم كانت تلمزم بالعدل بالقدر الذي ظهر في حكم الخلفاء الراشدين .. وأخبار عمر بن الحطاب في هذا المجال أشهر من أن يشير إليا البحث ، لانكاد نستني من هذا الحكم إلا الخليفة الثالث (عيان بن عفان) رضى الله عنه ، فقد كان عيان يفهم العدل بصورة تخالف ما كان عليه أبو بكر وعمسر . وريما من أجل ذلك قامت (الفتنة الكبرى) التي اشهر أمرها في التاريخ الإسلامي ، وسنقف عندها في الكلام عن الإعلام في زمن عيان .

ترى ما الذى جعل لحكومة الخلفاء الراشدين شكلا مخالفاً لجسيع الحكومات الحديثة في الإسلام ؟

إن الذي جعل لها ذلك هو الحقيقة القائلة بأن القصد الأول للخلفاء الراشدين هو المحافظة التامة على تراث النبي بالصورة التي تركه بها ، أو بأن الشأن الأول للخلفاء الراشدين كان للعقيدة الإسلامية كما تركها النبي بعد فراغه من أداء الرسالة .

وهذه الحقيقة السابقة هي التي نستطيع أن نفسر على أساسها جميع الأعمال التي صدرت عن المخلفاء الراشدين ، ومنها أعمال القضاء، وأعمال المساسة ، وأعمال التربية والتعليم ، ومنها ـ بطبيعة الحال ـ أعمال التوسع في الفتح .

فهل كانت الفتوحات الإسلامية بعدوفاة الرسول لمجرد الغلبة والسلطان أو لإشباع شهوات الغزو والقتال وغريزة للصراع ؟ كلا ثم كلا.

وننظر في سيرة المخلفاء الراشدين فنرى أنهم كانوا مقيدين كل التقييد يسيرة الرسول ، فما دام الرسول لم يكن بهدف من غزواته إلى الجاه والسلطان، وإنما كان يهدف إلى أمرين هما: نشر الدعوة الإسلامية وحماية هذه الدعوة في داخل المدينة وفي خارجها ، فكذلك كان الخلفاء الراشدون لابهدفون وراء الفتوحات إلا إلى هذين الغرضين ولاشيء غير ذلك .

وإذا كان الأمر كذلك فما نظام الإعلام ، أو ما هي وسائل الاتصال التي كان يمارسها الخلفاء الراشدون بناء على هذه الحقيقة التي شرحناها ؟ . وإلى أي حد نجحت هذه الوسائل في إيجاد التفاهم بين الحاكم والمحكوم في عهد أولئات المخلفاء بوجه عام ؟

مما لاشك فيه أن حكومات الخلفاء الراشدين ترسمت طويق الرسول في أكثر المجالات الإعلامية التي ظهر فيهانشاطه والله ، ثم زادت علمه امجالات أخرى دعت إليها الظروف المحيطة بكل واحد من أولئك الأربعة ، وسيشرح هذا الباب بعض هذه المجالات وما أحاط بها من ظروف .

من أجل ذلك اقتدى الخلفاء الراشدونبالرسول فى المركبر على الوسائل الإعلامية الآثية :

أولا ــ وسيلة الفرآن .

ثانياً ــ وسيلة الحديث .

ثالثاً ــ وسيلة الخطابة .

رابعاً ــ وسيلة الحج والعمرة لله .

خامساً ــ وسيلة القدوة الحسنة .

سادساً ... وسيلة الفنوح .

غير أنه في عهد المخليفة الثالث عنمان بن عفان بالذات وجد أنه ابتعد عن السياسة الإعلامية التي سنها الشيخان من قبل الأبو بكر وعمر اله واعتلا عن ذلك بأنه يرى مصلحة المسلمين تتحقق بطريقة أو أخرى غير طريقة الشيخين ، ومن ثم طفق عنمان بخص أقرباءه بالولاية على الأقاليم، ويخص الباقين منهم بكثير من الهدايا التي يأخدها من بيت المال . وكان يسمى هذا المال (مال الله) ، واعترض الصحابة على ذلك وقالوا إنه (مال المسلمين ، والفرق بين المعنيين عظيم .

من أجل هذه الظروف - ونعنى بها ظروف المعارضة التى أدت إلى الثورة - ظهرت الحاجة ماسة إلى (الدعاية) ، ولكن هذه الدعاية لم تكن من جانب عبان لتبرير مواقفه التى سخط عليها كبار الصحابة ، وإنما كانت من جانب الصحابة وأبناء الصحابة ، وقد انتشروا فى مصر والشام وقاموا فيهما وفى غيرهما من الأقطار مهذه الدعاية الخطيرة ، وهى الدعاية التى قتلت عبان بن عفان ، وهى وحدها المسئولة عن قتله .

ولسكن هذه الدعاية ــ كما سنشرح ذلك فى موضعه من السكتاب ــ لأمرين لا ثالث لهما :

أولهما ـــ السياسة الإعلامية الرشيدة التي سار عليها الشيخان أبوبكر وعمر وهي السياسة المبنية على اتباع رسول الله ويتنافق لايحيدان عنه قيد أنملة .

وثانهما الفرد عمان بمخالفة هذه السياسة الإعلامية الرشيدة إلى المدرجة الى ظنها كبار الصحابة خروجاً على سنة رسول الله ، ولم يكن الصحابة كل الحق فى ذلك لولا أن صورة الحكم التى بمثلها الشيخان كانت لم تزل ماثلة فى أذهامهم ، ولولا أن بعضهم كانوا من صحابة رسول الله ، ينظرون بعينه ويسمعون بأذنه ويشاركونه بأفكارهم وأموالهم وجهودهم التى بذلوها معه فى سبيل الإسلام .

هكذا كادت حركة (الإعلام) في عهد الخلفاء الراشدين تكون صورة دقيقة من حركة (الدعوة) على يد الرسول ، مع فارق واحد لابد أن نذكره . وهو الفارق الذي لابد من وجوده بين النبي والحوارى ، أو بين الأمتاذ والتلميذ ، أو بين المتبوع والتابع .

ومع فارق آخر لابد أن نذكره أيضاً وهو أن عثمانبن عفان كان يفهم الحكم والعدل بصورة تخالف صورتها عند أبي بكر وعمر ، ولذلك لم يكن من السهل على المؤرخ أن يصف عثمان بالمخروج على سنة الرسول وابتداع سنة أخرى بعيدة عن سنته من السهل على المؤرخ أن يصف عثمان بالمخروج على سنة الرسول وابتداع سنة أخرى بعيدة عن سنته من السهل المناه المنته من السهل المناه المنته من السهل المناه المنته ال

الفص*الالأول* الإعلام فيعهد أبي تبكر

كانت أولى الحركات الإعلامية التي أدت إلى انتخاب الخليفة الأول آبى بكر رضى الله عنه تتمثل فيا عرف في التاريخ باسم :

يوم السقيفة

فقد انعقد في ذلك اليوم ما يشبه المؤتمر السياسي الكبير . الغرض منه هو اختيار خليفة لرسول الله بالله المهاجرين والأنصار ، ولم يكد يتخلف بوحضر المؤتمر كثيرون من زعماء المهاجرين والأنصار ، ولم يكد يتخلف يزعيم منهم عن الحضور ، حتى (سعد بن عبادة) زعيم الخزرج — وكان مريضاً في ذلك اليوم — فحمله قومه إلى مكان الاجتماع ليعطى كلمته فيه .

انتشر فى المدينة نبأ وفاة الرسول ، فبادر الأنصار إلى التجمع فى (سقيفة بنى ساعدة) ، وطفقوا يتحدثون فى أمر المخلافة دون أن يشركوا معهم أحداً من المهاجرين ، وكادت الفتنة تندلع نارها لهذا الخبر ، ولكن لم يقدر لهذه الفتنة أن يتجاوز لهيها باب السقيفة .

فأما أبو بكر وعمر - وهما شيخا المهاجرين - فما كادا يعلمان بهذا الاجتماع الذى أسرع به الأنصار حتى بادرا بالذهاب إليه ، وهناك التقبا بزعماء الأوس والخزرج، وإذ ذاك انحذ المؤتمر لنفسه صورة متكاملة تجمع زعماء الفريقين ، وأتيحت الفرصة اكل زعيم منهم أن بلق كلمته .

فتكلم زعم الأنصار سعد بن عبادة ببين حقهم فى المحلافة فقال : يا معشر الأنصار . لسكم سابقة فى الدين ، وأفضلية فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب ، إن محمدا عليه الصلاة والسلام لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن من قومه إلا رجال قليل ، وماكانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيا عموا به حتى إذا كان متى أراد الله يكم الفضيلة وساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولاصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنم أشد على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً أو كرهاً ، وأعطى البعيد المقاد صاغراً داخراً ، حتى أنمن الله عزوجل لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ؛ وبكم قرير العين ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دون الناس ه

ثم خطب أبو بكر يوضح حتى المهاجرين فى الخلافة وكان عمر يريد الكلام ، فقال أبو بكر : على رسلك . ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة فى العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله علي ، أسلمنا قبلكم ، وقلم ا فى القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان) . فنحن المهاجرون وأنم الأنصار ، إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى اليء وأنصارنا على العلمو ، آويتم وواسيتم - فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنم الوزراء ، لا تدين العرب إلالهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله .

وفي رواية أخرى أن أبا بكر قال بعد ذلك :

إن هذا الأمر إن تولته الأوس نفسته عليهم المخزرج ، وإن تولته المخزرج نفسته عليهم الأوس ، وإن العرب لاتدين إلا لهذا الحي من قربش. منا الأمراء ومنكم الوزراء .

ثم تقدم عمر بن الخطاب للحكلام فقال:

(إنالعرب تمتنسع أن تولى أمرها إلا لمن كانت النبوة فيهم ، وولى. أمرهم منهم) . وكأن عمر بدلك أيد صاحبه أبا بكر في الرأى الذي.

جهربه ، وكأنهما كانا يتفقان فيها بينهما عليه قبل أن يأتيا لحضور يوم سقيفة بني ساعدة .

ثم جاء دور أبي عبيدة ، وهو أحد زعماء المهاجرين أيضاً ، فقال :

« يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر ، فلاتسكونوأول من يدل وغير » ،

وتوالى المتحدثون واحدا بعد الآخر بعد ذلك وإذا بالمجتمعين يسمعون أبا بكر مرة ثانية ينادى بأعلى صوته قائلا :

يا قوم : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شتَّم فبايعوا ،

وهنا انبرى عمر وقال : هذا أبو بكر إن شئتم فبايعوه .

ئم انبرى أبو عبيدة وقال مثل ذلك .

تم سمع المجتمعون عمر يقول للمرة الثانية :

لا والله يا أبا بكر ، لانتولى هذا الأمر عنك فإنك أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين (١) ، فمن هذا الذى ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك .

وسمع القوم - وفيهم أبو بكر ، مقالة عمر ، ومع ذلك تقدم أبو بكر إلى عمر وقال له :

⁽١) كمان النبي سبل الله عليه وسلم طريح الفرائل أيام المرنس للتي سبقت الوفاة ، فأمر ذرجته السيدة عائشة بنت أبي بكر أن تبعث إلى أبيها من يقول له إن رسول الله يأمرك أن تمر الناس في السلاة ، فترددت السيدة عائشة في أول الأمر حتى لا تتهم بأنها نبيء الأمر لأبيها ليكون الخليفة بعد وسول الله ولمسكن الرسول أنح عليها في ذلك ، فلم تجد بدأ من تبليم الرسالة إليه فجاء مسجد الرسول وأم الناس في الصلاة .

ابسط يدك أبايعك يا عمر .

فقال عمر: أنت أفضل مي .

فقال أبو بكر : وأنت أقوى مي .

ثم و ثب عمر فأخذ بيد أبى بكر وبايعه ، فو ثب الجميـع من علية الصحابة يتسابقون إلى البيعة .

ثم بايعه زعيم الأوس (بشيربن سعد) وهو يقول :

 $_{\alpha}$ كر هت أن أنازع قوماً في حق جعله الله لهم $_{\alpha}$.

ورأى الخزرج الحاضرون هذه الحركة فلم يبق لهم عزم وراء ذلك . فنزاحموا على البيعة حتى أوشكوا أن يطثوا زعيمهم المريض (سعدبنعبادة) وماتت الفتنة في مهدها وكفي الله المؤمنين القتال .

حركة إعلامية كبيرة حضرها الزعماء الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في الساعة الصحيحة، وظهروا أمام الناس بالمظهر الملائم ، فلا تنافس بينهم على الخلافة ، ولا بهافت منهم على الإمارة ، ولا جفاء منهم لأحد من الأنصار ، ولا تنكر منهم لما لهؤلاء من فضل على الإسلام ، ولا إخفاء منهم للحقيقة الى افتتح بها أبو بكر قائلا :

و إن العرب لا تدين لغير هذا الحي من قريش و ولاشك أن الفضل في نجاح هذه الحركة الإعلامية السكبيرة إنما يرجع لهؤلاء الثلاثة الكبار الذين علموا باجتماع الأوس والخزرج للتشاور في أمر الحلافة فلم يبطئوا ولم يتهاونوا في المبادرة إليهم والاشتراك معهم في هذا الاجتماع ولوقد أبطئوا في ذلك لضاعت عليهم الفرصة واندلعت نيران الفتنة ، ولا يعلم إلا الله ماذا كانت عواقها .

أما خلافة أبى بكر – رضى الله عنه – فلم تدم أكثر من ثلاث سنوات كانت كلها بركة على الإسلام فقد اصطدم أبو بكر فى أول خلافته بحادث بالمنع الخطورة ؛ وهذا الحادث هو (حركة الردة) ونعنى بها ارتداد المسكثرين من العرب عن الإسلام ، وبذلك تعرض هذا الدين لأكبر كارثة عسكن أن تمر بعد وفاة الرسول ، وإذا ذلك لم يجد أبو بكر بدأ من عاربة العرب المرتدين وإنقاذ الدين من هذه الكارثة التي كادت تودى به .

ونستعرض حياة الخليفة الأول في مدة توليه الأمور فنجد أنه قام فيها بأهمال أربعة ه

- ١ -- محاربة المرتدين.
- ٢ ... بعثة أسامة بن زيد .
- ٣ ــ بعوثه إلى العراق والشام .
 - عاولة جمع القرآن .

وسننظر في هذه الأعمال الأربعة المحيدة — كما وعدنا القراء ـــــ لا من الزاوية الإعلامية .

حركة الردة

كانت هذه الحركة من الحطورة الحطيرة على الخليفة أبى بكر وعلى النظام القائم بحيث وجدنا عمر بن الحطاب يشفق منها على حياة أبى بكر،

نعم ـــ وجدنا عمر ــ وهورجل معروف بشدته وقوة شكيمته ـــ ينصح أبا بكر ـــ وهو رجل معروف برقته ورأفته ولين عريكته ـــ ويقول له :

« الزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب»

ولمكن أبا بكر خالف رأى عسر فى ذلك ، ونظر إلى حركة الردة على أنها ثغرة فى الدين ، وإخلال بالأمانة التى تركها الرسول وَلَمَالِيْنَ ، وفساد لأمر المسلمين ، وخطر عظيم على المجتمع الإسلامى كله ، واذا كان رجل

كأبي بكر لايغار على الدين ، ويضرب المثل الأعلى فى الغيرة عليه وعلى المسلمين فمن ذا اللمى يغار عليه بعده ؟

جاء المرتدون إلى أبى بكريز عمون له أنهم مسلمون يقباون العمل بأركان الدين ولكنهم يرفضون منها ركناً واحداً فقط ، هو الزكاة ، فلم يقبل منهم أبو بكر ذاك ، وقال لهم يومئذ كلمته المشهورة : « والله لو منعتمونى عقالا كنتم تؤدونه لرسول الله لقاتلت كم دونه » .

وأبوبكر الصديق بهذا العمل الجليل والموقف العظيم يعتبر البانى الثانى للدعوة الإسلامية بعد رسول الله بيالي . فقد ظهرت هذه الدعوة على يد أبي بكر ، وفي موقفه هذا ، وكأنها تبنى من جديد بعد إذ عرضها المرتدون للسكل هذا الحطر.

وتمادى المرتدون في غرورهم ، وطفقوا يرددون بينهم قول قائلهم :

أطعنا رسول الله ما دام بيننا فيالعباد الله ما لأبى بكر؟

ولسكن أبا بكر لم يبال بهم ، ولم يتأثر بدعايتهم وأقوالهم ، ونظر إلى حركتهم على أنها امتحان له ولقدرته على تسيير الأمور ، وامتحان الدعوة الإسلامية ذاتها ، ولقدرتهم على البقاء بين العرب المسلمين ، وكيف لاتكون الردة امتحانا للإسلام بهذا المعنى ؟ وقد كشفت عن زيمة الزائفين ، وريب المرتابين . وبفضل أبى بكر وتغلبه على هذه الحركة الجبيئة عاد الإسلام قويا كما كان في عهد الرسول ملهم .

وقف أبو بكر من هذه الحركة موقف العزم والشدة وذلك على خلاف طبيعته التي تميل - كما قلنا - إلى اللبن والرفق والرحمة ، وكان فى ذلك مخالفاً لمشورة عمر الذى أشار عليه بالسكوت عن هذه الحركة ، وكان عمر يقول لصاحبه : يا خليفة رسول الله ، تألف الناس وارفق جم ، كبف تقاتلهم ، وقد قال رسول الله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا منى دماءهم ونفوسهم إلا بحقها » .

فكان أبو بكر بجبب على ذلك بقوله :

و والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ۽ .

ثم صاح لصاحبه قائلا :

ه يابن النخطاب، رجوت نصرتات وجثتنى بخللانك؟ أجبار في الجاهلية
 وخوار في الإسلام؟ إنه انقطع الوحى، وتم الدين .. أو ينقص وأناحى ؟

ثم جاءت الحوادث كلها شاهدة على صدق أبى بكر فيا رآه ، وعزم عليه من محاربة أهل الردة ، وعرف ذلك عمر وعلم أنه أخطأ في نصيحته لأبي بكر واعترف لصاحبه بهذا الخطأ وقبل رأسه وأدرك حكمته .

إن المخليفة الأول بهذا العمل الأمثل قد أعطى المسلمين كلهم ، والمرتدين منهم بنوع خاص أعظم درس تعلموا منه أن الدين كل لا يتجزأ ، وأن العقيدة بجب أن تكرن محترمة من أتباعها من جميع جوانها ، وأن الهاون في حانب واحد من هذه الجوانب لابد أن يؤدى إلى النهاون فيها جميعاً ، وأن القوة ليست في يد الباطل كما يتمثل في فريق المرتدين عن الدين ، ولدكنها في جانب الحق الذي يتمثل في فريق المسلمين المستمسكين.

ذلك إذن هو الوجه الإعلامي لهذه الحادثة الأولى من الحوادث التي وقعت في خلاقة أبي بكر ، وقد سلك أبوبكر فيها مسلسكا يدل على القاعدة التي بني عليها الإعلام الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ، وهذه القاعدة هي : ه بذل الطاعة للرسول بكل دقة وإخلاص وأمانة » .

وهل كان الرسول يقبل من بعض العرب المسلمين أن يكتفوا بالركن الأول من أركان الإسلام ، وهو شهادةأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ هل كان الرسول يكتفى جذا الركن الأول من أركان الإسلام عن أحد الأركان الانعرى كالصلاة – أو الزكاة أو الصيام أو الحج .. كلا ثم كلا ،

حسبنا ذلك حديثاً عن العمل الأول من الأعمال التي قام بها الخليفة الأول.

و هو مقاومة حركة الردة ... لننتقل منه إلى العمل الثانى من أعماله رضيالله عنه وهو : بعثة أسامة بن زيد ·

بعثة أسامة بن زيد

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته قد أعد جيشاً بقياد ةأسامة ابن زيد وأمره أن يستعد للخروج من المدينة والوصول إلى تخوم الروم وذلك لتخويفهم من الإغارة على حدود المسلمين ، ولم يكن للنبي قصد وراء ذلك .

فلما ولى أبوبكر أمر المحلافة عزم على الإبقاء هذا الجيش ، وعلى تنفيذ المهمة التي مات عنها الرسول ، ولم يهتز إذ ذاك بالاضطرابات التي أعقبت هذا الحادث العظيم و هو وفاة الرسول ، ولم يأخذه الشغب الذي عم الجزيرة العربية بعد هذا الحادث ، وثبت أبو بكر على موقفه من هذا الجيش كما ثبت على موقفه من حركة الردة ، وخوفه المسلمون عواقب هذا الثبات على موقفه ، وأنذروه بالحطر على المدينة وعلى الجيش نفسه في تلك الظروف ولكن أبا بكر قال لهم جميعاً :

و الله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ، ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة »:

وجهز أبو بكر هذه البعثة العسكرية ، وخرج ماشياً على قدمه معها وأسامة راكب إلى جانبه ، وخاطبه المسلمون في ذلك فقال :

« ما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله » .

وقال لأسامة : « اصنسع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسام، ولا تقصر فى شيء من أمره » .

وشاع فى الجزيرة العربية أمر تلك البعثة العسكرية ، وكانت لا تمر بقبيل من الناس يفكرون فى الارتداد عن الإسلام إلا استشعروا الخوف والهيبة وآثروا السكوت والهدوء وقال بعضهم لبعض ، لولم يكن المسلمون. على قوة حتميقية لما خرج من عندهم هؤلاءً ؟ ؟.

وعاد جيش أسامة من تخوم الروم بأسلاب وغنائم كثيرة: ولم ينقض عليه وعلى بعثته أكثر من شهرين ، ولم يقتل من جيش المسلمين أحد ، وإن جيشاً يذهب إلى تخوم الروم ثم يعود غير مسيحوق من الأعداء كيف مزأ به قبائل العرب الهائمة في الصحوء ؟ وكيف تخيي دلائل ذلك على حملة الأخبار والقادرين مهم على استنباط مواطن القوة والضعف في كل من المسلمين والمرتدين على السواء .

يخيل إلى الباحث أن الغرض الأساسي لحذه البعثة منذ أن فكر فيها الرسول ومنذ أن صمم عليها أبو بكر كان هو الحرب النفسية قبل كل شيء ، فلقد أراد الرسول كما أراد خليفته أبوبكر أن يبنى الرعب في في نفوس الموالين للروم ، وفي نفوس القبائل العربية التي لم تزل ترى لحا من القوة والمنعة والعزة ما يجعلها تتربص الدوائر مهذا الدين الحديد ، وتعلو بنفسها عن الخضوع لأحكامه .

أجل - كانت بعثة أسامة بعثة تأديبية قصد بها ردع القبائل التي مر بها في الطريق من الحجاز إلى الشام ، كما قصد بها تأمين هذا الطريق و توطيد هيبة الإسلام ، وكان هذا كاه من أبي بكر إعلاماً للقبائل العربية أن هناك. حكومة قوية أخذت المأمر عدته وفي استطاعتها أن تؤدب المرتدين ، وأن تقفى على هذا الحطر الجسيم .

والآن لننتقل إلى العمل الثالث من الأعمال المجيدة التي قام بها الخليفة الأول وهذا العمل هو:

البعوث إلى العراق والشام

كما تنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنه مسئول عن أمرين في. وقت واحد هما :

١ ــ تأمين الإسلام في الداخل ١

٢ ــ وتأمين الاسلام في الحارج.

فكاللك تنبه خليفته الأول لهذين الأمرين معاً : وتم له الأمر الأول عن طريق حروب الردة ونجاحه فى تأديب المارقين حتى رجعوا إلى حظارة الدين .

وتم له الأمر الثانى عن طريق البعوث التى بعث بها إلى العراق والشام ، ليس ذلك بقصد التوسع فى الفتح ، أو الجساه والسلطة ، ولسكن . لمدفواحد فقط هو الهدف الذي كان يقصد إليه رسول الله عليه وهو نشر هذا الدين و تثبيت قواعد المسلمين .

وبذلك البزم أبو بكر سياسة رسول الله على الخارجية وسياسته الداخلية وسياسته الداخلية وسياسته الإعلامية وهي السياسة التي سار عليها رسول الله في بعثة (تبوك) ثم في بعثة (أسامة بن زيد) فقد بعث النبي على جاتين البعثتين ، وأعد بنفسه هذين الجيشين – لا للتعدى على بلاد الغير ، ولكن لدفع الأذى، وحماية العلريق : ولنشر الدين .

فنى غزوة تبوك على عهد رسول الله يَلْكُمْ عاد الجيش الإسلامى بعد أن انصرف جيش الروم عن الحدود ولم يعد إليه فى تلك السنة ، وقد كانت دولة الروم ترصل البعوث من حين إلى حين إلى تخوم الجزيرة العربية ، وكان على المسلمين أن يقابلوا هذا العمل عمله دائماً ولولا ذلك لعاشت القبائل العربية التى دخلت الاسلام فى فزع دائم وخوف لا ينقطع ،

وعلى هذا النحو سار أبو بكر مع التخوم الفارسية ، ولنفس هذه

الغاية فرض على نفسه غزو فارس ، فقد كانت القبائل الموالية لفارس توالى غاراتها على أراضى المسلمين، وكان على المسلمين أن يدفعوا هذه الغارات بمنهى القوة ، وكان القائد الاسلامي لهذه الأعمال الحربية الأخيرة هو (المثنى بن حارثة الشيبانى) ، ثم ما ليثت هذه الغارات والرد عليها أن انقليت إلى حرب ضروس دارت بين العرب والقرس ، وكان القائد الإسلامي في هذه الحرب هو (خالد بن الوليد) الذي بعث به أبو بكر لنجدة المثنى بن حارثة . وأمره إذ ذاك أن يتألف أهل فارس ويتودد إلى الإمارة العربية الموالية لها – وهي إمارة الحيرة ، وفعل خالد بن الوليد كل ذلك .

ويكل هذه البعوث التي ملأت خلافة أبي بكر علمت العرب أن الاسلام لا بموت بموت صاحب الرسالة والقائم بالدعوة ، ونغني به محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا الدين متين يقوم على مبادىء قوية أولها مبدأ التوحيد. وأن هذا الدين فوق متانته قد تربى عليه رجال قادرون على صيانته من كل سوء ما داموا يسيرون على هذه القاعدة ، وهي الطاعة طلى ورسوله .

معنى ذلك كله أن لهذه المعلومات السابقة وجهين متكاملين :

الوجه التاريخي والوجه الإعلامي ــ ونحن حين نتعرض بعض الشيء للوجه الأول لا تريد بذلك إلا للتعرض للوجه الآخر .

* *

وننتقل إلى العمل الرابع والأخر من أعمال أبي بكر ، وهو : جمع القرآن السكريم

والقرآن الكريم هو دستور المسلمين، وبه يتقيد الخليفة المسلم، وعليه تسير الأمة الإسلامية في كل عصر من عصورها، ومن ثم كان العمل على جمع القرآن الكريم من أعظم الأعمال الإعلامية التي يقوم بها الخليفة الأول أبو بكر وما في ذلك شك.

ثم إن القرآن في ذاته ــ كما سبق أن أوضحنا ذلك في الباب الأول (م ١٤ – الإعلام في مندر الإسلام) من أبواب هذا السكتاب - هو أقوى وسائل الإعلام في الإسلام وهو أضخم هذه الوسائل وأضمنها وأثبتها وأصدقها ، وبعده أو بعدها تأتى الوسائل الإعلامية الأخرى ، ابتداء من الحديث الشريف أو السنة النبوية إلى الغزوات والبعوث الإسلامية التي بدأها النبي يتاليه واستمر فها الخلفاء الراشدون من بعده .

ومن هنا كانت حركة جمع القرآن الكريم حركة إعلامية قوية التأثير في حياة المسلمين ، وكان لابدلها أن تتم على بد الخليفة الأول . وكان على هذا الخليفة أن يضرب المثل الأعلى والقدوة المحسنة في هذا المشروع العظيم بحيث لو أهمله – رضي الله عنه – لسكان القرآن نفسه عرضة للضياع والتحريف .

وقد مات من مات من حفظة القرآن السكريم ، وذلك في حرب الردة ، فأشار عمرين الخطاب على أبى بكر أن يجمع القرآن السكريم ، فانشرح صدر أبى بكر لهذه الفسكرة الطيبة ولم تنته خلافته القصيرة المدى إلا والقرآن السكريم مجموع من الصدور ومكتوب على نحو سلم ، لم يضع منه حرف ، ولم تسقط منه سورة ، ولم ينله شيء من التحريف أو التغيير أو التبديل ، وصدق الله تعالى إذ يقول :

« إنا تحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

(والمخلاصة) أنه إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحب (الدعوة) الأولى ، وقد سلك من الطرق الإعلامية ما يتفق وهذه الصفة ، فإن أبا بكر هو صاحب (الدعوة) الثانية ـــ إن صح هذا التعبير ــ وقد سلك في خلافته القصيرة المدى من الطرق الإعلامية ما يتفق وهذه الصفة .

وجدير بالتنويه أن نلاحظ أن أبا بكر كانت له حاسة إعلامية دقيقة لا سبيل إلى إنسكارها .

وجهذه المحاسة حضر فى الوقت المناسب (يوم السقيفة) واشترك مع زعماء المهاجرين والأنصار فى هذه المعركة .

وبهده المحاسة أدرك خطورة الموقف الذى خلفته حركة الردة ، وانفرد بالرأى الذى لم يوافقه فيه أحد ، وهو تصميمه على مكافحة هذه الحركة .

ثم بهذه المحاسة وضع لنفسه قاعدة سياسية وإعلامية لم بحد عنها ، وهي السياسة التي قامت على إطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتذائه في كل حركاته وسكناته ، والقيام بجميسع الأعمال التي تضمن صيانة العقيدة الجديدة ، لا يحيد عنها كذلك .

ولو أن أبا بكر تخلف عن هذه المعركة الانتحابية يوم السقيفة ، ولو أنه ظهر للناس يومذاك بأنه من طلاب الملك أو الجاه أوالدنيا ، ولو أنه استمع إلى مشورة أصحابه فى الإغضاء هن حركة الردة ، ولو أنه قصر فى البعوث العسكرية ، ولو أنه أهمل جمع القرآن السكريم لأصبحت خلافته فارغة من الأعمال التى يعضد بها الاسلام ، والإسلام وحده .

الفصل لثناني الإعلام في عهد الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الحظاب

إذا كان التاريخ قد نظر إلى أبى بكر على أنه البانى للدعوة الإعلامية بعد رسول الله على الله على الأول ، فإن التاريخ قد نظر إلى عمربن الحطاب على أنه المؤسس الأول للدولة الإسلامية ، لأن الإسلام قبله لم تنشأ له دولة بالمعنى الصحيح لا لهذه الكلمة » وقد استحق عمر بن الحطاب هذه الصفة لاعتبارات منها :

أولا: أنه أول من دون الدواوين ،ومن ذلك أنه أنشأ ديوان القضاء، وديوان الإحصاء، وديوان الحراج، وديوان البريد، وديوان بيت المال ، وديوان الثغور .

ولم يكتف عمر بذلك حستى رأيناه ينشىء داراً لسك النقود ، وداراً للحبس يعاقب فيها المذنبين، وداراً تسمى « بيت الدقيق »، وهو ما يقابل عندنا فى الوقت الحاضر « الأوقاف الحيرية » وعمله إغاثة الجياع الذين لا يجدون طعاماً لهم « ومن الأوقاف الحيرية » التى تتبع هذا البيت أرض مخيبر اختارها عمر فى عهد الرسول عليه ، وقد أشار عليه يومئذ بحبسها وحفظها من أن نباع أو توهب أو تورث ، ولكن تصبح موقوفة على مصالح الفقراء من المسلمين .

ومن أجل ذاك نظر التاريخ إلى عمر بن الخطاب على أنه أول مؤسس الثالث اللمولة الإسلامية ـــ كما قلنا ـــ وذلك فضلا عن كونه المؤسس الثالث للدعوة الإسلامية بعد النبي يُزائِنُهُ وبعد أبي بكر الصديق الخليفة الأول .

تُم من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ كلمته المشهورة في عمر بن

الخطاب : لم أر عبقرياً يفرى فريه (١) ، والكلمة جزء من رؤيا رآها رسول الله علقي نفسه .

قال عليه الصلاة والسلام :

رأیت فی المنام أنی أنزع بدلو بکرة علی قلیب (أی بئر). فجاء أبوبکر فنزع ذنوباً (بفتح الذال أی دلوا). وذنوبین نزعاً ضعیفاً، والله یغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً (۲) - ولم أر عبقریاً یفری فریه ، (أی ینزع قبله) حتی روی الناس وضربوا بعطن ه (۳) .

الحق ... لقد كانت هذه الرؤيا التي رآها رسول الله على خير معبر عنى الجهود التي بذلها الشيخان من بعده ، فأما أولها ... وهو أبو بكر ... فقل كانت خلافته قصيرة العمر لم تدم أكثر من ثلاث سنوات أنفقها كلها في محاربة أهل الردة ، والدفاع عن الحدود الإسلامية . وأما الثاني ... فإنه قام ببناء الدولة الإسلامية. وكان ذلك بتدوين الدواوين من جهة ، وبالفتوح الكثيرة من جهة ، وبالفتوح الكثيرة من جهة ثانية .

ولم يكن الباعث على هذه الفتوح العمرية رغبة فى السلطان والصولحان، أو شهوة إلى التوسع والغلبة ، وإنما كان الباعث إليها هو نفس الدافع الذى دفع رسول الله ما الله والمعليفة الأول ، ونعنى به تأمين حدود الإسلام من عدويه الكبيرين : الروم من جهة ، والفرس من جهة ثانية .

وبوازع من هذه البواعث، وبتقدير من عمر بن الخطاب لهذه المسئولية أقدم على فتح مصر ، وفتح بلاد المقدس ، وفتح فارس - وجاء هذا الفتح الأخير على كره منه ، لالشيء إلا أنه يكره الحرب لأنها حرب ، ويبغض الدم لأنه دم ، وفي ذلك يقول عمر : « إن رجملا واحداً من

⁽١) عباس محمود العقاد ؛ عبقرية عمر .

^{(ُ}٢ُ) النَّرْبُ (يَسْكُونَ الرَّاءُ): المَلَّهُ سَاوِمِنْ مَعَالِيّهُ كَثَرُهُ المَالُ وَحَسَّنَ الْمُسَالُ ، وجريان الفرس بسرعة (القادوس الحيط) .

⁽٣) العطن (لفتح العين و الطاء) مربط الإبل حول الماء .

المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ه ومعنى ذلك أنه يضن برجـــل واحد من المسلمين أن يموت في الحرب .

ومن أقواله كذلك :

«وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار فلايصلون إلينا ولانصل السمل » وليست هناك ألفاظ يعبر بها قائد من القواد عن كراهيته لسفك الدماء أقوى وأبين من هذه الألفاظ التي نطق بها عمر .

عر والسياسة الإعلامية

سبق أن أكدنا هذا المعنى وقلنا إننا حين نسأل عن نظام الحكم فى أمة من الأمم فقد سألنا فى الوقت نفسه عن نظام الإعلام فى هذه الأمة، ذلك أن نظام الإعلام فى جميع الظروف والأحوال مرتبط أشد الارتباط بنظام الحكم وظروف الحاكم، وإذا كان نظام الحكومة الإسلامية فى عهالم الحلماء الرأشدين قائماً على العقيدة التى تأمر بطاعة الله ورسوله فإن نظام الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ينبغى أن يبنى كذلك على نفس العقيدة.

من أجل ذلك لم يكن غريباً أن يبدأ عمر بن الخطاب خلافته بكلمة يعلن فيها عن منهجه في الحكم يقول فيها :

أيها الناس : أطيعونى ما أطعت فيكم الله ورسوله . فإن عصيتهما فلا طاحة لى عليكم » .

وعلى هذا الأساس يصح أن ننظر في أعمال عمر بن الخطاب فسنرى أن سياسته الإعلامية تظهر بوضوح فيما يلي :

أولا -- في الفتوح :

وقد فرغنا من الكلام عن هذه الناحية وقلنا إن عمر بن الخطاب كان فيها مقيداً بسياسة النبي للهنائي وأبي بكر الصديق، ولم يكن ينظر وراء ذلك.

ثانياً _ سياسة عمر مع كبار الصحابة:

وهم كبار رجال الدين والعقيدة ، وهم أفهم الناس لحوهر الإسلام ولأهدافه القريبة والبعيدة ، وكلمة واحدة يقولها أحدهم تحدث أثرا قوياً في نفوس المسلمين الحاصة منهم والعامة ، وعمل طيب يصدر من أحدهم يصبح مثلا أعلى يحتذى به ، وقدوة حسنة للمسلمين جميعاً .

من أجل ذلك وضع عمر لنفسه سياسة خطة حكيمة في معاملة كبار الصحابة ، وتتلخص هذه الجطة في الاحتفاظ مم جميعاً إلى جانبه في المدينة وجعل عمر من كبار الصحابه شيئاً يشبه « مجلس الشررى » يرجع إليهم في كل أمر من أموره، ويستمع إلى آرائهم في كل مشكلة من مشكلاته، ويعرض علهم كل تصرف من تصرفاته ، فإذا كان هذا التصرف موافقاً للدين والرسول والعقيدة مضى فيه ، وإلا عدل عنه عدولا تاماً .

وكان من خطة عمر ألا يأذن لأحمد من هؤلاء الصحابة بترك المدينة والسفر إلى الأمصار والأقاليم والإقامة فيها ، وكمان عمر بن الخطاب يفعل ذلك خوفاً عليهم من شرور هذه الأمصار ، وفتنة الجاه والمال ، وهي فتنة لابد أن يتعرضو لها يحكم المناصب الكبيرة التي يلونها ، والخضوع الذي يظهره الناس لهم من الناحيتين الدينية والسياسية ، والصحابة بشر ، وقد تحدثهم نفوسهم البشرية بأمور تفسد عليهم دينهم، وتقلل عندهم من سلطان العقيدة ، وتحدث خللا في سياسة عمر ،

والحق - لقد كان عمر رشيداً في هذه السياسة التي رسمها لسكبار الصحابة ، وسيأتى الحديث عن الخليفة الثالث - عبّان بن عفان رضي الله عنه - وسنجد أنه خرج على هذه السياسة ، وأنه سمح لسكبار الصحابة بالخروج إلى الأمصار .

فحنى من وراء ذلك ضررين كبيرين : أولها - حرمانه من مشورة الصعابة . وثانيهما - حدوث الفتنة الكبرى على النحو الذي سنشرحه فيما بعد . قال عمر لابن عباس وهو رجل من كبار الصحابة :

إنى رأيت رسول الله عليه استعمل الناس وترككم والله ما أدرى أصرفكم عن العمل ؟ أو رفعكم عنه ؟ وأنتم أهل ذلك ، أم خشى رسول الله أن تعاونوا لمكانكم منه، فليرجع العتاب علميكم، ولا بد من عتاب . ومما قاله عمر أيضاً :

« إن قريشاً يريدون أن يتخلوا مال الله معونة على ما فى أنفسهم، إلا أن فى قريش من يضمر الفرقة ويروم خلع الربقة ، أما وابن الخطاب حى فلا ، إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشارهم فى البلاد » .

لا ريب أن هذه السياسة التي اختطها عمر لنفسه تجداه كرار الصحابة لاكبر دليل على « الحاسة الإعلامية » الدقيقة التي انفر د بها هذا الحليفة وهي الحاسة التي قلنا إن الحليفة الثالث عمان بن عفان كان يفتقدها في نفسه ، ولو وجدت عنده لتغير وجه التاريخ الإسلامي في زمنه، ولما حدثت الفتنة الكبرى ـ كما سنشرح ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

فانياً ... العسس:

لم يكن التاريخ البشرى يعرف رجلا بلغ فى الشعور بمسئولية الحاكم بعض ما بلغه عمر بن الخطاب من الشعور بهذه المسئولية، كان قلبه مشغولا على الدوام بأمور الرعية، وبلغ من حرصه على ذلك أن قال كلمته المشهورة:

لا و عثرت بغلة فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها » كما بلغ من حرصه على رعيته أن ابتدع نظام « العسس » ، و هو السبر بالليل للوقوف على أحوال الرعية .

ويحكى لنا التاريخ أنه كان يتجول فى ليلة من الليالى فى أنحاء المدينة فسمع من وراء الجدران صوعت امرأة تبكى ، فدخل دارها فوجدها أمام قدر من الماء فيه حصى تعلل به أولادها حتى يغلبهم النوم ، ورأى عمر بنفسه هذا المنظر المؤلم وصاح فى نفسه قائلا : ليت أم عمر لم تلسد عمر،

وليت عمر لم يلث من البشر ، ثم عاد مسرعاً إلى بيته وأمر زوجته أن تحمل قدراً من الدقيق ، وصنع بنفسه طعاماً لهؤلاء الأطفال الجياع ، وأيقظهم وأكلوا وناموا .

وحكى لنا التاريخ كذلك عن عمر أنه سار فى لياة ما حنى وصل إلى بيت كانت فيه امرأة تغنى بصوت مرتفع تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أو من سبيل إلى عمرو بن سيار وفى اليوم التالى سأل عن عمرو بن سيار هذا فوجده شابآ له شعرطويل، وله بهذا الشعر الجميل عناية تامة، ومن ثم أصبح فتنة لنساء المدينة، فأمر بأن يقص شعره.

ويطول بنا القول إن أردنا أن تتتبع أخبار عمر من هذه الناحية .

معنى ذلك أن عمر كان يحصل على أخبار الرعية بنفسه ، وكان يقف على أخبار الرعية بنفسه ، وكان يقف على أحوالهــــا بنفسه . ويقوم بإصلاح الحلل فى الأحوال ، كما يعهد إلى تقويم المعوج فى الأخلاق ، وكان يرى أنه المسئول الأول عن كل إذلك .

والحديث عن تقدير عمر التبعة الملقاة على عاتقه بجرنا إلى الحديث عن بعض نوادره فى الحرب فقد قيل أنه كان علك فى نفسه قدرة عجيبة على المكاشقة Telebachy.

كان عمر يخطب بالمدينة خطبة الجمعة ؛ فرآه الناس وهو يقطع كلامه على حين غرة وينادى بأعلى صوته قائلا : ياسارية بن حصن . الجبل ، الجبل . فلم يفهم الحاضرون ماذا أراد بهذه الكلمات التي قطع بها الحطبة ، ثم عاد عمر يتم خطبته ، وصلى بالناس الجمعة . وبعد أن فرغ من الصلاة سأله على بن أبي طالب: ماهذا الذي ناديت به . فقال عمر ؛ أو سمعته مني ؟ قال: نعم أنا وكل من في المسجد . فقال عمر ، وقع في نفسي أن المشوكين هز موا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عسداوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا بعدوهم ، وإن جاوزوه هلكوا . فخرج مني هذا الكلام .

وجاء البشير بعد شهر من خطبة عمر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وفى ثلك الساعة حتى جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر وهو يقول، «يا سارية بن حصن، الجبل. . الجبل» فعدلنا إلى هذا ، ففتح الله علينا .

فى تصورى كذلك أن القارىء الحديث يعجب كل العجب كيف كانت المكاشفة وسيلة من وسائل الإعلام قد مارسها عمر رضى الله عنه .

فالطًا ــ الرسائل :

كانت الرسالة من أقوى وسائل الإعلام فى عهد عمر بن العظاب ، وقد حفظ لنا التاريخ طائفة صالحة من الرسائل التى بعث بها عمر إلى قواده فى الحرب تارة ،وإلى عاله فى الأقاليم تارة أخرى ، وإلى القضاة الذين كان يبعث بهم إلى الأمصار تارة ثالثة .

وكان عمر لابدع لقائد من قواده أن يتحرك من مكان إلى مكان إلا برأيه ، ولا أن يستبدل خطة مخطة إلا بمشورته ، ولم يكن إلا في أحيان قليلة ، بل نادرة يترك لهم حرية الحركة ،

من ذلك أن أبا عبيدة بن الجراح استشاره فى دخول الدروب خلف العدو فكتب إليه عمر يقول :

وإن طابوا إليك الصلح فصالحهم ». والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، وأنت محضرة عدو وعيونك يأتونك بالأخبار ، فإذا رأيت الدخول إلى الدروب مسواباً ، فابعث إليهم السرايا وادخل عليهم بلادهم، وضيق عليهم مسالكهم وإن طابوا إليك الصلح فصالحهم ».

و ترك قائده أبو عبيدة حصار حلب ، فكتب إليه عمر يستضعف رأيه ويقول له :

سرنى ما عليمت من الفتح ، وعلمت من قتل من الشهداء ، وأما ماذكرت من انصرافك عن قلعة حلب إلى النواسي التى قربت من أنطاكية فهذا بئس الرأى . أنترك رجلا ملكك دياره ومدينته ثم ترحل وتسمع أهل النواسي والبلاد إنك ما قدرت عليه فما هدا برأى ، فإياك أن تبرح حتى

محكم الله وهو خبر الحاكمين ، وقد أنفلت كتابي هذا ومعه أهل مشارف اليمن فمن وهب نفسه لله ورسوله ورغب فى الجهاد فى سبيل الله فليفعل ، وهم عرب وموال ورجال وفرسان والمدد يأتيك متوالياً إن شاء الله تعالى ٢٠٠

هذان نموذجان من رسائل عمر إلى القواد يظهر منهما أن عمر كان لايغل يده أو رجله عن الحركة ولكن كان معه خطوة خطوة . . وكان في الوقت نفسه يأمره بالزحف إن رأى الحير في ذلك ، ويأمر وبالعملح إن كان طلب الصلح صادراً من العدو .

نموذج من رسائله إلى القضاة :

عمر هو الذى وضع دستور القضاة فى الإسلام ، وتلك حقيقة من الحقائق التى لا جدال فيها ، والدستور الذى وضعه كان ولا يزال وثيقة إعلامية إلى جانب أنه وثيقة قضائية .

كتب عمر إلى بعض القضاة فقال:

إذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال. فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم ترد فيه سنة رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم تكن فيه سنة رسول الله ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت ؟ إن شئت أن تجتهد في رأيك وتتقدم فتقدم وإن شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيراً لك ،

وهذه الرسالة الصغيرة. هي التي وضعت دستور القضاء في الإسلام، وبها علم القضاة أنهم إما أن يحكموا بشيء وجدوه في القرآن الكرم، وإما أن يحكموا بشيء ورد في سنة رسول الله برائح ، وإما أن يحكموا بما عليه الجهاعة وإما أن يحكموا بطريقة الاجتهاد في الرأى . وتلك هي المصادر الأربعة التشريع الإسلامي منذ أيام عصر بن الحطاب إلى اليوم .

وقد أشار عمر في رسالته إلى أن طريقة الاجتهاد أشق على القضاة من الطرق الثلاثة للأولى ، وهي القرآن والسنة والإجماع ، وهذا معنى قوله : وإن شئت أن تجمّه في رأيك وتنقدم فتقدم ، وإن شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خبراً لك .

ومن ثم شعر القضاة في الإسلام أن القضاء أمانة ثقيلة ، وكانوا لللك يفضلون وظائف التدريس على وظائف القضاء .

وهكذا وضعت هذه الرسالة على القاعدة الإعلامية التي يثني عليها الحكم الإسلامي في عهد الحلفاء الراشدين ، وهي العقيدة التي أوجبت على هذا الحكم أن ينبني على طاعة الله ورسوله ، فإن لم يوجد في الكتاب والسنة شيء لحل القضايا المعروضة فليلجأ القاضي إلى رأى الجماعة ، فإن ضاقت به جميع هذه المصادر الثلاثة – وقلما تضيق – فله أن يجبهد برأيه .

ولولا أن عمر ممتلىء بهذه العقيدة ، ولولا أنه بملك الحاسة الإعلامية الدقيقة ، لما استطاع أن يضع دستورا للقضاء بمثل هذا اليسر والوضوح والسهولة .

رابعاً ... زيارات عمر الأمصار والأقاليم :

كان من دأب عمر أن يزور الأمصار من آن لآن ، وقصده من هذه الزيارات أن يتفقد أحوال المسلمين في هذه الأقاليم ، وأن يلتقي فيها بالعمال أو الأمراء الذين يحكمون باسمه هذه الأقاليم ، وكان كل أمير من أولئك الأمراء يتوقع في كل لحظة من اللحظات زيارة الجليفة له ليحاسبه على عمله ويجمع إليه الناس ليبدوا رأيهم في الأمير نفسه ، ويعرضوا مظالمهم على المخليفة إذا كان عامله قد تراخي في النظر فيها لأمر أو لآخر .

وكان عمر لايكتنى بزيارة الأقاليم من وقت لآخر ولكنه كان يدعو أمراء هذه الأقاليم للحضور إليه بين فترةوأخرى ، وذلك ليتأكد منحسن سيرتهم مع الرعية ، ويطمئن إلى سير العدالة فى تلك الجهات .

والحتى ــ لقد ضرب عمر في هذاالمحال أروع المثل ، وكان فيه أسوة

حسنة للحاكم المسلم الذي أخذ نفسه بالعقيدة السليمة التي تقوم على تقوى الله وحده ، ولايتسع مثل هذا البحث لإيراد الشواهد على ذلك ، وإن البحث ليفترض أن هذه الشواهد شائعة بين الناس جميعا ، يتحدث بها التاريخ منذ خلافة عمر بن الخطاب إلى اليوم .

ولذلك سننص فيما بعد على أن القدوة الحسنة أكبر وسائل الإعلام في عهد هذا الحليفة الفاروق الذي هو رمز العدل في الإسلام ، وهو في هذه الصفة مقدم على غيره .

والذى لاشك فيه أن عمر بهذه السياسة القضائية كان بخدم الناس فى مجال الإعلام خدمة لاتقل عن خدماته لهم فى مجال القضاء .

فأى طريقة أقوى من طريقة الزيارات والاتصال بالناس في المدينة وخارج المدينة والتعرف إلى آرائهم في الحكام ، والوقوف على احتياجاتهم والمظالم التي ترفع إلى هؤلاء الحكام ، وذلك في إثبات أن الخليفة يشعر بتبعته نحو الرعبة على هذا الوجه ، وأنه مسئول أمام الله سبحانه وتعالى عن كل مامحتاج إليه الرعبة .

إن الزيارات مازالت إلى العصر الذي نعيش من أكبر دعائم الاعلام ومازلنا في العصر الحديث ننظر إلى زيارة الملوك والرؤساء للأقاليم، أو زياراتهم للبلاد الأجنبية على أنها من أنجح الوسائل الاعلامية . ولكن زيارات عمر بن الحطاب كانت أوسع أهدافاً ، وأنبل أغراضا ، وأبعد عن الرياء والتظاهر ، وأدنى إلى تقوى الله من جميع الزيارات التي نشهدها الآن .

حكى لنا التاريخ أن عمر بن الحطاب قدم إلى الشامراكبا على حمار ، فتلقاه معاوية بن أبى سفيان في موكب عظيم ، فلما رآه معاوية نزل وسلم عليه بالحلافة ، فمضى عمر إلى سبيله ولم يرد عليه السلام ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين ، فلو كلمته ، فالتفت عمر إلى معاوية وسأله :

أثنك لصاحب الموكب الذي أرى ؟

قال: نعم. قال عمر: مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك! قال: نعم. قال عمر: ولم وبحك! قال معاوية: لأننا ببلاد كثر فيها جواسيس العدو، فإن لم نتخل العدة والعدد استخف العدو بنا وهجم علينا ، وأما الحجاز فإننا نخاف من البذلة وجرأة الرعية ، وأنا بعد عاملك ، فإن استنقصتني نقصت ، وإن استردتني زدت ، وإن استوقفتني وقفت .

قال عمر : ماسألتك عن شيء إلاخرجت هنه ، إن كنت صادقاً فإنه رأى لبيب وإن كنت كاذباً فإنها خدعة أريب ، لا آمرك ولا أنهاك.

هكذا كان عمر يلم بعاله من حين لآخر لكى يقف على أعمالم وتصرفاتهم ، ولم يكتف عمر يذلك في سبيل الحصول على المعلومات الصحيحة عن أولئك الأمراء ، بل كان يرصد لهم العيون والرقباء يختلطون بالرعية وبأتونه بما ظهر وما ختى من أعمال أولئك الأمراء ، حتى كان الوالى من كبار الولاة يخشى من أقرب الناس إليه أن يرجع بكل أخباره إلى الحليفة . كما كان عمر يندب لكل عامل من العال أو أمير من الأمراء وكيلا خاصا بجمع شكاوى الناس ومظالمهم ، ويتولى عمر التحقيق في هذه المظالم ومراجعها بنفسه .

زى ـ هل عمر يفعل ذلك خوفا على سلطانه ، أو صيانة لملكه ، أو صيافة لملكه ، أو صافظة على منصبه الله وضعه الله فيهـ وهو منصب الحلافة ٢ كلا ثم كلا ؟ بل كان عمر يفعل ذلك بوازع من ضميره، وبدافع من تقواه ، وبشعور عميق بالمسئولية التي وضعها الناس على كتفه .

ومن أجل ذلك اتخد لنفسه كل هذه الذرائع الاعلامية ، وأحسن استخدام هذه الذرائع . وكانت الرعية على ثقة من حسن طويته ونبل غرضه في استخدام كل هذه الذرائع ،

والدايل على ذلك أن عمر كان يحصى أموال الولاة، ثم يستصفى مازاد

منها . وذلك كلما فشت فاشية من مال أو إبل أو خيل أو غير ذلك من النعم وكان عمر يسألهم دائما ! من أين لك هذا ؟ وكان عليهم أن يخبروه بمصادرها وإلا حرمهم منها .

فعل ذلك مع ممروبن العاص حين كان واليا علىمصر ، وضاق عمرو ابن العاص بهذه المحاسبة وكان يقول :

« إن زمانا يحكمنا فيه ابن حنتمة (بريد عمر) لزمان سوء ، الحق الحق لل نعرف له نظيرا في الحق ـ لله نظيرا في الحق ـ لله نظيرا في الحتى ـ لقد كان عمر نموذجاً فريدا في الحكم لا نعرف له نظيرا في التاريخ الإسلامي كله . وكانت له حاسة لم تكن لحاكم غيره :

خامساً ... القدوة الحسنة :

لقد أكثرنا إلى الآن من إبراد الأمثلة على عدل عمر ورحمة عمر واتساع عقل عمر، وشجاعة عمر، ولم نترك أو لم نكد نترك صفة من الصفات الحسنة في الإسلام حتى وصفناه بها ، وجعلنا منه مثلا أعلى في هذه الصفات .

ولم نكن مبالغين في كل ما أوردناه من هذه الحصال ، وكتب التاريخ تعلوءة بالأمثلة الطيبة علىهذا الذي قلناه، والبحث الذي بين أيدينا لايتسع لجزء ولو ضئيلا لهذه الأمثلة .

أفليس معنى ذلك أن عمر بن الحطاب كان قدوة حسنة في قومه؟ بلى . وقد سبق لنا القول في أن القدوة الحسنة في ذاتها تعتبر من أقوى وسائل الإعلام ، وعلى القدوة الحسنة بليت حياة عمر منذ دخل الإسلام إلى أن فرغ من الحياة الدنيا .

وإنى إذ أحيل القارئ للكتب التاريخية التى امتلأت بحكايات عن عمر بن المخطاب أجدنى مضطرا إلى الإشارة إلى واحدة منها. القارى أن يضيفها إلى ما سبق من حكايات وأخبار .

جاء رجلمن مصر إلى عمر بنالخطاب وشكا إليه أمرا حدثمنااوالي

عمرو بن العاص ، وخلاصته أن الوالى أجرى خيلا كعادته ، فأقبلت فرس المصرى، فحيسها محمد بن عمرو بن العاص وصاح : فرسى ورب الكعبة . ثم اقترب منه صاحبها وعرفه أنها فرسه هو . فغضب محمد بن عمرو بن العاص ووثب على المصرى فضربه بالسوط وهو يقول له : خلها وأنا ابن الأكر مين . وبلغ ذلك أباه فخشى أن يشكوه المصرى إلى عمر . فحبسه زمناً . وما زال عبوساً حى هرب من الحبس ووصل إلى المدينة وقدم على الخليفة ، وأبلغه شكواه . فا كان من عمر إلا أن استقدم إليه عمرو بن العاص ومعه ولده ، فوقفا فى مجلس القضاء . فنادى عمر : أين المصرى ؟ فأتى المصرى حى عمر : دو لك الدرة فاضرب بها ابن الأكر مين . فضربه المصرى حى عمر أبن العاص . فوائلة ما ضربك ابنه إلا يفضل سلطانه . فقال عمروبن العاص ابن الأكرمين . فقال عمروبن العاص فزعا: ياأمير المؤمنين لقد استوفيت حق المصرى . ثم قال المصرى ؛ ياأمير المؤمنين لقد استوفيت حق المصرى . ثم قال المصرى ؛ ياأمير المؤمنين حقد ضربت من ضربني . فالتفت الخليفة إلى عمرو بن العاص وقال كلمته المشهورة :

ه یا عمرو: متی استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ».
 تری هل تحفظ کتب التاریخ البشری مثلا واحداً کهذا المثل. و هل تستطیع أن تنسب مثله لحاکم أو ملك ؟ أظن لا .

بهذه الطريقة نستطيع أن نستوعب جميع الذرائع الإعلامية التي استعان بها عمر بن الخطاب في خلافته . فنجد منها كذلك : الخطب وهي كثيرة ، منها خطيه في أيام الجمع والأعياد ومواسم الحج ، ومنها أحاديثه للقادة والعال والقضاة بصرف النظر عن الرسائل التي يبعث بها إلى كل واحد من هؤلاه. أما الشعر فلم يجد له صدراً رحباً عند عمر ، ويظهر أنه لم يعتمد عليه كثيراً ولا قليلا في الدعاية السياسية التي انتهجها، وهي السياسة للي بنيت على العدل وعلى الحق، وقل أن تحتاج مثل هذه السياسة إلى وسيلة من وسائل الدعاية، وذلك لأنها سياسة تعلن عن نفسها بنفسها وتحمي نفسها من وسائل الدعاية، وذلك لأنها سياسة تعلن عن نفسها بنفسها وتحمي نفسها

بنفسها ، وتستطيع أن تتغلب يقولها على كل سياسة غير ها لا يكون لها من الحق ومن العدل كل هذا القدر الذي اشتملت عليه سياسة عمر .

يقول الأستاذ العقاد في كتابه (عبقرية عمر) :

وإذا أحصيت له في سيرته الطويلة أوامر تحسيرم الذميين وبعض المحريات أو بعض المحقوق فسكن على يقين أنه قد صدر في ذلك جميعه عن حسكمة توجها سياسة الدولة ، ويقرها العقل والعرف . كما يقرها الدين والكتاب . ولم يصدر قط عن مقصود ، أو عن رغبة في حرمان الدين حرية يستحقونها ، أو حقاً هم أحرار فيه » .

فأما نهيه عن تشبه الذميين بالمسلمين ، أو كراهته أن يبدلوا أزياءهم التي ولدوا عليها فلا يلام عليه حيى نعلم لم كان أناس من الدميين يودون التشبه بالمسلمين في الزى والشارة . أكانوا يتشبهون بهم حباً لديهم فهم إذن مسلمون لا يمنعهم مانع أن يجهروا بالاسلام ؟ أم يتشبهون بالمسلمين كيداً لم ورغبة في التسلل بيهم والإفلات من عهودهم ، ومخاصة في الزمن الذي كان المسلمون فيه جميعاً في حسكم الجنود وما من دولة ترضى أن تبيح أزياء جنودها لمن نشاء .

وأما إخراج بعض الذميين من الجزيرة العربية فما خرج أحد إلا وقد غدر بذمته وكرر الغدر مرة بعد المرة. كما صنع أهل خيبر، ومنهم من أجلى عن الجزيرة لأنه طلب الجلاء فضلا عن نقضه للعهد. كما فعل أهل نجران عندما تعاهدوا على منع سرية ثم عادوا إليه.

ولمسا قال له النجار من أهل (منبج) .

دعنا ندخل أرضك وتعشرنا (أى ندفع لك العشور) شاور أصحاب. النهى فأشاروا عليه بقبولهم فدعاهم إليه ،

وهذه الأخبار التي رويت في سيرة عمر تدلنا على أشياء كثيرة من أهمها في نظرنا أن عمر كانت له حاسة إعلامية دقيقة . وأنه صدر عن هذه هذه الحاسة في كثير من أفعاله وآرائه .

(م 10 -الإعلام في صدر الإسلام)،

وهما يدلنا على هذه الحاسة كذلك أن عمر سأل ابنته يوما وقال لها: كم تتحملين أن يغيب عنك زوجك فى الحرب ؟ فخجلت ابنته خمجلا شديداً ووجدت حرجاً كبيراً فى الإجابة عن سؤاله . فألح عليها عمر وبهرها وحدرها أن تسكت عن الإجابة . فقالت ابنته فى حياء شديد: ثلاثة شهور ، ثم اختفت من حضرته .

إذ ذاك أصدر عمر أمره إلى أمراء الجيوش بألا يتغيب أحد من جنود المسلمين عن بيته أكثر من هذه المدة .

هـــكذا أجرى عمر نوعا من استقصاء الرى أو استطلاعه بطريقة سليمة قبل أن يصدر أمره للجند .

والغريب أن هذه الطريقة البسيطة أخذت تتطور فيا بعد شيئاً فهيئاً سعى أصبحت طريقة معقدة . وهي الطريقة المتبعة في وقتنا هذا لقياس الرأى العام في كل من أمريكا وأوربا . كما نرى ذلك في معهد (جالوب) الأمريكي، ومعهد (قياس الرأى العام) الفرنسي، والمعروف أن العلاقات العامة تقوم على شقين في وقت معاً، أولها: الرأى العام ، وثانيهما: الإعلام ،

وقد رأينا في فصل من فصول الباب الأول من أبواب هذا الكتاب بعنوان (العلاقات الإنسانية) كيف أن المسلمين منذ عهد الرسول كانوا يمدركونها إدراكا سليما من الناحية الإعلامية الخاصة ، وكيف أنهم أفادوا منها فائدة جليلة في نشر الدعوة الإسلامية من جهة ، وفي سياسة الأمة الإسلامية من جهة أخرى .

لقد كان يسع عمر أن يسأل عدداً كبيراً من الجنود وزوجات الجنود سؤالا مثل هذا، ولكنه بدأ بأهل بيته أولا، واستغنى بذلك عن سؤال الجنود أو زوجات الجنود خارج بيته وأسرته بعد ذلك ، وكأنه مهذه الطريقة سار على أحدث ما وصلى إليه علماء العلاقات الإنسانية حين قالوا : إن هذه العلاقات إنما تبدأ من الداخل ثم تتعداه إلى خارج بعد ذلك ،

مرة أخرى أحيل القارىء إلى الفصــل الخاص بالعلاقات الإنسانية ليستذكر بعض الحقائق التي استعدنا الإشارة إليها في الحديث عن عمر ،

الفصل لثالث الدعاية والإعلام في مهد الخليفة الثالث عشمان بن عصان

اقترن عهد عبان بن عفان عاسمى فى التاريخ الاسلامى «بالفتنة الكبرى» وهى الفتنة التي انتهت بقتله ، ومن غير المعقول أن تحدث هذه الفتنة دون أن يكون وراءهاشىء كثير من الدعايات التي دبرت ضدهذا الرجل الذى كان هدفاً لهذه الفتنة ، وهو الخليفة الثالث عبان بن عفان رضى الدعنه ،

وكان إلى جانب هذه الدعايات السيئة التي انتهت بهذه المسألة جهود إعلامية وليست دعائية _وذلك على النحو الذي كان عليه الاعلام في أيام النبي عَلَيْنِيْ وأيام الشيخين أبي بكر وعمر ، وكان القصد الأول والأخير من هذه الجهود الإعلامية في أيام عنمان هو انتشار الإسلام وصيانته من كيد أعدائه في الداخل والخارج .

وننظر فى أمر الدعاية والإعلام فى زمن عيان فنلاحظ أولا أننالم لكد نشير إلى لفظ لا الدعاية ، فى أيام النبى على وصاحبيه أبى بكر وعمر ، وذلك باستثناء الدعاية التى مارسها رسول الله يَرْائِيْنِ فى الغزوات وكانت تطبيقا للقاعدة التى تقول :

« الحرب خدعة » .

ذلك أن الأمر في عهد الرسول كان أمر « دعوة » دعا فيها الرسول إلى دين جديد ، وفي أيام الشيخين أبي بكر وعمر لم يكن هناك دعوة بجديدة يدعوان بها ، فقد فرغ النبي برائح من أمرها ، ولسكن كان هناك شيء آخر ، هو المحافظة على هذا الدين الجديد ، والعمل على نشره في نطاق واسع .

فلما كان عهد عثمان حدثت أحداث غيرت وجه الإعلام، وفتحت الطريق

لنوع آخر من أنواع الانصال والتأثير في الناس ، هو الدعاية ، وربما كان من أسباب ذلك أمر ان خطير ان يتداخل بعضهما في بعض تداخلا قوياً :

أولهما ــ أن نظرة عُمَان إلى الخلافة أو السلطان كانت تخالف نظرة الشيخن بعض المخالفة أو كل المخالفة .

ثانیهما ــ أن سیرة عنمان فی الحلافة كانت مغایرة بسبب ذلك لسیرة مساحبیه أبی بكر وعمر .

صورة السلطان في رأى عنَّان

كان عيان يرى أن للإمام الحق كل الحق في أن يتصرف في بيت المال حسيا تؤدى إليه المصلحة في نظره ، وما دام هو منقطعاً لعمل واحد سعو الحلافة للحق أهل بيته وذوى هو الحلافة للحق أهل بيته وذوى قرابته . لا يترك منهم أحداً . وزاد عيان على ذلك فرأى أن المسلمين ليس لهم الحق في مراجعته فضلا عن مؤاخذته ، ولم تسكن العخلافة عنده تكليفاً من المسلمين . ولسكن كانت تكليفاً من الله تعالى ، ولذلك قال لمن أرادوا أن علموه :

ه ما كنت لأخلع قبيصاً هو من صنعة الله عز وجل ه .

فأين هذا من أبي بكر ، فقد قيل فيه أنه حين ولى المخلافة خرج إلى السوق في صبيحة اليوم التالى ومعه بعض الاقسشة ، فلقيه شمر بن المخطاب في الطريق وقال له : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ قال : إلى السوق ، قال عمر : ولماذا ؟ قال: لأحصل على رزق عيالى . فأخذه عمر من يده إلى بيت المال وقال لصاحبه : دير للمخليفة من المال ما يغنيه عن التجارة حتى يفرغ للمخلافة . ومنذ يومئذ أخذ أبو بكر من بيت المال ما بكفيه ويكنى . زوجته فقط، ولم ينظر إلى أبعد من ذلك ،

أما عبَّان فسكان يتصور السلطان بصورة أخرى غير الصورة التي تتصورها عمر، تدلنا علمها الرواية التالية :

« روىأن ملكة الروم أهدت أم كلثوم زوجة عمر بن المخطاب عقداً

من جوهر ، وكانت أم كلئوم أهدت إليها شيئاً من طرائف بلاد العرب. فوقع العقد في يد عمر في الوقت الذي أقبل به البريد من بلاد الروم . فلم يشأ عمر أن يؤديه إلى زوجته حتى أمر فنودى في الناس : الصلاة جامعة ، العملاة جامعة ، فلما اجتمع إليه المسلمون شاورهم في أمر العقد . فكلهم أشار عليه بأن يؤديه إلى أم كلئوم لأنه ملكها . ولسكن عمر تحرج من أشار عليه بأن يؤديه إلى أم كلئوم لأنه ملكها . ولسكن عمر تحرج من ذاك لأنه حمل إليها في بريد المسلمين . وأمر برده إلى بيت المال . ورد إلى زوجته ما أنفقت في هديتها إلى ملكة الروم » .

فأين هذا مما كان يفعله عنمان حين كان يدفع إلى أهله بجواهر من بيت المال ، وحين أعطى كل بنت من بناته الثلاث أو الأربع ألف دينار فور زواجها من أحد فتيان قريش .

إن الذى لاريب فيه أن عَبَّانَ كان يفعل كل ذلك عن حسن نية . وكان بصدد ذلك من تصوره للسلطان جذه الصورة التي. تخالف ما عند أبى بكروعمر. ومن أجل ذلك كان يقول في عمر :

ان عمركان نحرم قرابته احتسابا فله . وأنا أعطى قرابتى احتسابا فله.
 وأين لنا ممثل عمر؟ ٦ .

ولذلك أعطى مروان بن الحكم وحده خمس الغنيمة التي غنمها المسلمون في أفريقيا لأنه أحد أقاربه . وأعطى عبد الله بن خالد الأموى للمائة ألف . وأعطى كل واحد من الوافدين عبد الله بن خالد مائة ألفا وأعطى الزبير بن العوام سهائة ألف . وابخ مع عبد الله بن خالد مائة ألفا وأعطى الزبير بن العوام سهائة ألف . المخ والحل جانب هذا كله كان عثمان يؤثر أقرباءه بولاية الأمصار ، ويفضلهم على كثيرين من صحابة رسول الله على . وأغضب بذلك عامة المسلمين . كما غضب لذلك الصحابة أنفسهم .

وتحدث الناس في جميع هذه الأمور حديث السر تارة ، وحديث الجهر تارة ، وحديث الجهر تارة ، فكانت حركة الهمس في ذاتها من أكبر العوامل التي أدت إلى الفتنة . كل ذلك مع أن سيرة الشيخين برثت من مثل هذه الحركة المخطيرة.

وفى ذلك بقول الدكتور طه حسين فى كتابه « الفتنة المكبرى » (١) :

« لولا شيء من التحفظ والاحتياط لقلت إن المسئول الأول والأخير
عما تعرض له عمّان وأصحابه من الخطر إنما هو هذه العبقرية الفذة التي أتبحث لعمر ، ولم تتح لأحد من أصحابه ومنهم عمّان » .

خلافة عيَّان من الزاوية الإعلامية

مهما يكن من شيء فإننا ننظر إلى خلافة عبان من زاوية الإعلام فيتبين لنا أنها اقترنت محركات منها :

أولا ــ الحركة الانتخابية التي انتهت بانتخابه خليفة بعد عمر . ثانياً ــ حركة الفتوح وهي استمرار الحركات التي سبقتها .

ثالثاً ... الحركة التي ظهرت في إيثاره الأقرباء بمناصب الولاية على الأمصار .

ونحن مضطرون إلى الوقوف عندكل حركة من هذه الحركات الثلاث قبل أن نخوض في المحديث عن الفتنة نفسها وعن الدعايات الى مهدت. لظهورها ،

الحركة الانتخابية

تمت هذه الحركة عن طريق الانتخاب في أضيق صوره، لأنه انتخاب. مقصور على 8 أهل الحل والعقد » .

غير أن هذه الحركة الانتخابية فى ذاتها كان لها وجه إعلامى ظهر فى تزويد المسلمين بصورة عن الدين الذى جاء به الرسول والله ، وهو الدين الذى دعا إلى الشورى ، كما زودهم بصورة صحيحة للحكم الإسلامى ، كيف يكون ، وصورة صحيحة عن الإمامة فيمن تكون .

من أجل ذلك بدأت الحركة الانتخابية بعد وفاة عمر باجتماع الصحابة. من أهل الحل والعقد . ونقدم أحدهم - وهو هنا عبد الرحمن بن عوف ونادى علياً رضى الله عنه وقبض على بدبه وقال له :

⁽۱) طه حسين د الفعنة الكيرى ص ۲۱۸ .

هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال على : الله لا ، ولدكني أحاول من ذلك جهدى وطاقتي : فأرسل يده ، وقال : هلم إلى ياعثمان .وألقي عليه نفس السؤال . فقال عثمان : نعم . فقال عبد الرحمن بنعوف: اللهم اشهد ، اللهم اشهد ،

هما لاشك فيه أن إجابة على بن آبى طالب عن سؤال عبد الرحمن ابن عوف كانت أدنى إلى الدقة وأقرب إلى التقوى من إجابة عنان ، ولحكن عثمان أفاد من هذه الإجابة التى أجاب بها على ، وبادر إلى الرد بصورة الإبجاب على سؤال عبد الرحمن بن عوف ، وهكذا شاءت إرادة الله أن تصير الخلافة إلى عثمان في ذلك الوقت . قاذا فعل الخليفة الثالث رضى الله عنه ؟

حسكم عيان

بدأ عثمان حكمه بداية طيبة ، وسلك فى ذلك طريقة إعلانية ناجحة ، فقد أخذ يكتب الرسائل إلى العمال فى الأمصار ، وجاء فى بعض هذه الرسائل ما يلى :

أما بعد : فإنكم بلغم مابلغم بالاقتداء والاتباع ، فلاتلفتنكم الدنيا عن أمركم . فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم سن الشباب، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ؛ وأن رسول الله من قال : الكفر في العجم ، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا .

وعثمان فى هذه الرسالة التى بعث بها إلى أحد أمراء الأقاليم صورة من صاحبيه أبى بكر وعمر ، وذلك فى المحافظة على سنة رسول الله والله باعتبارها ركيزة من ركائز الإعلام وقاعدة من قواعده ، ولا محل للرببة فى شيء من ذلك ، لقد صرح عبان فى هذه الرسالة بأنه من أنصار الاتباع . وليس من أنصار الابتاع ، وليس من أنصار الابتداع ، وأن هذا الابتداع سيكون على يد جيل من الناس اللين

هم أولاد السبايا ، وهؤلاء الناس النبين امترجت دماؤهم العربية بدماء غير العربية هم الذين سيدخلون في الدين ماليس فيه ،

وهكذا جاء هذا الكتاب الذي كتبه عنمان لبعض الأمراء تصويرا دقيقا لجميع المحن التي نعرض لها المسلمون بعد الفتح ، ومنها محنة البطر عند تكامل النعم ، ومحنة انحراف الشباب أو الجيل الجديد الذي هو من سبايا الفتح ، ومنها المحنة الكبرى التي هي عجز الجيل الجديد من أولاد السباياعن. فهم نصوص القرآن على الوجه الأكمل .

الفتوح فى عهد عثمان

فى أيام عنمان تم فتح بلاد فارس ، ومات ملكهم يز دجر دوهو آخر ملوكهم ، ووصلت الفتوح الإسلامية إلى بلاد الترك ، وتم فتح أرمينيا وفتحت أفريقيا ، وأغار العرب على بلاد الأندلس ، وغزا المسلمون بلاد الروم، من جهة البحر ، وفتحوا قبرص ، ووصل المسلمون إلى مضيق قسطنطين ، وانتصروا على الروم في واقعة (ذات الصوارى) .

ومرة أخرى نقول إن هذه الفتوحة تكن للغلبة والسلطان ، وإنما كانت. لنشر الدين والهداية .

وهنا جاز لرجل الإعلام أن ينظر إلى هذه الفتوح على أنها استمرار في ممارسة الوسائل الإعلامية التي هيأها الله لرسوله وليتيالي . ومنها وسيلة الغزو أو الفتح .

ومن أجل ذلك كثر أعداء الإسلام بقدر ماكثر أتباعه وأنصاره، وبذل الحلفاء الراشدون جهوداً كبيرة في حاية الدين من أولئك الأعداء .

غير أن هذه الفتوح كان من أهم نتائجها في الواقع أنها فتحت على المسلمين أبواب الغنى والبروة، ووقع في أيديهم كثير من الغنائم. وكان عان يتصرف في هذه الغنائم بطريقة لاترضى الصحابة ، وقد كان يؤثر بها حكما قلنات ذوى القربي، وبحرم منها كل من ليست لديه صلة أو قرابة ، وكان ذلك يثير في نفوس الكثيرين شيئاغير قليل من مشاعر الحقد والحفيظة،

تولية عيَّان أقرباءه على الأمصار

وهى الحركة الثانية التى أخذت عليه ، وعدها التاريخ من عيوبه ... نعم كان من أخطاء عبان في خلافته أنه آثر أقرباءه من بنى أمية بالولاية على الأمصار، وفيها أى فى تلك الأمصار كان يعيش بعض الصحابة فقد سمح لهم عبان بالسفر إلى تلك الأمصار مخالفاً بللك تلك السياسة التى سار عليها عمر ، وهى السياسة التى قامت على احتجاز الصحابة فى المدينة حتى لايفتين الناس بهم ، أو يفتتنوا بأنفسهم، وحتى لايحدثوا لانفسهم فى تلك الافتين الناس بهم ، أو يفتتنوا بأنفسهم عن الدين أو قالت من هيبهم فى نفوس الاقالم ثروات ضحمة رعا صرفهم عن الدين أو قالت من هيبهم فى نفوس المسلمين الصالحين، وهذا ماحدث بالفعل فى عهد عبان ، وبسبه أصبحت الأقالم مهيأة الفتنة، فما كان أبعد نظر عمر بن الحطاب حين عامل هذه الأرستقر اطية الجديدة التى تألفت من كبار الصحابة عمل هذه المعاملة التى وقهم شر الأقالم . فلما ذهبوا إليها فى زمن عبان جرفهم إلى الفتنة ، وذلك وقهم شر الأقالم . فلما ذهبوا إليها فى زمن عبان جرفهم إلى الفتنة ، وذلك عما أناحت لهم من الفراغ والثروة ، وأوصلهم إلى المناصب العليا فى الدولة وطبعهم بأخلاق غير التى كانوا عامها قبل الوصول إلى كل ذلك .

مهما يكن من أمر فقد أبنى عثمان فى السنة الأولى من خلافته على عمال الأقاليم كما تركهم عمر ، ومنذ السنة الثانية أخذ يعزل ويولى من جديد .

فأما الكوفة :

فقد ولى عابها واليين من أوليائه وأقربائه وهما الوليد بن عقبة وسعيد ابنالهاص ، عرف أولهما برقة دينه وكان يشرب الحمر حتى أقيم عليه الحد، وما زال أهل الكوفة بهذا الأمير وصاحبه سعيد بن العاص حتى طرد وهما وأجروا عمّان على قبول ذلك .

ومنذ يومئذ أطلت الفتنة برأسها على الناس وجذبتهم إليها ،

وأما فى الشام :

فقد ولى أمرها معاوية بن أبي سفيان قبل مجيء عيَّان ، ثم أنى عيَّان فثبته في وضعه لأنه من ذوى قرابته، ولذا طالت مدة معاوية بهذه البلاد، وأصبح أشبه بملك عليها ، وكان العمال من حوله يعزلون بين الحين والحين وهو باق في الشام لايزول عنها ، ولم يكتف عيان بذلك حتى أضاف إلى معاوية ولايات أخرى ، وهي الأردن وفلسطين وحمص ، ولذلك كان عيان يبعث إلى الشام بأكثر المتمردين عليه ليعاقبهم معاوية ويؤدمهم بطريقته ، وبعد وفاة عيان جرؤ معاوية بن أبي سفيان فاقتطع من الدولة بلاد مصر فالحجاز حتى نظر على بن أبي طالب فإذا معاوية قد استأثر من الأمصار الإسلامية بأجودها وأحسها .

وأما في مصر :

فقد أرسل عمر بن المخطاب واليا عليها هو (عمرو بن العاص) ، ولمسا انقضى عام على خلافة عبان ولى عليها أخساه فى الرضاع (عبد الله بن أبى السرح) وأذن له فغزا شمال أفريقية ، وأعطاه الحمس من غنائمها . فعل عبان كل ذلك برغم ما أشيع عن ابن أبى السرح قبل إسلامه من أنه سخر من القرآن وقال سأنزل مثل ما أنزل الله ، حتى لقد أهدر النبي بالله دمه يوم الفتح لولا أن جاء به عبان مسلما بين يدى الرسول عصم الرسول دمه .

وأمام كلهذه الشائعات حول ابن أبي السرح ، وهذه السيرة التي كان عليها ، وأمام حديث الناس في كل هذه ، وأمام الماضي اللي عرف لهذا الوالي اضطر عبان إلى عزله ، وولى مكانه محمد بن أبي بكر ، وفي عهد هذا الأخير خرج الثائرون من مصر ، واجتمع إليهم غيرهم من أهل الأقاليم الأخيرى ، وانتهى الأمر بقتل الخليفة .

قوة المعارضة :

أنكر الكثرون من أهل الأمصار على عمّان كل هذه النصرفات ، كما اعترض طلبه كبار الصحابة في داخل المدينة ، ومنهم الخمسة الذبن الحتاروه للخلافة بعهد من عمر قبل وفاته وكلهم من السابقين الأولين ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن

عبيد الله ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وكان عبان قد أعطى هذا الأخير ولاية بيت المسال في الكوفة ، وذلك حين كان سعد ابن أبي وقاص واليا عليها، ثم عزل سعداً وولي مكانه الوليد بن عقبة كما سبق القول في ذلك ، فاقترض الوليد شيئاً من بيت المال فأقرضه ابن مسعود ماأراد من بيت المال ، ولمساحان موعد السداد طالبه ابن مسعود بالمسال فالتوى الوليد . فألح عليه ابن مسعود . فشكا الوليد إلى عبان . فكتب عبان فالتوى الوليد . فألح عليه ابن مسعود . فشكا الوليد إلى عبان . فكتب عبان عبان مسعود يقول له : إنما أنت خازن لنا ، فلا تعرض الوليد فيا أخذ من بيت المال ،

فغضب ابن مسعود وألنَّى مفاتيح بيت المال ولزم بيته .

منذ ذلك الوقت أخذت المعارضة من جانب ابن مسعود تشتد شيئاً فشيئاً وازدادت الحصومة بينه وبين الخليفة ، وتطور الحديث بينهما حتى اضطر عبان في ذات يوم إلى إخراج ابن مسعود من المسجد إخراجا شنيعاً ، ودقت صاعته ... وأقبل على بن أبى طالب على عبان فلامه لوماً شديداً على ذلك ، ثم تولى على أمر ابن مسعود وأخذ يعنى به حتى حملوه إلى منزله .

ولم يقف عنّان عند هذا الحد حتى قطع عطاء ابن مسعود ، وحدد إقامته بالمدينة ، ثم أمر به فانتقل إلى الكوفة ، وانتقلت معه هذه الحركة أو الثورة التي كان محورا لها بالمدينة ،

وكان من المعارضين لعثمان في سياسته كذلك رجل آخر من الصحابة هو أبو ذر الغفاري .

نظر أبو ذر فإذا عنمان قد خص مروان بن الحكم من أقربائه كالملك بأموال كثيرة وأعطى زياء بن ثابت مائة ألف ، وأعطى زياء بن ثابت مائة ألف ، ونهاه عنمان عن كل مائة ألف ، ونهاه عنمان عن كل ذلك على الخليفة ، ونهاه عنمان عن كل ذلك فقال :

ه لأن أرضى الله بسخط عنمان أحب إلى من أن أرضى عنمان بسخط الله

ثم نفاه عبّان من المدينة إلى الشام فانتقل بحركته أو سخطه إلىالشام، وجعل يقول فيه ماكان يقوله فى المدينة ، وزاد على ذلك أنه أخل ينكر على معاوية بعض ماأنكره على عبّان، وأنكر على معاوية قوله (مال الله) وقال مكانها (مال المسلمين)، فنفاه معاوية إلى المدينة ، واستمر أبو ذر فى سخطه وطعنه على عبّان لأنه أطلق بده فى مال المسلمين، فنفاه مرة أخرى إلى (الربدة) حتى مات بها .

تلك صورة موجزة لمساكانت عليه المعارضة في أيام عثمان ابن عفان .

ثار كبار الصحابة في داخل المدينة ، وأما في الأمصار فقد كان الأمر على أشد من ذلك وحسبنا هنا أن نشير كذلك إل رجلين فقط من أولئك الثوار .

أولهما : محمد بن أبي حذيفة ، والثانى : محمد بن أبي بكر . وكان الأول ابناً لرجل من السابقين الأولين أسلم قبل أن يذهب النبي إلى (دار الأرقم) واجتمع هناك بعدد قليل جداً من المسلمين وذلك في أثناء المرحلة السرية من مراحل الدعوة .

وأما الثاني فهو محمد بن أبي بكر الصديق، أخوالسيدة عائشة أم المؤمنين.

والذى يرجحه المؤرخون أن كلا من هذين الرجلين كان يطمع فى الولاية، لما له من عظيم المئزلة ورفيع المكانة . فلما لم يبلغ ما أراد ذهب إلى مصر ، وقام بالدعاية ضد عنمان ، وكان الجو ملائماً لهذه الدعاية .

ولما عاد عبدالله بن أبى السرح من موقعة (ذات الصوارى) التى انتصر فيها على الروم وجد محمد بن أبى حذيفة يثير الفتنة بين المصريين ويقول لهم :

إنكم تسعون إلى الجهاد ... والجهاد وراءكم بالمدينة حيث يقيم عنمان ويسوس الأمة على غير كتاب الله وسنة رسوله ، وسنة صاحبيه : يعزل أصحاب النبي عن العمل، ويولى أمور المسلمين جماعة من الفساق وأصحاب

المجون ، انظروا إلى والبكم وقائدكم إلى الجهاد (يريد ابن أبي السرح) إنه رجل نزل القرآن بكفره وأهدر النبي دمه. ولكن عيمان يوليه أمركم لأنه أخوه في الرضاع ، انظروا إلى سيرته فيكم : أترونه يهتدى فيها بهدى النبي وصاحبيه ؟ أترونه لا يغير ولا يبدل ، ولا يكلف كم من أموالكم وأهمال كم مالا تطيقونه ؟

وكان ابن أبى حذيفة يذيع مثل هسده الدعايات الحطيرة فى الجيش وكان محمد بن أبى بكر إيذيع مثل هذه الدعايات فى الرعية . واشترك الرجلان فى توجيه النقد واللوم بكل هذا العنف إلى معاوية بالشام وإلى عثمان بالمدينة .

ويقال إن عَمَان أخذ يترضى هذين المحمدين بالمال ، ولكن أحدهما لم يرض بذلك بحال من الأحوال ، بل إن محمد بن أبي حذيفة أخذ الكسوة الى بعث إليه بها عمّان في مصر وذهب بهذه الكسوة إلى المسجد ، وقال مخاطب الحاضرين من المسلمين :

انظروا إلى عبان كيف يريد أن يخدعنى عن ديني بهذه الكسوة! ا وإلى هذا الحد بلغت الدعاية ضدعهان. وكان القائمون بها من خبرة الصحابة وأبناء الصحابة. مع أن الأمور التي أخذت على عمان كانت مما عكن وقوعه من أي خليفة عدا الشيخين أبا بكر وعمر.

> ترى ما الذى أوقع عثمان فى كل هذا الحرج ؟ وما الذى أثار على عثمان كل هذا السخط ؟

إن الذي أوقع عيمان في كل ذلك شيء واحد فقط، هو محالفته للسياسة الإسلامية التي كسان ينبغي أن تسير عليها سياسة الحلفاء الراشدين الذين عاشروا النبي بأنفسهم ، ورأوه بأعينهم ، وسمعوه بآذانهم ، واشتركوا معه بآرائهم وأموالهم وجهودهم . وعلى هذه السياسة الإسلامية الرشيدة سوهي سياسة الاتباع للرسول سسار أبو بسكر وسار عمر ، ولكن هذه السياسة إتغيرت على يد عيمان . وحدث هذا التغير المفاجيء وكثيرون من السياسة إعلى قيد الحياة ، وأبناء الصحابة كلهم من الشباب المتحمس الصحابة إعلى قيد الحياة ، وأبناء الصحابة كلهم من الشباب المتحمس

للعقيدة وللكتاب والسنة كما تركهما الرسول. فلم يكن من السهل على هذا الرعيلالأول من صحابة النبي برائج وأبنائهم أن يسمحوا بهذه الأمور التي حدثت من عبان. ولو وقعت هذه الأمور وأكسبر منها بعد انقضاء عهد المخلفاء الراشدين لكانت مقبولة إلى حد ما. ولذلك وقع في المخلافة الأموية فالمخلافة العباسية من عظائم الأمور ما يشيب لها الولدان: وكان الرعيل الأول من الصحابة وأبنائهم قد انقضى ، وخلف من بعسدهم خلف حادوا عن السياسة الإعلاميسة الرشيدة التي سار علها أبو بكر وعمر.

(والخلاصة) أن المسئول عن وقوع الفتنة الكبرى التي انتهت بهذه المأساة الكبرى ، وهي قتل عبّان أمران :

أولهما: تشدد أبي بسكر وعمر في اتباع سنة رسول الله رعاية منهما للإسلام وحرصا منهما على رضاء الله ورسوله. وبهذا التشدد في اتباع رسول الله ظهر الفرق واضحاً جلياً بين سيرة الشيخين من جهة وسيرة عنمان من جهة ثانية . وعدر عنمان في ذلك أنه كان يفهم للعدل صورة غير الصورة التي كان يفهمها صاحباه، ومعنى ذلك أن عنمان لم يصدر في عمل من أعاله عن معصية لله والرسول، أو عن تنفيذ لسياسة الابتداع بدل الاتباع . ولكنه صدر في كل ذلك عن هذه الصورة التي تكونت في ذهنه .

ثانيهما: مخالفة عبان للسياسة الإعلامية التي كان عليه أن يرعاها بغاية اللهقة ويتوخاها بغاية المتحرج. وأكبر الظن عندى أنه كان في وسع عبان أن يفعل ذلك لولا أنه وقع تحت تأثير أقاربه من بني أميسة وغيرهم. وبنو أمية جدهم أبو سفيان ، وهو من قريش أسلم على يد النبي علية قبيل الفتح، ودخل النبي علية عليه وعلى قومه الكعبة فقال لهم : ما تظنون أنى أفاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . وليس الطلقاء في الإسلام كالأحرار اللين أسلموا قبل الفتح من تلقاء أنفسهم لاتحت ضغط من السيف أو الرمح .

الفص*ال لرابع* الدعاية والإعلام في عهدعلي

لايسع المؤرخ الإعلامى عندما يتكلم عن الإمام على إلا أن يشير إلى الشخصية التى انفرد بها بين الصحابة ، ولا نبالغ إذا قلمنا عن الإمام أنه كان أكبر شخصية عرفها الإسلام وذلك بعد رسول الإسلام . وماكان الحلقه أن يكون أول خليفة لرسول الله لولا أن حالت دون ذلك أمور كثيرة . كل أمر منها له اعتباره ومنها :

أولا: حداثة سنه عند وفاة النبي تلقيق ووجود الشيوخ من الصحابة السكبار من أمثال أبي بكر وعمر وغيرهما . فقد كان على عند وفاة النبي المنتقبة فني لم يتجاوز الثلاثين ، وكان أبو بكر وعمان قد صحبوا النبي بنجع عشرة سنة وهم شيوخ قبل ظهور على بن أبي طالب على مسرح الحياة العامة .

ثانياً: وهو الأهم - قرابة على للنبي تَلِيَّقِينَ . وقد كانت هذه القرابة حجاباً له دون الوصول إلى الخلافة. وخاصة عقب النبي تَلِيَّةِ نفسه مباشرة . ذلك أن القبائل العربية - ومنها قريش - أبت ألا مجتمع لآل هاشم مبرائان كبيران في وقت واحد ، وهما ميراث النبوة وميراث الخلافة . وأهم من هذا وذاك أن الإسلام نفسه لا يقر العصبية بل يقوم على أساس المساواة بين الناس ، وفي ذلك يقول عمر :

« إن قريشاً قد اختارت لنفسها وأبت أن تجمع لبني هاشم بين النبوة والحلافة » .

ثالثاً : أن على بن أبى طالب قتل من بنى أمية عددا كبيرا فى غزوة بدر ، فحقد عليه بنوأمية منذ ذلك الوقت. وظل هذا الحقد فى صدورهم حتى بعد أن دخلوا الإسلام . وفى ذلك يقول على :

الله ولقريش أما والله لقد قتلتهم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين ،
 ووالله لأضربن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ،

موقف على من الفتنة

الله شخصية على، وتلك هي بعض الظروف التي كانت عقبة في سبيل وصوله إلى الحلافة قبل كل من أبي بكر وعمر وعمّان . على أن التاريخ الإسلامي لايكاد يعرف ظروفا أفظع ولا أسوأ من الظروف التي بويع فيها على ، ويكنى أن نذكر من تلك الظروف أنه بويع بعد المأساة الأليمة التي قتل فيها عشمان بن عفان في أعقاب الفتنة الكبرى التي انتهت بقتله ، وأكثر من ذلك أن على بن أبي طالب بويع بالحلافة وهو متهم بدم عشمان رغم الجهود التي بذلها في المحافظة على حياته .

على أن هذه الظروف السيئة التي أحاطت بالبيعة تحتاج منا إلى هذه الإشارة الموجزة :

أولا: أن على بن أبى طالب توسط بين عثمان بن عفان والثوار ، واستمهلهم ثلاثة أيام يرد بعدها جميع المظالم فيعزل فيها العمال المكروهين من الرعية ، ويصلح الأمور التي من أجابها قامت الثورة .

ومرت الأيام الثلاثة ، ولم يقبل عثمان مشورة على بن أبي طالب في شيء من ذلك .

ثانياً : عسلم النوار بأن وساطة على لم تشمر وأن عثمان رفض أن يستجيب لمطالبهم ، فعادوا إلى الثورة من جديد ، وتهيئوا جميعا لقتل عثمان ، فعفرج على بن أبي طالب من بيتسه بعمامة الرسول علي ، ومتقلداً سيفه ، وأمامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من المهاجرين والانصار ، وحمل على وأصحابه على الثوار حتى أبعلوهم عن دار عثمان . ثم دخل الإمام على بيت عثمان ، فسلم عليه ، وحدثه حديثا طويلا جاء في أبهايته :

ولا أرى القوم إلا قاتليك . فرنا فلنقائلهم » فأبى الحليفة الطيب عثمان كل ذلك حقنا لدماء المسلمين . فأعاد عليه القول فى ذلك فأصر عثمان على موقفه .

ثم خرج على من عنده إلى المسجد وحضرت الصلاة فناداه جميع من في المسجد : « يا أبا الحسن . تقدم فصل بالناس » .

فقال على بن أبى طالب : « لا - لا أصلى بهم والإمام محصور » . وصلى على وحده فى ذلك اليوم .

ثالثاً: رجع على بن أبي طالب إلى منزله وترك ابنيه الحسن والحسين مع أبناء الصحابة في حراسة عثمان، وضاق الثوار بالانتظار على هذه الحال، وأخيرا تسوروا دار عثمان ووصلوا إليه وفعلوا فعلهم وتخلصوا من الرجل «

وسمع بذلك على فأسرع إلى بيث عثمان ولطم ابنيه لطمات قوية ، ووجه إلى أبناء الصحابة أقسى العبارات . فقال أحدهم ــ وهو طلحة : «لاتضرب ياعلى ولا تلعن . لو دافع مروان بن الحكم عن عثمان ما قتل عثمان ، ومروان هذا من أقرباء الحليفة المقتول .

معنى ذلك أن على بن أبي طالب كان بريثاً من دم عثمان ، لاشك في هذا ، وأنه لم يكن يقلر على تجنب هذه الكارثة وحماية عثمان من نتائجها معاوية بن أبي سفيان ، وأن الحطأ الأول والأخبر هو خطأ عثمان ، لأنه لم يشأ أن يستسع إلى نصائح الصحابة ، وفهم على ـ ولم يشأ أن يعمل بمشورة على بوجه خاص ، وذلك في اللحظات الأخيرة ، أو الساعات الحرجة التي سبقت وقوع الحادث ، وكان يطلب النجدة أو الغوث كلما اشتد هجوم الثوار على دار عثمان ، ومع ذلك لم يستجب له معاوية بن أبي سفيان مع أنه كان أقرب إلى عثمان من على بن أبي طالب ، ومع هذا و ذاك فقد كان معاوية بن أبي سفيان مع أنه كان أقرب إلى عثمان أول من الهم عاياً بدم عثمان كما ستأتى و ذاك فقد كان معاوية بن أبي طالب ، ومع هذا و ذاك فقد كان معاوية بن أبي طالب ، ومع هذا و ذاك فقد كان معاوية بن أبي سفيان أول من الهم عاياً بدم عثمان كما ستأتى و الم ذلك فيا بعد .

وكان الثوار من جانبهم ينظرون إلى على على أنه المسئول الأول عن الإصلاح من حيث هو ، وفى المؤتمر اللي عقده عثمان فحذا الإصلاح لم يكن على عضوا من أعضائه لأن عثمان توخى أن يكون أعضاء هذا المؤتمر من ذوى قرباه ، فحضر هذا المؤتمر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، وعلى رأسهم مروان بن الحكم ، وفى استطاعة القارىء أن يتكهن بالنتائج التي يتمخض عنها مثل هذا المؤتمر الذي يتألف من رجال كهؤلاء ليس فيهم رجل كعلى ابن أبي طالب أو رجل من كبار الصحابة ،

الثورة تبايع عثمان

بعد مقتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام بدون خليفة ، وألح الثوار على الإمام على في قبول الحلافة ، وهو جرب منهم ويبتعد عنهم ، ثم انجهوا إلى الزبير وعرضوا عليه الحلافة فهرب منهم ، ثم انجهوا إلى طلحة فهرب منهم ، ثم انجهوا إلى طلحة فهرب عبهم ، ثم انجهوا إلى عبد الله بن عمر فهرب منهم ، ثم قال بعضهم لبعض : لانستطيع أن نرجع إلى أمصارنا بعد قتل عشمان من غير أن نختار وليا الأمر مكانه ، فرجعوا إلى على بن أبي طالب ، وألح الأشتر النخعي عليه في قبول الحلافة ، وأخذ بيده فبايعه وبايعه الناس بعد ذلك ، وتقدم طلحة والزبير فبايعاه ، ثم صعد الإمام المنبر فبايعه من الناس من لم يكونوا قد بايعوه من قبل ، ولحدها أن تكون صاحبة الرأى في مبايعة على .

وسمع معاوية بن أبي سفيان بهذه البيعة فساءته أخبارها ، وتوقع الشر كل الشر من ورائبا ، وظهر في الإسلام لأول مرة في تاريخه خلافشديد بين نظامين مختلفين هما :

نظام الحلافة الدينية .

ونطام الملك اللمنبوى 🖟

الأول عثله على بن أبي طالب والثانى عثله معاوية ، وانقسم المسلمون لأول مرة فى التاريخ كذلك إلى أحزاب ثلاثة : حزب على ، وحزب معاوية ، وحزب خارج على الفريقين هو حزب الحوارج ،

حزبان متعارضان

غير أن الذي بعنينا من هذه الأحزاب الثلاثة حزبان فقط هما حزب على وحزب معاوية :

ا - أما حزب على فكان يتألف من جمهور القراء والفقهاء والنساك والحفاظ ، وكان هؤلاء وهؤلاء من أفراد الحزب يسخطون على ترف الأغنياء الذين أثروا في أيام عثمان منوراء المناصب الكبيرة التي وضعهم فها ، وكانوا كذلك ينكرون كل خلاف يقع بين المسلمين يؤدي إلى تفريق الكلمة ، وكانوا حافظين لحدود الله ولايرضون عن أولئك الذين لا هم لهم إلا هذه الدنيا ، وكانوا يكرهون الحرب إلا لنشر الدين ، وطالما عارضوا علياً نفسه في رغبته في الحرب ، وخاصة تلك التي أراد أن يشها على معاوية .

٢ ــ وأما حزب معاوية فكانوا طلاب دنيا ومان وجاه ، وكانوا يسمعون الحق كما يسمعون الباطل ، لأنهم لا يفرقون بيهما ، وكانوا لا يعرفون غير الطاعة العمياء لمعاوية بن أبي سفيان ، لا يجيزون إلاما أجازه ، ولا يميزون معه بين ناقة وجمل .

هَا أَبِعِدَ الْفَرِقَ بِينَ الْفَرِيقِينَ ﴿ فَرِيقَ عَلَى وَفَرِيقَ مَعَاوِيةً ﴿

لا كان أصحاب على - كما يقول الأستاذ عباس العقاد - أقرب الناس في ذلك الوقت إلى الإصغاء إلى صوت الضمير قبل صوت الأمير ، وكان أصحاب معاوية على العكس من ذلك » .

وقد شاء القدر أن يرث على من عثمان تركة مثقلة بالأخطاء التي ارتكما عثمان نتيجة السياسة الإعلامية التي انتهجها مخالفاً بها سياسة صاحبيه أبي بكر وعمر .

وهذا الحطأ الذي ارتكبه عنمان هو أنه لم محتجز كبار الصحابة بالحجاز ولم محتجم من الانطلاق في الأمصار ، ولم محل بينهم وبين الإقبال على الدنيا والانصراف إلى الجاه والسلطان ، وقد جني عنمان من وراء هسده السياسة أن كبار الصحابة كانوا حرباً عليه وعلى الحلافة ، من أجل ذلك كان أبو بكر قا رصى من مخلفه قائلا له:

وطمست أبصارهم وأحب كل امرىء نفسه ه . . . إلخ .

ومن أجل ذ ك كان أبو بكر يحذر رجلا كعبد الرحمن بن عوف من الدنيا ويقول له :

٥ . . . وريتم الدنيا قد أقبلت حتى تتخسلوا ستور الحرير ونضائد الديباج وحتى بألم أحدكم بالاضطجاع على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم إذا نام على حسان السعدان » .

وهذه الطبقة التي تحدث عنها أبوبكر وحدر منها الخلفاء من بعده هي الطبقة التي كانت مصدرالقلق والمتاعب الكثيرة للإمام على بن أبي طالب، على حين أن معاوية بن أبي سفيان كان رجاله وأتباعه خلاف ذلك . وكانوا في الوقت ذاته أطوع له من بنانه .

ولا ننسى أن أمية (جد الأمويين) هو اللي اختار الشام لنفسه مقاماً منذ الجاهلية ، وأنه وأولاده من بعده كانوا يتألفون الشاميين منذ ذلك الحين، فنشأ هؤلاء على حبهم وإيثارهم على غيرهم من المنتمين إلى قريش ، يضاف إلى ذلك أن تجارة الشام كانت للشام حيث يقيم بنو أمية ،

يعسب إلى دان المسام أيضاً ، وأما موارد الحجاز فلم تكن للحجاز ، وأن خراج الشام كان للشام أيضاً ، وأما موارد الحجاز فلم تكن للحجاز ، وكانت مصر والعراق من نصيب على ، ومع ذلك لم ينتفع على بهما في شيء ، وذلك لفساد الأمر فيهما بسبب الولاة والفتن التي أحدثها أولئك الولاة . أو دلك لفساد الأمر فيهما بسبب الولاة والفتن التي أحدثها أولئك الولاة . أو دلك لفساد الأمر فيهما بسبب الولاة والفتن التي أحدثها أولئك الولاة . أ

وبالمحتصارشديد دانت دل عوامل العاق والاضطراب في جانبعلى، وكانت كل عوامل الراحة والطمأنينة والطاعة في جانب معاوية ..وحسبك أن تستمع إلى على بن أبي طالب وهو يقول لأخيه.

من أجل فلك وجدنا على بن أبي طالب بقع عليه كل ذنوب عصره: وقعت عليه شكوى الناس من قريش .

ووقع عليه شعور الفقراء بالضيم مع أنه واحد منهم .

ووقع عليه نهافت الولاة على المال ، مع أنه شديد المحاسبة لمم .

ووقعت عليه مسئولية الدعوة إلى الإصلاح الذى دعا به الحفاظ والنسالة ومن إليهم . فحاذا يفعل على بن أبى طالب أمام هذه الظروف كلها ؟

وما حينته في الشعور بالتبرم والسخط من جميع الناس في عصره؟ وما عسى أن تكون سياسته الاعلامية في تلك الفترة التي انقسم فيها المسلمون قسمين أو حزبين ، حزب مع على ، وحزب مع معاوية ؟

الدعابة والإعلام في عهد على

رأينا كيف كان الفرق عظيما جداً بن على ومعاوية من حيث نظام الحكم عندهما ومن حيث الرعية التي كان محكمها كل واحد منهما، ومن حيث السنة التي اتبعاها ، ومن حيث البطانة التي كانت تحيط بكل منهما، ومن حيث الأخلاق والمبادىء التي أخلت بها كل بطانة على حدة، ومن حيث الموارد الماليه التي تملكها ، ثم من حيث الهدف الذي تهدف إليه آخر الأمر. وقد شرحنا كل هذه الفروق بإنجاز تام ، ونريد أن نعرف بعض الوسائل الاعلامية والدعائية التي تذرع بها كل واحد من هذين الفريقين .

ويمسكن أن نوجز القول في كلمة نذكرها أولاً ، ثم نقدم الأدلة عليها بعد ذلك .

وهذه الكلمة هي أن (الإعلام) كان رسيلة الإمام، أما (الدعاية) فكانت وسيلة معاوية .

وهكذا وجدنا طرق الدعاية تتسع أمام معاوية لأنه إنما يسمى إلى ملك

دنيوى . وأن طرق الإعلام تضيق أمام على لأنه إنما يتقلد أمر خلافة دينية قبل كل شيء .

ثم هكذا شاءت حكمة الله أن يكون للمحق طريق واحد لاثانى له ، وأمام الباطل طرق متعددة ، وأساليب منوعة ، ووسائل لاحصر لها . وقد أشرنا إلى بعض وسائل الدعاية عند معاوية ، ولم نذكرها كلها . لأننا إنما نتحدث عن الدعاية الأموية لمجرد مو ازنها بالإعلام العلوى ، أما هي وسائل هذا الإعلام ؟ .

. . الواقع أن الإمام لم يكن يملك من وسائل الإعلام غير وسيلتين هما :

١ ـــ وسيلة الحطبة .

٣ ـ ووسيلة الرسالة .

وكان يساعده على النجاح فى ممارسة هاتين الوسيلتين أمور كثيرة من أهمها :

١ ــ قوة شخصيته .

٢ ــ وحسن أخلاقه وجميل سيرته .

وقد كان فى هذه الصفة أشبه رجل برسول الله على وفضلا عن هذا وذاك كان الإمام مضرب المثل فى الفروسية العربية، ومااقترن بها من أخلاق ، وبكنى للتدليل على ذلك أن نسوق شاهدين :

١ ــ أن معاوية كان من خطته في الحروب التي دارت بينه وبين على
 ــ ومنها حرب صفين ــ أن يبدأ بامنلاك موارد الماء ، ومتى امتلك هذه
 الموارد منعها عن أصحاب على حتى يقتلهم الظمأ .

فعل معاوية ذلك مع أصحاب على ، فأشار عليه أصحابه أن يفاوض معاوية فى السلم ولسكن معاوية لم يقبل منه ذلك، فما كان من على وأصحابه إلا أن هاجموا معاوية وأصحابه حى امتلسكوا موارد الماء ، وإذ ذاك أشار أصحاب على بأن يمنع الإمام الماء عن أصحاب معاوية فأبى عليهم ذلك كل الإباء، وقال لأصحاب معاوية : خلوا من الماء ماشتم وارجعوا

إلى معسكركم ، ثم قال الإمام لأصحابه : خلوا عنهم فإن الله عز وجل قد تصركم عليهم بظلمهم وبغيهم » .

وهذا خلق من أخلاق الفروسية العربية الإسلامية كان خليثاً بعلى بن أبى طالب ولم يقدر عليه رجل كمعاوية بن أبى سفيان .

٢ --- والشاهد الثاني على أخلاق الفروسية عند على :

رأى على عمروبن العاص وهو ملتى على الأرض مكشوف السوءة محاول أن يدفع عن نفسه الموت بما حضره من وقاء ، فصرف على وجهة عن عمرو وهو فى هذه الحالة وأنف أن يصرع رجلا يخاف الموت بهذه الصورة التي لاترضاها كرامة الصراع فى أى درجة من درجاته ، ولو غير على رأى عدوه بهذه الحالة لانتهز الفرصة فقضى عليه وتخلص منه .

بقى أن نضرب المثل على نجاح الإمام فى ممارسة هاتين الوسيلتين من وسائل الإعلام ـــ وهما الحطب والرسائل .

خطب على

والمعروف أن كتاب نهج البلاغة يشتمل على كثير من خطب الإمام على ، وللنقاد والباحثين أن يشكوا في هذا الكتاب وفي نسبة المعطب التي يشتمل عليها إلى الإمام على ، وأن هذه القضية من قضايا الأدب لاتعنينا في هذا البحث ، ومما لا شك فيه أن قدراً كبيراً من المعطب عكن نسبته إليه ، وأن الباقى من هذه المحطب لابد أنه صيسغ على غرار المحطب التي صدرت من على ، وجرت على النمط البلاغي أو الأسلوب المحطابي الذي عرف به، ونحن نعلم أن الفرق عظيم بين الإعلام من جهة ، والدعاية من جهة ثانية .

فالإعلام لابد أن يبنى على الصدق ، وعلى الصدق وحده . ورجل الإعلام هو الذى يزود الناس بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة، هو الذى يفسر هذه المعلومات _ إن أراد _ ولكنه بحاول أن يؤثر في الناس بطريقة من الطرق حتى يفهموا هذه المعلومات بالطريقة التي أرادها رجل

الإعلام ، ولكنه يترك لهم الحرية التامة فى فهم هذه المعلومات وإدراكها بعد أن قدمها لهم وأعقب ذلك بشرحها وتفسيرها قدر المستطاع .

أما الدعاية فقد تبنى على الصدق وقد تبنى على الكذب ، وهى على الكذب اكسر اعتماداً فى أغلب الأحيان . والقصد من الدعاية هو استهواء الناس والتأثير فى نفوسهم وعقولهم لغرض مشكوك فيه ، ومع أن الدعاية لها هذا الطابع المخالف لعلابع الإعلام فإنها قوة كبيرة من القوى التى تستعليع أن تغير ميزان العالم فى جميسع الميادين السياسية والاجماعية والاقتصادية والعسكرية والأدبية والفنية على السواء ،

ومن أجل ذلك أثر عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان يقول: « الوصول إلى الحق بنبغي أن نخوض كشراً من الباطل » ومثل هذه الكلمة لا يمكن أن تصدر عن على ، لأن علياً لا يعرف غير الحق ، أو ما يعتقد أنه حق ، ولا يسلك طريقاً غيره، لذلك لم يكن لعلى أعوان مخلصون بتعاونون معه، على حين أن معاوية كسان أعوانه يتفانون في الإخلاص له، ولا يقلمون إلا على الأعمال التي يرضى عنها، ولهذا السبب بني معاوية سياسته في الدعاية على الطعن في أعدائه – وعلى رأسهم على بن أبي طالب ، في حين أن علياً كان لا يرضى لنفسه، ولا يرضى له دينه وخلقه أن يبني سياسته الإعلامية على الطعن في أعدائه بنفس الطريقة التي سلكها معاوية .

حدث أن علياً سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام ممن اشتركوا في واقعة (صفين) فقال لهؤلاء :

فأين هذا من فعل معاوية حين كان يأمر بأن يسب على فوق المنابر ، ويأتى من الأعمال ما أشرنا إلى بعضه في الفصل الدى عنوانه لا الأحاديث النبوية وقوتها الدعائية » ، وفي ذلك الفصل ذكرنا بعض الأحاديث التي زيفها معاوية على النبي رَائِقُ .

ومنها : مارواه الزهرى أن عروة بن الزبير حدثه نقال :

حدثتنى عائشة قالت: كنت عند رسول الله اله أقبل العباس وعلى، فقال النبي سِنْتِنْهِ : « ياعائشة إن هذين بموتان على غير ملنى » ولا شك أن هذا من الأحاديث الموضوعة وليس له أدنى قسط من الصدق .

ويدلنا كل ذلك على صحة مسا قلناه من أن (الإعلام) كان وسيلة الإمسام . وأما (الدعاية) . والدعاية السوداء لا البيضاء ــ فقد كانت وسيلة معاوية .

الدعاية ضد على

وبغض النظر عن الأصاليب التي اتبعها معاوية في نشر الدعماية السيئة حسول على ومنها أسلوب الأحاديث المرضوعة أو الكاذبة ، ومنها أسلوب تفسير آبات القرآن تفسيرا يديء إلى سمعة على ، وقد أشرنا إلى أمثلة من ذلك في الفصل الذي عنوانه (الأحاديث النبوية وقوتها الدعائية) ، نقول بصرف النظر عن هذه الأساليب التي اتبعها معاوية في محاربة على ننظر في كتب التاريخ فنجد أن معاوية أشاع عن الإمام صفات غير حقيقية وأخذه بعيوب ليست فيه ، ومنها :

۱ -- أشاع معاوية عن على أنه رجل ذو دعابة . وهي صفة أراد بها معاوية أن يقلل من هيبة الإمام في النفس ، لأن مثل على لايصح أن يكون كذلك ، وإلا نظر إليه حزبه من كبار الصحابة نظرة استخفاف ، وهم قوم درجوا غلى الجد لا الهزل ، وبلغ ذلك علماً فقال :

عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فى دغابة ، وأنى امرق تلعابة، لقد قال باطلا، ونطق آئما . أما وشر القول الكذب، وإنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف ، ويسأل فيحلف ، وبخون العهد ، ويقطم الأهل ، أما والله إنى ليمنعنى من اللعب ذكر الموت ، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة .

٢ -- كما أشاع معاوية عن الإمام على أنه قليل اللهاء ، فكان الإمام يرد عليه بقوله : والله ما معاوية بأدهى منى . ولكنه يغدر وجهجر . ولولا كراهيتى الغدر لكنث من أدهى الناس . ولكن لا رأى لمن لا يطاع .

وكان معاوية يفخر بذكر الخصال التي استعان بها على الإمام فيقول عنه:
إنه كان لا يكتم سرآ . وكنت كتوماً لنسرى وإنه كان يظلى في مكاته
حتى يفاجئه الأمر وكنت أبادر إلى ذلك . وكان في أخبث جند وأشدهم
أخلاقاً . وكنت في أطوع جند وكنت أحب إلى قريش منه فنلت ماشئث ،

٣ ــ وكان معاوية يشيع عن على أنه رجل لا علم له بالحرب وفنون الحرب برغم أنه رجل شجاع وفارس فلا .

٤ -- وكان معاوية يشيع عن الإمام أنه رجل لايصلح للخلافة . وكان يستشهد بنول عمرو بن العاص . لا يصلح للخلافة إلا رجل له ضرسان بأكل بأحدهما ويطعم الناس بالآخر ، وربما كانت هذه نظرية عمان بنعفان قبل أن تكون نظرية معاوية أو ابن العاص . ولذلك بذل هؤلاء الثلاثة كثيراً من المال للأتباع والأعوان . وكانوا يقربون إليهم أبناء الصحابة ويبالغون في إكرامهم ويوفرون لهم أرغد العيش .

ه - وكان معاوية يشيع عن الإمام بأنه رجل لا يعرف رجاله معرفة جيدة . أما معاوية فكان على العكس من ذلك يحاول أن يدرسهم . وكان يبعث إليهم بالرسل من عنده . وكان يقول للرسل ، حدثوا أصحابي بماير ضبهم وأجيبوهم إلى ما يحقق لهم كل ما ير غبون فيه أما على فكان لا بجامل أحداً من أصحابه في الحق ولا يشترى غضب الله برضاء الأصدقاء .

٣ ـــ أشاع معاوية عن الإمام على أنه قليل العلم بأخلاق الرعية . أما هو

فعلى العمكس من ذلك يزعم لنفسه أنه أتقن درس الرعية ، وكان يصفها بقوله :

وإذا اجتمعوا أضروا ، وإذا تفرقوا ناعق ، وأنهم إذا اجتمعوا أضروا ، وإذا تفرقوا نفعوا لأنهم إذا تفرقوا رجع أصحاب المهن إلى مهنهم . فانتفع الناس بهم » .

وزعم معاوية أن الذي أعانه على دراسة الناس وأخلاقهم إلى هذا الحد هم العيون والأرصاد ، وهم الجواسيس بلغة العصر الحاضر ، يبعث بهم إلى البلاد فيأتونه بأخبار أهلها جميعاً ، فيسوسهم على النحو الذي يرضيهم .

وبفضل هؤلاء الجواسيس كذلك كان معاوية يعرف كيف يختار الرجال القادرين على خلق القلاقل وصنع المكائد وإنجاد الفتن في بلاد كالحجاز والعراق حيث يقيم على وكبار الصحابة ، وبحب هؤلاء في الحبيء إلى الشام وترك الإمام على بن أبي طالب، وقد كان في استطاعة الإمام أن يجرد سيفه، ويعملولي قتل هؤلاء – ومعظمهم من الحوارج الذين ينز عمهم الأشعث بن قيس – ولكنه لم يفعل ذلك ، ولو فعل لأمن على نفسه من شرور كثيرة .

٧ ـ كما اعتمد معاوية فى دعايته ضد الإمام كذلك على الطرق المسرحية، فما أن سمع عقتل عبان حتى بعث إلى المدينة من أنى له بقميصه - أى بقميص عبان وعليه دمه ، وأمر الرسول فحمل القميص على علم ووصل به إلى معاوية ففرشه على الأرض ، وجمع أصحابه ، وجلسوا يبكون على عشمان وبقولون : على بن أبى طالب هو القاتل .

۸ — والذي لابد من ذكره كذلك أن معاوية استغلى في دعايته هذه جهل الرعية في زمانه ، وقد كان العلم في الشام — حيث الأعوان الملتفون ععاوية — أقل من العلم في الحجاز حيث كبار الصحابة وأبناء الصحابة الذين تألف منهم حزب على. واستمع إلى المسعودي إذ يقول:

و وبلغ من إحكام معاوية للسياسة (يريد الدعاية) وإتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه وأعوانه أن رجلا من أهل الكوفة دخل ببعيره إلى دمشق، فتعلق به رجل من أهلها وقال : هذه ناقتى أخذت منى ، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشق خمسين رجلا يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية للدمشق على الكوفى وأمره بتسليم الناقة إليه . فقال الكوفى : أصلحك الله أبها الأمير ، إنه جمل وليس بناقة ، فقال معاوية : هذا حكم قد مضى ، ثم دس معاوية إلى الكوفى بعد تفرق الجماعة من أحضره إليه ، وسأله معاوية عن تمن الجمل و دفعه إليه ، وبر به وقال له : أبلغ عليا أنى أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ه (١) .

واستطردنا إلى وصف شيء من الدعاية التي قام بها معاوية ضد على لتدرك الحقيقة التالية وهي :

- أن الدعاية - ولوكانت قائمة على الباطل فى بعض الأحيان لها من التأثير فى النفوس والقدرة على قلب النظم والأوضاع - ماللإعلام برغم أنه قائم على الحق وعلى الحق وحده قبل أى شيء وإنها لحقيقة مؤلمة به ولحن السكوت عنها يضر بالحق نفسه فإن الساكت على الدعاية لا يقاومها بكل الطرق الممكنة كالساكت على النار تقترب منه شيئاً فشيئاً حتى تشتعل بثيابه و تأكله .

صحيح أن من أمضى الأسلحة فى مقاومة الدعاية هو الإعلام ، والإعلام هو القادر على إسكات الدعاية ، وذلك بالسكشف عما فيها من السكذب والزيغ عن الحقائق والبعد عن الصبحة ومخالفة الواقع ، ولسكن الإعلام فى هذه الحالة لابد من أن يبذل من الجهود السكبيرة أضعاف ما تبذله الدعاية ، وبغير ذلك تكون الغلبة للأخيرة فى النهاية »

⁽۱) عبد اللطيف حمزة : الإعلام والدعاية ص ۱۷٦ نشر دار الفكر العربي - نقلا عن مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٧٢ سـ المطبعة البهية .

وهذا هو الموقف الحرج الذي وقفه الإمام على من داهية الشام معاوية ابن أبي سفيان .

لقد كان الامام محوطا بقوم من أصحابه بعرفون أن لهم حقاً في مناقشة الحساب في كل شيء ، وكانوا قلما بطيعونه في شيء ، في حين أن معاوية كان محوطا بقوم من أتباعه بلغ من أمر طاعتهم له أن صلى بهم عند مسيرته إلى (صفين) صلاة الجمعة يوم الأربعاء .

(تم بحمد الله)

النحاتيمت

يقلم الدكتور إبراهيم إمام أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة

عندما تفضل أستاذنا الراحل العالم العظيم اللكتور عبد اللطيف حمزة
رحمه الله وأسكنه فسيح جناته بإعطائى مسودة هذا الدكتاب والإعلام
في صدر الإسلام » لكى أطلع عليها ، كما كان يفعل دائماً معى في كل كتبه ، لم يدر بخلدى أن هذه الدرة النمينة سوف تكون آخر بحوثه العلمية القيمة التي أربت على النمانين كتاباً وبحثاً ،

ومع ذلك ، فإن قارىء هذا الكتاب يشعر شعوراً غريباً بأن مؤلفه العظيم يكتب وكأنه يصلى ، وينشىء العبارات وكأنه يتعبد ، وبتواضع المؤمن العالم يقول سرحمه الله أنه كان يتهيب الخوض في هذا الموضوع، وأنه تردد كثيرا قبل الإقدام عليه .

هذا ، مع أن أستاذنا الراحل كان مؤهلا حقاً تمام التأهيل للبحث في هذا الموضوع الجليل ، ويكفى أنه شارك بالبحث في الثقافة الإسلامية بأكثر من عشرين كتاباً ، كاأسهم في الدراسات الإعلامية بأكثر منأربعين بحثاً قيا ، منها مايعد بحق خير ماكتب باللغة العربية في فنون الدعاية والإعلام حتى الآن .

والواقع أن كتاب و الإعلام في صدر الإسلام و هو افتتاحية سلسلة جديدة أمن الكتب ، وضع أستاذنا الراحل خطتها بإحكام ، على أساس أن الثقافة الاسلامية تحتوى على كنوز من فنون الدعوة والاعلام والدعاية، تبدأ منذ أخذ الرسول - عليه الصلاة والسلام - يدعو للدين الحنيف سرا، إلى أن اتخذت الدعوة شكالها العلى ، ثم مرحلة الاضطهاد ، ومنها إلى

الهيجرة حتى مرحلة الاستقرار في المدينة ، التي شهدت ذروة الدعوة المقدسة أ.

ويفرق المغفور له الدكتور عبد اللطيف حمزة بين الدعوة والاعلام والدعاية فيقول أن اصطلاح « الدعوة » مقصور على جهود الرسول عليه الصلاة والسلام - في نشر الرسالة كما بينا من قبل ، أما كلمة « الاعلام » فتختص بأعمال الخلفاء الراشدين في هذا المضهار ، ولاشلث أن « الاعلام » منا يقصد به التفسير والتنوير والشرح القائم على فكر سليم ، وضمير حي ، وأصول أخلاقية متينة ، في حين أن كلمة « دعاية » تنطبق على أوجه النشاط السياسي التي تعددت بعد تكوين الدولة الاسلامية الكبرى ، وهنا نجد كنوزا من المعرفة والفنون الدعائية في عصور الأمويين والعباسيين والفاطميين، فضلا عن الدعاية المدروسة المتقنة عند الشيعة والقرامطة وغيرهم .

وما من شك فى أن كنوز الدعاية فى الحضارة الاسلامية ، لم تجد بعد من يجلوها ويزيل عنها ركام النسيان الذى ران عليها عبر القرون ، صحيح أن المستشرقين وغيرهم من السكتاب الغربيين قد قاموا بجهود متعددة الأهداف ، ومتنوعة الأغراض ، لدراسة الفكر السياسي الإسلامي وفنون الدعاية ، وخاصة عند الشيعة وغيرهم ، إلا أن هذه الجهود كان يحلوها التحيز أحيانا ، والهوى أحيانا أخرى . وقد كان أستاذنا سر رحمه الله — يتساعل : وحتى هؤلاء الذين يقومون بالبحث العلمي لوجه الله والحقيقة ، يتساعل : وحتى هؤلاء الذين يقومون بالبحث العلمي لوجه الله والحقيقة ، وقلا المستشرقون والأجانب ، هل نتركهم يفكرون لنا ؟ وهل نرضي أن نظل مكتوفي الأيدى ، نظر في سلبية إلى إنتاج الأجانب الفكرى دون أن نبذل أي جهد من جانبنا ؟

ويتحمس مؤلفنا الراحل - فيقدم اقتراحا يقول فيه: و فإذا كان لى أن أقترح شيئا على الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم الاسلامي ، فإنى أقترح أن تتألف لجنة علمية للقيام بهذا المشروع الضيخم، وأعنى به مشروع و التأريخ للدعاية والاعلام فى الاسلام،

وخلمه اللجنة أن ثقوم ببحث هذا التاريخ عصراً عصراً ، أو فكرة فكرة ، أو مذهبا مذهبا، فني النهاية ستحصل المكتبة العربية على مجموعات غنية من السنكتب الإسلامية ، تصبح كل واحدة منها بمثابة رافد من الروافد التي تصب في نهر الإعلام » .

وقد كان محلو الاستاذنا الراحل أن يتحدث عن مؤامرة الصمت التي التلل بها العالم الإسلامي في تاريخه وحضارته ، فقارىء كتب التاريخ ؛ ودوائر المعارف الأجنبية، بجد السكثير عن الفكر اليوناني والعصور الوسطى المسيحية، وعصر الهضة، والعصور الحديثة مرتبة ترتيبا زمنيا، ولكن لا بجد شيئاً عن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، رغم ما أعلنه بعض كبار المفسكرين الغربيين من اعتراف بفضل الحضارة الاسلامية على الحضارة الأوربية الحديثة .

ومع أن الجوانب التاريخية والسياسية والأدبية من الحضارة الاسلامية قلد حظيت ببعض العمام الباحثين ، كمدا ظفرت الدراسات الدينية بعناية ملموسة ، إلا أن الجوانب الإعلامية والدعائية ، لم تمكن موضع بحث علمى رغم ثرائها وخصبها وتنوع فنونها على مر العصور الاسلامية .

ولا أريد أن يفهم القارىء أن مؤلفنا - رحمه الله - كان لا محفل بالدراسات الأجنبية أو أنه كان معاديا لها ، لأنه كان على النقيض من ذلك - محتفيا بها مقدراً لجهودها ، غير أنه كان يفرق دائما بين الغزو الفكرى لحضارتنا العربية - وهو مالم يكن يقره أبسداً - وبين التعاون العلمي ، وتبادل المعرفة ، وهذا ما كان يشجعه ويؤيده كل التأييد .

ورب سائل يقول: ولكن ألم تزدهر الحضارة الإسلامية قبل ظهور أجهزة الإعسلام الحديثة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ، وغيرها من فنون الإعلام المختلفة ؟ فهل نقحم على حضارتنا الإسلامية ، تلك المفاهيم الحديثة ، التي لم تكن جزءاً من صلب كيانها ؟

الحقيقة أن هناك علم جديدا يقال له « علم الاتصال بالجاهير » وهو (م ١٧ يــ الإعلام في صدر الإسلام)

فرع من دراسة الاتصال الإنساني، عنى به العلماء منذ ظهور الشول الشمولية والدكتاتورية الحديثة ، كالفاشية والنازية وغيرها، وما كان من أثر قوى للزعماء وأجهزة الدعاية على سائر الناس، وكانت ذروة ذلك كله في إنشاء وزارة الدعاية الألمانية تولالها جوبلز لأول مرة في التاريخ.

وقد توجهت عناية العلماء والباحثين إلى دراسة الاتصال وفنونه المحتلفة، مبتدئين بالاتصال الطبيعي عن طريق المحادثة الشخصية والاتصال المباشر وجها لوجه، ثم الاتصال الجمعي الذي يظهر في الحطابة السياسية والدينية، والتجمعات المختلفة التي يلتني فيها القادة بأفراد الشعب من الجماهير، إلى أن تنتهى الدراسة بالاتصال الجماهيري أو الاتصال الصناعي، حيث لا يتم لقاء بين المصدر والجماهير مباشرة وإنما تنقل المادة الإعلامية من خلال صحيفة مطبوعة، أو كلمة مداعة، أو صورة مرئية على شاشة التلفزيون الصغيرة، أو شاشة السيما الكبرة.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية لم تشهد هذا النوع الأخير من الاتصال الصناعي ، فقد ازدهرت فيها طرق الاتصال الشخصي والجمعي ازدهارا شديدا ، فالقصائد الشعرية ، والنسس الفي الرائع ، والخطب السياسية والدينية والرسائل البليغة ، وحلقات الفقهاء والدعاة ، وفنون النداء والمنادين ، وأسواق الأدب والبلاغة ، والندوات على اختلاف أنواعها ، فضلا عن أوجه النشاط الدبلوماسي التي وضع أساسها الأول رسولنا الكريم بإليت بأصولها الرائعة ، التي أخسدها عنا الغربيون فيا بعد ، مع تطويعها وفقاً لمذاهبهم وأخلاقهم ومصالحهم ، كل هذه الفنون الاتصالية . وغيرها من الكتابات الممتازة التي ازدهرت بها الحضارة الإسلامية عسداهها المختلفة ، وفرقها الفكرية والدينية المتعددة ، تصلح أساسا طيبا للدراسة العلمية الجادة ، وهذا ما أراده أستاذنا الراحل الكريم .

ولكن بيت القصيد فى السراسات الإعلامية بكمن فى الأبعاد النفسية والاجتماعية لعمليات الاتصال بوجه عام والاتصال الجماهيرى بوجه خاص، كما تشمل تلك الدراسات بحثالعلاقة الوثيقة بين النظم السياسية والاجتماعية من جهة ، والنظم الإعلامية من جهة أخرى . وهذه هي الدراسات التي اهتم بها الباحثون في العالم الغربي ، وأراد – أستاذنا الراحل – أن ينحو نحوها في العالم الإسلامي ، وذلك تأصيلا لهذه الثقافة الإعلامية الجديدة ، وختا عن جذورها وأصولها الراسخة في حضارتنا، وقد وضع العالم الراحل تلك اللبنة الأولى في صرح البناء ، فكان ذلك الرائد الأول في هذا المضار ، وإن خير ماعكن أن نقوم به لإحياء ذكرى فقيدنا العظيم هو مواصلة البحث والدرس في هذا الميدان ، وهذا مافعلته كريمته الفاضلة السيدة كريمان حمزة ، وما سوف يقعله بإذن الله تلاميذه وعارفو فضله ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه .

دكتور إبراهيم إمام

الفحرا

منفحة	j ¦
٣	تقديم : بقلم الذكتور عبد الحليم محمود ، ، ،
4	الإهداء
11	
7.7	هذا الكتاب
	صور الاتصال والاعلام
	عند العرب فى الحاهلية وصدر الاسلام
77	الفصل الأول: الاتصال بالجماهير ــ بعض صوره في الجاهلية
77	فأما الإعلام
	القصيدة الشعرية ٢٦ ـــ الخطبة والخطباء ٢٨ ـــ المناداة ٢٨ـــ
	الأعياد ٢٩ـــ عيد الشباب٢٩ ـــ الأسواق ٢٩ ـــسوق دومة٣٠
	سوق المشقر ٣٠ـــ سوق هجر ٣١ ـــ سوق عكاظ ٣١ـــ سوق
	مجنة ٣٤ ـــ سوق ذي المحاز ٣٤ ــ المربد٣٤ ـــ الندوة ٣٥
	إشعال النار في رءوس الجُبال ٣٥ المناداة ٣٦ .
	الباب الأول
	أشهر صور الاعلام في صدر الاسلام
٤٠	
2.1	أسلوب العلاقات الدولية
11	الفصل الأول: القرآن أكبر وسائل الإعلام في الإسلام . •
۹۵	الفصل الثانى : الأحاديث النبوية وقوتها الدعائية
77	الفصل الثالث: القدوة الحسنة
ጓ ٨	القدوة الحسنة وصاحب الدعوة

صيغيحة

	محمد المثل الأعلى فى الصبر على الحرب الباردة بينه وبين المنافقين بالمدينة
٥٧	وجمع كلمة المسلمين
γγ	لقاء الرسول برجال من الحزرج في البيعة الأولى ٠٠٠٠
'AY	الفصل الخامس.: القصص غير القرآني
7.	الفصل السادس: موسم اللجّ من أعظم وسائل الدعوة
44.	الفصل السابع: العلاقات الإنسانية في صدر الإسلام ٠٠٠٠
	الباب الثاني
	الدعوة في عهد الرسول وأساليب نجاحها

1 . 8	•	4	-	÷	ŕ	سلا	في الإ	عارة	والد	إعلام	ة وال	الدعو	مهيد :
117										•		_	افصل
$\mathbf{A}LL$			•	•			•	. ,	ولنية	حلد اله	المر-	الثاني:	افصل
11.												ض الر	
175				7-			للايني	لهاد اا	لاضعا	حولة	: مو	الثالث	الفصال
144		•	•		لحبشة	لي إ	جرة إ	IL	يجرة	حلة الم	: مر	الرابع	الفصل
14.8		٠				بالم	بالمد	يتقرار	. ! ! [مرحلة	: _	الخامس	لفصل
141												ذان و إ	
ለሄስ												hall än	
18+												لإقات	
131		•	-		•		, ,	لحرب	بة وا	إعلام	انت ال	حتياطي	У
V\$F									_	_		ات الر	
108												يقبال ا	
308				•		٠,	عوة	شر الد	َ فِي ذ	وأثرها	هسن ا	كة الم	
17.													الفصل

الصفحة	. •
	غزوة بدر ١٦٠ غزوة أحد ١٦١ غزوة الأحزاب
	أو غزوة المخندق ١٦٤ فتح مكة ١٦٥ معركة
	حنين ١٦٦ ــ بعوث النبي وسراياه إلى حدود الروم وغايتها
ነጓለ	الإعلامية
174	الفصل السابع: المخطبة النبوية
171	المجالات العامة للخطب التي أثرت عن النبي
177	مجال الأخلاق
177	خطبته في معنى الإخلاص
174	الذي يثني على أصحابه
140	حجة الوداع
181	الفصل الثامن : الدعاية الشعرية في عهد الرسول
	.a tseff If
	الباب الثالث الاصلام الأصلام في مناهدة المداهدة
	الدعاية والأعلام في عهد الخلفاء الراشدين
144	ا الله الله الله الله الله الله الله ال
	الحكومة الديمقراطية ١٩٤ـــومها الحكومة الأوتوقراطية ١٩٤
	ومنها الحكومة الثيوقر اطبة ١٩٥ ــومنها الحكومة الأوليجاركية ١٩٥
144	الفصل الأول: الإعلام في عهد أبي بكر
144	يوم السقيفة
7.4	حركة الردة
7+7	بعثة أسامة بن زيد
Y+Y	البعوث إلى العراق والشام
4.4	<i>γ</i> 1, , , , with
	جمع القرآن الكريم
	طانعسل الثانى: الإعلام في حهد الخليفة عمر
4/4 4/4	جمع الفران الكريم

تبفحة	ļI														
710	•		ų.		v	بة	-	ر الم	سكبار	۸.	د عمر	سياسآ		ٹانیا	
7 / Y											ں.			_	
K/Y											اثل		_		
*11	4	•	•	•	-	٠,	,	قضاء	لى اا	Į di	رسأ	من	ىودج	ċ	
**	V	•	•		اليم	: 1	. و	بصار	ŠĮ.	عمر	رات	. زیار	_ [_	ئدامي	
ፕ የም	•	¥		٠	•	Ţ	•	•		سادسان	وة أ	القذ	_ 1.	سأده	
444									•					سل الث	الفه
YYA											ن في				
**											من ا				
44.														الحرآ	. 👀
14.1	•	•	4			•	•	•	٠.	•		ان	ate	حكم	
۲۳۲											ote .				
444											ار باءه				
	'	44.5	ھر	فن،	وآما	, '	ሃ ሦ	* - 1.	ill L		- 11				
														قوقہ ا	
444	•	3.	5,	•										لل ألمر	الفص
¥	٦	•	•	ş										موقفہ 	
727	•	h	١.	ì									_	الثورا	
454	•	•	•	•										حزباد	
Y £ .	•	•	•	•	•									الدعاي	
YEV	•	•	4	•	٠									خطب	•
* £ 9	•	•	1											الدعاي	
Yes	•	٠	•	•					•				-	الحاتما	
** 1	•	*	•	•	•	•	•	•	•	•	عات	ر صبو	ى السو	قهر سو	
	1 //	'	١٠.	• •	و۲۲۰		ئ 1	دوا	تر قبر سيتا	۸۹	/ ۲۱	ع ۸	لإيدا	رقم ا	
						ي	جو	ة الد	بطيع	•					

دارالفكرالعربي

الإدارة: ۱۱ ش جوادمسني به القاهرة ص.ب ۱۳۰ ت ۳۹۲00۲۳

تطلب جميع منتشوراتنامن فروعنا

الفرع الرئيسى: ٦٦ شجوارهنى ـ الفاهرة ت ٣٩٣٠١٦٧

فرع مدينة نصبر: عه ش عباس العقاد / المنطقة البادسة ـ ت ٢٦١٩٠٤٩

هزع المدفئ : ۷۷ ش عبرلفظيم راشد د متفرع من ش الدكتورشاهاين رانعجوزة ت ۷۱۷٤۹۸

مؤسسة وارالكاب كوربيث الطبع والنشر والتوتزيع الكوبيت من ب ٢٠٥٦/البالمية 22071 من ب ٢٠٥٦/البالمية ٥٧١٨٥٧١ To: www.al-mostafa.com